

الروض الألف

في تفسیر السیرة النبویة لابن هشام

للفقيه العبد ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن احمد بن ابي الحسن الخنعي

المسيلي

٥٠٨ - ٥٨١

١١١٤ - ١١٨٥

٥٥٥

ومع 4

السیرة النبویة

للامام ابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

المتوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الثاني

طلب من

مطبوعات

مكتبة ومطبعة

عباس عبد السلام شقران

شارع ببيروت بالهندسة

طبعة جديدة

مضبوطة - منقحة

روجعت على عدد من الطبقات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة

٧ - بوم درويشيان

أول شارع الجيش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

(سيرة)

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره ، واستتر به ، إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغنى - من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » . وقال تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقرنين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وقل إنى أنا النذير المبين » .

معنى : يصدع بما تؤمر : قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهزلي ، واسمه : خويلد بن خالد ، يصف ابن وحش وخلقها :

وكانهن ربابة ، وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أى : يفرق على القداح ويبين أنصاءها . وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

أنت الحليم ، والامير المنتقم تصدع بالحق ، وتنقى من ظلم

وهذان البيتان في أرجوزة له .

خروج الرسول (ص) بأصحابه للصلاة في الشعاب : قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلوا ، ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين - وهم يضلون - فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير ، فشججه ، فكان أول دم هريق في الإسلام .

عداوة قومه ، ومساندة أبي طالب : قال ابن إسحاق : فما بآدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما

فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحدث على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مظهراً لأمره ، لا يردده عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنسكروه عليه : من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه ، فلم يسلبه لهم ، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب : عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأبوسفیان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفیان : صخر .

قال ابن إسحاق : وأبو البختری ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزی بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

قال ابن هشام : أبو البختری : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزی بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأبو جهل - واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم - ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فنكفك . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

الرسول (ص) يستمر في دعوته : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثر قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - بينها ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه .

رجوعهم إلى أبي طالب مرة ثانية : ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإننا والله لانصبر على هذا من شتم آباءنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ،

أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم ولا خذلانه .

مادار بين الرسول (ص) وأبي طالب : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث : أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا ابن أخي ، إن قريشاً قد جاءوني ، فقَالُوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبى علي ، وعلى نفسك ، ولا تخملي من الأمر مالا أطيق ؛ فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدا لعنه فيه أنه خاذله ومسله ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : باعم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته قال : ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال أقبلي يا ابن أخي ، قال فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اذهب يا ابن أخي ؛ فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلبك لشيء أبداً .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإسلامه وإجماعه لفرأفهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنه قد أتى قريشاً وأجمعه ، فخذة فلك عقله ونصره ، واتخذة ولداً فهو لك ، وآسلم إلينا ابن أخيك هذا ؛ الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فيما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسوموني ! أعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبداً . قال . فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك أو كما قال . قال : فحقب الأمر ، وحسيت الحرب ، وتنابد القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

(روض)

تفسير : اصدع بما تؤمر والفرق في عود الضمير على ما والذى : ذكر قول الله سبحانه ، فاصدع بما تؤمر ، والمعنى : اصدع بالذي تؤمر به ، ولكنك لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه اللفظ ، وقولهم : (ما) مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذي إذا تأملت ، وذلك أن (الذي) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) التي يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرجع
ن يوماً كالذي كانوا

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر ، إما أن يكون معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه . اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتسكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للباه فيه دخول ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم - والاطهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووجيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف لإلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى الأمور به . حذف باء وهاء ، وحذف واحد أيسر من حذفين مع أن صدعه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووجيه ، كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفها بذلك الحسن ، وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : « وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون » ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، « لما خلقت بيدي » ، و « لأعبد ما تعبدون » ، ولم يقل : خلقت ، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى . « الذين آتيناهم الكتاب » الذى جعلناه للناس سواء ، وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من إبهامها ، فالذى فيها من الإبهام قربها من (ما) التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن (ما) إذا كانت شرطا تقول فيها ، ما تصنع أصنع مثله ، ولا تقول ، ما تصنعه ، لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة وهى بمعنى الذى التى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على (ما) ، وعلى (الذى) يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإبهام ، ومع هذا لم نر أحداً نبه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ، لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحسنه مع من وما ، ففى التنزيل ، « والنور الذى أنزلنا » فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لئلا يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء » ، « الذين آتيناهم الكتاب » .

وشرح ابن هشام معنى قوله ، اصدع شرحا صحيحا ، وتمتته أنه صدع على جهة البيان وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدع به تلك الظلمة ، ومنه سمي الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمة الليل ، وقال الشياخ :

ترى السرحان مفترشا يديه كأن بياض لفته صديع
على هذا تأوله أكثر أهل المعانى ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع فى هذا البيت : ثوب أسود تلبسه النواحة
تحمته ثوب أبيض ، وتصدع الأسود عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :
كأنهن إذ وردن ليعا (١) نواحة محتابة صديعا

معنى الحذب : ذكر في الحديث : أن أبا طالب حذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقام دونه .
أصل الحذب : انحناء في الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، وروى له كما قال النابغة

حذبت على بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم ، وإن مظلوما

ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصلوتين وهما : عرقان في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا :
صلى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك . صلى الله على محمد ،
هو أرق وأبلغ من قولك : رحم الله محمدا في الحنو والعطف . والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا
المعنى مبالغة وتأكيذاً كما قال الشاعر :

فما زلت في ليني له وتعطفى عليه ، كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل : صليت على الميت أى : دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك
لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول ، صليت على العدو ، أى . دعوت عليه . وإنما يقال : صليت
عليه في معنى الحنو والرحمة والعطف ، لأنها في الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عدت في اللفظ بعلى ، فتقول .
صليت عليه ، أى : حنوت عليه ، ولا تقول في الدعاء إلا ، دعوت له ، فتعدى الفعل باللام ، إلا أن تريد الشر
والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء
إطلاقاً ، ولم يفرقوا بين حال وحال ، ولاذكروا التمديد باللام ولا بعلى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه .
وقد يكون الحذب أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قرن بالقعس كقول الشاعر :

وإن حذبوا ، فاقعس ، وإن هم تقاعسوا لينزعوا ما خلف ظهرك فاحذب

وكقول الآخر :

ولن ينهنه قوما أنت خائفهم كمثل وقك جهالا بجهال

فاقعس إذا حذبوا ، واحذب إذا قعسوا ووازن الشر مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البختري واسمه : فصل ، وذكر بجيء النفر من قريش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا البختري بن هشام ، قال ، واسمه ، العاصي بن هشام ، وقال ابن هشام ، هو العاصي
ابن هاشم ، والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن السكبي ، والذي قال ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مصعب
وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بجر ، سفيان بن العاصي .

لو وضعوا الشمس في يميني : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال . خص الشمس باليمين ، لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المحسوسة وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له ، إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نجوم ، فقال عمر ، مع أيهما كنت ؟ فقال ، مع القمر ، قال ، كنت مع الآية المحسوسة ، اذهب ، فلا تعمل لى عملا ، وكان عاملا له ، فعزله ، فقتل الرجل في صفين مع معاوية ، واسمه ، حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النيرين حين ضرب المثل بهما ، لأن نورهما محسوس ، والنور الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا محالة أثر من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » فاقضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين ، وهي اليمنى بلاغة لامثلها ، وحكمة لا يجمل الليب فضلها .

الرأى والبداء : وقول ابن إسحاق ، ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه بداء ، أى ، ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي ، والمصدر البدء والبدو ، والاسم ، البداء ، لا يقال في المصدر ، بدا له بدو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأن الذي يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم ، نحو البداء وأنشد أبو علي :

لعلك والموعود حق وفأؤه بدا لك في تلك القلوص بداء

ومن أجل أن البدو هو الظهور ، كان البداء في وصف الباري - سبحانه - محالا ، لأنه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه ، والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره ، وعلم عليه ، وقد يجوز أن يقال ، بدا له أن يفعل كذا ، ويكون معناه ، أراد ، وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صح في ذلك ما خرجه البخاري في حديث الثلاثة ، الأعمى والأفروع والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى ، أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يميزون البداء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخ شيئا واحداً ، واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداء ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن عليا - رحمه الله - صلى يوم ، ثم ضحك فسئل عن ضحكه فقال ، تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنخلة فقال ، ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال ، هذا حسن ، لكن لا أفعله أبدا ، لأحب أن تملوني استق فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : وذكر قول الملاء من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش ، وأجمله ، فذه مكان ابن أخيك .

أنهد . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرس نهدي للذي يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : نهدي الجارية ، أى : برز فدماً ، وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذي أرسلته قريش مع عمرو ابن العاص إلى أرض الحبشة فسبحر هناك وجن ، وسنجد في خبره شيئا بعد هذا إن شاء الله .

(روض)

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك - يعرض بالمطعم بن عدى - ويعم من خذله من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سأله : وما تباعد من أمرهم :

ألا قل العمرو والوليد ومطعم
من الخور حجاب كثير رغاؤه
تخلف خلف الورد ليس بلاحق
أرى أخويننا من أيينا وأمنا
بلى لهما أمر ، ولكن تجرجما
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا
هما أغزى للقوم في أخويهما
هما أشركا في المجد من لأبأله
وتيم ومخزوم وزهرة منهم
فوالله لا تنفك منا عداوة
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم
قال ابن هشام . تركنا بيتين أفذع فيهما .

قريش تظهر عداوتها للمسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - منهم بعهمة أبي طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مدعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب ، عدو الله الملعون .

شعر أبي طالب في مدح قومه ، نصرته : فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره في جدهم معه ، وحدهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديهم ، ويذكر فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سأله أن يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمة لا أعطيكم ابني تقتاونه أبدا ، وأخذ ابنكم أكفله ، وأغذوه ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق . قال ابن إسحاق : فحقب الأمر عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشدة الحقب على ذلك الموضع ، فيقال منه : حقب البعير ، ثم يستعمل في الأمر إذا عسر ، وكذلك قوله : فشرى الأمر عند ذلك ، أى انتشر الشر ، ومنه الشرى ، وهى قروح تنتشر على البدن ، يقال منه : شرى جلد الرجل ، يشرى شرى .

فعبد مناف سرها وصميمها	إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
ففي هاشم أشرافها وقديمها	فإن حصلت أشراف عبد منافها
هو المصطفى من سرها وكريمها	وإن فخرت يوما ، فإن محمدا
علينا فلم نظفر وطاشت حلومها	تداعت قريش غثها وسمينها
إذا ما ثنوا صعر الحدود نقيمها	وكنا قديما لا نقر ظلامه
ونضرب عن أحجارها من يرومها	ونعمى حماها كل يوم كريمة
بأ كفافنا تندى وتنمى أرومها	بنا انتعش العود الدواء ، وإنما

شعر أبي طالب : فصل : وذكر شعر أبي طالب :

الأقل لعمره والوليد . إلى آخر الشعر

وفيه : ألا ليت حظي من حياتكم بكر

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لي منكم ، فليته لي بدلا من حياتكم كما قال طرفه في عمرو بن هند :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئا حول قبتنا تخور
وقوله : من الخور ججج . الخور الضعاف ، والججج بالحاء : الصغير . وفي حاشية كتاب الشيخ أبي
بهر : ججج بالميم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر ، وفي الشعر :

إذا ما علا الفياء قيل له : وير

أى يشبه بالوبر لصفه، ويحتمل أن يكون أراد ، أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده ، والفياء فعلا ، ولولا
قولهم : الفيء ، لكان حمله على باب القصاص والجرجاء أولى ، ولكن سمع الفيء ، فعلم أن الألفين زائدتان
وأنه من باب قلق وسلس انتهى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه ، وهى ألفاظ يسيرة نحو قلق وسلس وثلك
وسدس ، وقد اعتدنا بجمعها من الكلام ، ولعل لها موصفا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ،
ولا تكون ألف فيفاء للإلحاق فيصرف ، لأنه ليس في الكلام : فعلال ، فإن قيل : يكون ما حتماً بقصفاض وبابه ،
قلنا ، قصفاض ثنائى مضاعف ، فلا يلحق به الثلاثى ، كما لا يلحق الرباعى بالثلاثى ، ولا الأكثر بالأقل ، وقد
حكى فيفاء بالقصر وايست ألفها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتى تأنيث ، فهى إذأ من أرطاة ونحوها ، كأنها
ملاحظة بسلبية . وفي الشعر :

كما جرحمت من رأس ذى علق صخر

وترك صرف علق ، إما لأنه جعله اسم بقة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر ،
وإن لم يكن هؤننا ولا عجميا نحو قول عباس بن مرداس .

الوليد بن المغيرة كيدته للرسول وموقفه من القرآن.

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش - وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يامعشر قريش ، لانه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أتم ، فقولوا اسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعته ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الخنون وعرفناه ، فما هو بخنفة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم . قالوا : فانقول

وما كان حصن ولا حائس يفوقان مرداس في المجمع

ونحو قول الآخر :

يامن جفاني ومللا نيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما رأيت مالي قلا

فلم يصرف مرحبا ، وسياتي في هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ، ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى ، ولو روى : من رأس ذي علق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكن ، لكان حسنا ، كما قرئ ، قال هو الله أحد ، الله الصمد ، بحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو العلاء ، وقال الشاعر :

حميد الذي أمج داره

وقال آخر :

ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأتشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصيما

قوله : سرها أي : وسطها ، وسر الوادي وسراراته : وسطه ، وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك في موضعين ، في وصف الشهود ، وفي منسب ، وبيننا السر في ذلك .

وقال في القصيدة : ونضرب عن أحجارها من يرومها ، أي نضرب عن حصونها ومعاقها ، وإن كانت الرواية أحجارها بتقديم الجيم فهو جمع جحر والحجر هنا مستعار ، وإنما يريد عن بيوتها وساكنها .

يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعندق ، وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام : ويقال : لعندق - وما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتنفروا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه لإياه ، وذكروا لهم أمره .

رد القرآن على الوليد : فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً وبين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، إى خصيماً .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضرابون رأس العند

وهذا البيت في أرجوزة له .

« سأرهقه صعوداً صعوداً : إنه فكر وقدر : فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر : ثم

عبس وبسر » :

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مضبر اللحين بسر منهسا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثم أدبر واستكبر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، أن هذا إلا قول البشر » .

رد القرآن على صحب الوليد : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لننسأنهم أجمعين . عما كانوا يعملون » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عضة ، يقول : عضوه : فرقوه . قال رؤبة بن العجاج :

وليس دين الله بالمعضى

وهذا البيت في أرجوزة له

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

شعر أبي طالب في معاداة خصومه

فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشرف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

وقد قطوا كل العرى والوسائل
وقد طاعوا أمر العدو المزائل
يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
وأبيض غضب من تراث المقاول
وأمسكت من أثوابه بالوسائل
لدى حيث يقضى حلفه كل نافله
بمفضى السيول من إساف ونائل
مخيسة بين السديس وبازل
بأعناقها معقودة كالعناكل
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن ملحق في الدين مالم نحاول
وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
على قدميه حافياً غير ناعل
وما فيهما من صورة وتمائل
ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
إلال إلى مفضى الشراج القوابل
يقيمون بالأيدى صدور الرواحل
وهل فوقها من حرمة ومنازل
سراعاً كما يخرجن من وقع وابل

ولما رأيت القوم لاود فيهم
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد حالقوا قوما علينا أظنة
صبرت لهم نفسى بسمرام سمحة
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى
قياما معا مستقبليين رتاجه
وحيث يذبح الأشعرون ركابهم
موسمة الأعضاء أو قصراتها
ترى الودع فيها والرخام وزينة
أعوذ برب الناس من كل طاعن
ومن كاشح يسعى لنا بمعية
وثور ومن أرمى ثبيراً إمكانه
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسود إذ يمسحونه
وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين إلى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له
وتوقفهم فوق الجبال عشة
وليلة جمع والمنازل من منى
وجمع إذا ما المقربات أجزنه

وبالجرة الكبرى إذا صمدوا لها
وكندة إذ هم بالحصاب عشية
حليفان شدا عقد ما احتلفا له
وحطمهم سمر الرماح وسرحه
فهل بعد هذا عن معاذ لعائذ
يطاع بنا أمر العدا ود أننا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم - وبيت الله - نبزى محمدآ
ونسله حتى نصرع حوله
وينفض قوم في الحديد إليكم
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه
ولنا - لعمر الله - إن جد ما أرى
بكنى فتي مثل الشهاب سميدع
شهوراً وأياماً وحولاً محرماً
وسأترك قوم - لا أبالك سيداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره
وعثمان لم يربح علينا وقتفد
أطاعا أيبا ، وابن عبد يغوشهم
كما قد لقينا من سبيع ونوفل
فإن يلفيا ، أو يمكن الله منهما
وذاك أبو عمرو أبي غير بغضنا
يناजी بنا في كل مسمى ومصبح
ويولى لنا بالله ما إن يغشنا

يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل
تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
وردنا عليه عاطفات الوسائل
وشبرقه وخذ الزعام الجوافل
وهل من معيذ يتقى الله عاذل
تسد بنا أبواب ترك وكابل
ونظعن إلا أمركم في بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبتائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
من الطعن فعل الأناكب المتحامل
لتلتبس أسيافنا بالأمائل
أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
علينا وتأتى حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رحمة وفواضل
إلى ، بغضنا وجزآنا لآكل
ولكن أطاع أمر تلك القبائل
ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكل تولى معرضاً لم يجامل
نكل لها صاعاً بصاع المكايل
ليظعننا في أهل شاء وجامل
فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
بلى قد تراه جهرة غير حائل

أضاق عليه بفضنا كل تامة
وسائل أبا الوليد ماذا جوتنا
وكنت امرء آمن يعاش برأيه
فعتبة لاتسمع بنا قول كاشح
ومر أبو سفيان عنى معرضاً
يفر إلى نجد وبرد مياحه
ويخبرنا فعل المناصح أنه
أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة
ولا يوم خصم إذا أتوك ألدة
أمطعم إن القوم ساموك خطة
جزا الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان قسط لا يخس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
فعبد مناف أنتم خير قومكم
لعمرى لقد وهنتم وعجزتم
وكنتم حديثاً حطب قدر وأنتم الـ
لهنء بنى عبد مناف عقوقنا
فإن يك قوماً نتتر ما صنعتم
وسائط كانت فى لؤى بن غالب
ورھط نفيل شر من وطىء الحصى
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
فكل صديق وابن أخت نعدء
سوى أن رھطاً من كلاب بن مرة
وهنا لهم حتى تبدد جهنم

من الأرض بين أخشب فمجادل
بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
ورحمته فينا ولست بجاهل
حسود كذوب مبغض ذى دغاؤل
كما مر قيل من عظام المقاول
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
شفيق، ويخفى عارمات الدواخل
ولامعظم عند الأمور الجلائل
أولى جدل من الخصوم المساجل
ولانى متى أوكل فلست بوائل
عقوبة شر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل
بنى خلف قيضاً بنا والغياطل
وآل قصى فى الخطوب الأوائل
علينا العدا من كل طمل وخامل
فلا تشركوا فى أمركم كل واغل
وجنتم بأمر مخطفى البفاصل
آن حطاب أفدر ومراجل
وخذلانا ، وتركنا فى المعافل
وتحتلبوما لقحة غير باهل
نفاهم إلينا كل صقر حلاحل
والأم حاف من معد وناعل
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
لكنا أمى عند النساء المطافل
لعمرى - وجدنا غبه غير طائل
براء إلينا من معقة خاذل
ويحسر عنا كل باغ وجاهل

ونحن الكدى من غالب والكواهل
كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
ولاحالفوا إلا شرار القبائل
ضوارى أسود فوق لحم خرادل
بنى جمع عبيد قيس بن عاقل
بهم نعى الأقوام عند البواطل
زهير حساما مفردا من حمائل
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
وإخوته دأب المحب المواصل
وزيناً لمن والاه رب المشاكل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالى إليها ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى المحافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
تقصر عنه سورة المتداول
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
وأظهر ديننا حقه غير باطل
إلى الخير آباء كرام المحاصل
فلا بد يوماً مرة من تزايل

وكان لنا حوض السقاية فيهم
شباب من المطيين وهاشم
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما
بضرب ترى الفتیان فيه كأنهم
بنى أمة محبوبة هندكية
ولكننا نسل كرام لسادة
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشم من الشم البهليل ينتمى
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
فلا يزال فى الدنيا جمالا لأهلها
فمن مثله فى الناس أى مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجمى بسبة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحد فى أرومة
حدبت بنفسى دونه وحميته
فأيدى رب العباد بنصره
رجال كرام غير ميل نمام
فإن تك كعب من لوى صقيمة

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

الرسول يستسقى لأهل المدينة ويود لى أن أبا طالب حى : قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال :
أفحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أناء أهل الضواحي يشكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اللهم حوالينا ولا علينا ، فأنجاب السحاب عن المدينة ، فصار حوالينا كالإكليل ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل .

قال ابن هشام . وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

معاني الأسماء التي في قصيدة أبي طالب : قال ابن إسحاق . والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص . وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد . وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وفتنذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد . عتبة بن ربيعة . وأبي : الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشام . وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه . أبي ؛ وهو من بني علاج ؛ وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة . والأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن كلاب . وسبيع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في جبل حين أسلما . فبذلك كانا يسميان ، القرينين : قتله علي بن أبي طالب - عليه السلام - يوم بدر . وأبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . « وقوم عاينا أظنة » بنو بكر بن عبد مناة ابن كنانة : فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول (ص) خارج مكة . فلما انتشر أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحذثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت . أخو بني واقف .

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه في حديث الفيل إلى خطمة ، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذي هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الغفاري من ولد نعيمة أخى غفار ، وهو غفار بن مليل ، ونعيمة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن منصور وسليم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائل ، ووائل ، وواقف وخطمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسيدي : قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت - وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهرا ، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته - قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه عنهم الغيل وكيدهم عنهم ، فقال :

مغلظة عنى لوى بن غالب
على النأى محزون بذلك ناصب
فلم أفض منها حاجتى ومآربى
لها أزل من بين مذك وحاطب
وشر تباغيكم ودس العقارب
كوخز الأشافى وقمها حق صائب
وإحلال أحرام الظباء الشواذب
ذرو الحرب تذهب عنكم فى المراحب
هى الغول للأقصين أو الأفاذب
وتبرى السديف من سنام وغارب
شليلا وأصداء ثياب المحارب
كأن قنيرها عيون الجنادب
وحوضاً وخيم الماء مر المشارب
بعاقبة إذا بينت ، إأم صاحب
ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
طويل العماد ، ضيفه غير خائب
وذى شيمة محض كريم المضارب
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأيامها والعلم علم التجارب
حسابكم ، والله خير محاسب
عليكم رقيباً غير رب الشواقب

ياراكبا إما عرضت فبلغن
رسول امرى قد راعه ذات بينكم
وقد كان عندى للموم معرس
نبيتكم شرحين كل قبيلة
أعيدكم بالله من شر صنعكم
وإظهار أخلاق ، ونجوى سقيمة
فذكرهم بالله أول وهلة
وقل لهم - والله يحكم حكمه -
مق تبعثوها ، تبعثوها ذميمة
تقطع أرحاما ، وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
وبالمسك والكافور غيرا سوا بغاً
فأباكم والحرب لاتعلقنكم
تزين للأقوام ، ثم يرونها
تحرق ، لاتشوى ضعيفا ، وتنتحى
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس
وكم قد أصابت من شريف مسود
عظيم رماد النار يحمد أمره
وماء هريق فى الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فبيعوا الحراب لمحارب ، واذكروا
ولى امرى ، فاختر دينا ، فلا يكن

لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
تؤمون، والاحلام غير عواذب
لكم سررة البطحاء شم الأرائب
مهذبة الانساب غير أشائب
عصائب هاسكي تهتدى بعصائب
على كل حال خير أهل الجياجب
وأقوله للحق وسط المواكب
بأركان هذا البيت بين الأخاب
غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
على القاذفات فى رءوس المناقب
جنود المليك بين ساف وحاصب
إلى أهله م الحبش غير عصائب
يعاش بها ، قول امرىء غير كاذب

أقيموا لنا دينا حنيفا ، فأنتم
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
وأنتم - إذأما حصل الناس - جوهر
تصونون أجسادا كراما عتيقة
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم
لقد علم الأفوام أن سراتكم
وأفضله رأيا ، وأعلاه سنة
فقوموا ، فصلوا ربكم ، وتمسحوا
فعندكم منه بلاء ومصداق
كتيبته بالسمل تمسى ، ورجله
فلما أتاكم نمرذى العرش ، ردهم
فولوا سراعا هاربين ، ولم يؤب
فإن تهلكوا ، نهلك وتهلك مواسم

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « و ماء هريق » ، و بيته : « فبيعوا الخراب » وقوله : « ولى امرىء فاختره » ،
وقوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره .

حرب داحس والغبراء : قال ابن هشام : وأما قوله

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عبيدة النهوى : أن داحساً فارس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن العارث
ابن مازن بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، أجراه مع فارس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد
ابن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقال لها : الغبراء .
فدس حذيفة قوماً وأمرهم أن يضربوا وجه داحس ، إن رأوه قد جاء سابقاً ، فجاء داحس سابقاً ، فضربوا
وجهه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير ، فلطم وجه
الغبراء ، فقام حمل بن بدر ، فلطم مالكا . ثم إن أبا الجديب العنسى لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل
من بنى فزارة مالكا فقتله فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

فتملنا بعوف مالكا وهو ثارنا فإن تطلبوا منا سوى الحق تدموا
وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :
أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأظهار
وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة
برث حذيفة ، وجزع عليه :

كم فارس يدعى وليس بفارس وعلى الهبأة فارس ذو مصدق
فأبكوا حذيفة إن ترثوا مثله حتى تبيد قبائل لم تخلق
وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أن الفتى حمل بن بدر بغى ، والظلم مرتعه وخيم
وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :
تركت على الهبأة عير فخر حذيفة عنده قصد العوالي
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قبس داحساً والبراء ، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء ، والأول أصح
الحديثين . وهو حديث طويل من معنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب : قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن الحارس
ابن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ،
فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمز بن حارث بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن
الخزرج . وهو الذى يقال له : ابن وفسحيم ، فسحيم : أمه ، وهى امرأة من القين بن جهمر . - ليلا في نفر من بنى
الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقع الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكان الظفر للخزرج
على الأوس ، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك
ابن الأوس ، قتله المجذز بن زياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عوف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد
خرج المجذز بن زياد مع رسول الله . - صلى الله عليه وسلم . - وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت ، فوجد
الحارث بن سويد غرة من المجذز فقتله بأبيه ، وسأذكر حديثه في موضعه . - إن شاء الله تعالى . - ثم كانت بينهم
حروب من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

شعر حكيم بن أمية في نهى قومه عن عداوة الرسول : قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة

ابن الأوقص السلمي ، حليف بني أمية وقد أسلم ، يورع قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفاً مطاعاً :

هل قائل قولاً من الحق قاعد
وهل سبيد ترجو العشيرة نفعه
تبرأت إلا وجه من يملك الصبا
وأسلم وجهي للإله ومنطقي
عليه ، وهل غضبان للرشد سامع
لأقصى الموالى والأفارب جامع
وأهجركم ما دام مدل ونازع
ولو راعني من الصديق روائع

موقف الوليد من القرآن : وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ، ولا رجزه والهزج من أعراب الشعر معروف عند العروضيين ، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم فى وصف الذباب : هزج ، أى : مترنم ، وأما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرجز فى الشعر أشطار معدلة ، ويجوز أن يكون من رجزت الناقة إذا أصابها رعدة عند قيامها ، كما قال الشاعر: حتى تقوم تسكف الرجزاء فالمرتجز كأنه مرتعد عند إنشاده لقصر الأبيات .

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بززمة الكهان ولا سجعته : انزمنة صوت ضعيف كنجحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضاً : زمزم الرعد ، وهو صوت له قبل الهدر ، وكذلك الكهان ، كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها ، وأما زمزمة الفرس ، فسكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . استعارة من النخلة التي ثبت أصلها ، وقرى وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هى : العذق بفتح العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لعنق ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غيدق الرجل إذا كثر بصاقه . وأحد أعمام النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسمى : الغيداق لكثرة عطائه - والغيدق أيضاً ولد الضب ، وهو أكبر من الحسل قاله قطرب فى كتاب الأفعال والأسماء له .

ذرنى ومن خلقت وحيداً : فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيداً » الآيات التي نزلت فى الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن معنى : « ذرنى ومن خلقت » أى دعنى وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث » وهى كلمة يقولها المعتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه ، وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه ، فعنى الكلام : أى : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أى : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « ومهدت له تمهيداً » أى : هيأت له ، وقدمت له مقدمات استدراجاً له ، وقوله تعالى : « سأرهقه صعوداً » هى عقبة فى جهنم ، يقال لها : الصعود مسيرها سبعين سنة ، يكلف الكافر أن يصعد بها ، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صب من أعلاها ، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير .

وقوله سبحانه : « فقتل كيف قدر » أى : لعن كيفما كان تقديره فكيف ها هنا من حروف الشرط ، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يدعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابن هشام : بسر والبسر أيضاً : القهر ، والبسر حمل الفحل على الناقاة قبل وقت الضراب . وفسر عضين ، وجعله من عضيت أى فرقت ، وفى الحديث : « لا تعضية فى ميراث إلا ما احتمله القسم » ومعنى هذا الحديث موافق لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل ما لا ينتفع به إذا قسم أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « بما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » وقد قيل فى عضين لأنه جمع عضة ، وهى السحر وأنشدوا :

أعوذ بربى من النافثات فى عقد العاضه المعضه

ومنهم قولهم : بالعضية ويا للأفئكة .

شرح قصيدة أبى طالب فى معاداة خصومه ، وذكر قصيدة أبى طالب إلى آخرها ، وفيها : وأبيض عضب من تراث المقاول . قد شرحنا الأفيال والمقاول ، فيما تقدم ، وتراث أصله : وراث من ورثت ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا فى مواضع محفوظة ، وعلتها كثرة وجود التاء فى تصاريف الكلمة ، فالتراث مال قد تورث ، وتوارثه قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة فى التورث والتوارث ، وكذلك تجاه البيت ، التاء مستعملة فى التوجيه ونحوه ، فلما ألّفوها فى تصاريف الكلمة لم ينكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا فى ربحان وهو من الروح لكثرة الياء فى تصاريف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهى فى تراث وبابه أبعد ، لأن الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة ، وياء ربحان ليست كذلك ، وكذلك التسكأة من توكتات وتترى من التواتر ، والتولج من التولج والمتلج ، لأنهم يقولون : اتلج بالثشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : متلج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس ربحان وبابه ، فإن التاء الأولى من متلج أصلية وهى فى متلج إذا ضعفت أصلية أيضاً ، فهى هى ، فقف على هذا الأصل ، فإنه سر الباب . وأراد بالمقاول : آباءه ، شههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهثونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : موسمة الأعضاء أو فصراهما : يعنى معلة بسمة فى أعضادها ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط فى الفخذ والرقعة أيضاً فى العضد ، ويقال للوسم فى الكشح : الكشاح ولما فى قصرة العنق : العلائ ، والمطلتان والشعب أيضاً فى العنق ، وهو كالحجن ، وفى العنق وسم آخر أيضاً يقال له : قيد الفرس . قال الراجز :

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تدانى والتبس

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الإبل ، فمنها المشيطنة والمعفاة والقرمة وهى فى الأنف ، وكذلك الجرف والخطاف وهى فى العنق ، والدلو والماشط والفرتاح والثوثور والدماغ

في موضع الدمع ، والصداع في موضع الصدغ والجمام من الحد إلى العين ، يقال منه : بعير ملجوم ، والهلل والحراش وهو من الصدغ إلى الذقن .

وقوله : أو قصراتها جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاء ، ولا يجوز أن تكون موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً في باب اسم الفاعل ، لأن قوله : موسمة الأعضاء من باب الصفة المشبهة وهي لا تعمل إلا مضمرة ، واسم الفاعل يضم لإذنا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بشبه لفظي بينها وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجح إلى الإضمار لم تعمل ، وتخالف اسم الفاعل أيضاً ، لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى ، والفاعل لا يتقدم ، والصفة لا يفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسم الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولو روى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتنوين ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر حندج - [امرئ القيس]
كمبكر مقاناة البياض

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أي : البياض منها على نية التنوين في مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء نه ، وإذا كانت القصرات مخفوضة بالعطف على الأعضاء ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهة كما روى سيديويه حين أنشد : [للشماخ بن ضرار] .

كميتا الأعلى جوتنا مصطلاحهما

وفي حديث أم زرع : صفر رداؤها ، وملء كساءها مثل حسنة وجبهة ، وفي الأمالى من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شئن السكفين طويل أصابعه ، أعنى : مثل صفر رداؤها .

وقوله : ترى الودع فيه . الودع ، والودع بالسكون والفتح : خرزات تنظم ، ويتمجلى بها النساء والصبيان كما قال :

والحلم حلم صبي يمرس الودعة

وقال الشاعر :

مثل الجمال عليها يحمل الودع
ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا
لا الودع ينفعه حمل الجمال له

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان في جوف البحر ، فإذا قذفها مانت ، ولها بريق ولون

حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فثقب ، ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من ودعته أى : تركته ، لأن البحر ينصب عنها ويدعها ، فهمى ودع مثل قبض ونفض ، وإذا قلت الودع بالسكون فهمى من باب ماسمى بالمصدر .

وقوله : والرخام أى : ما قطع من الرخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناضع : والعشا كل : أراد العشاكيل ، حذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاى : وفيها العصافر ، أراد : العصافير ، وفي أول القصيدة : وقد حالفوا قوماً علينا أظنة أى متهمين ، ولو كان بالاضاد مع قوله : علينا ، لعاد معناه مدحاً لهم ، كأنه قال : أشحة علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أشحة
يودون لو خاطوا عليك جلودهم

عليك إلا إن من طاح طائح
وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

وفيهـا :

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه
وراق ليرقى فى حراء ونازل

ثور : جبل بمكة ، وثير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات فى ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاى ، وبين ابنة عمه مية ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، خلف ليقتلان قبيسا ، فهرب منه فى الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فلما مات ، وإما تردى منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق لير فى حراء ونازل . قال البرقى . هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف ، فالوهم فيه لئذ من ابن هشام ، أو من البكائى . والله أعلم .

وقوله : وبالبحر الأسود ، فيه زحاف يسمى : الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول حندج [امرئ القيس]

ألا رب يوم لك منهن صالح

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتشفوه بالضحى والأصائل . والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعلية ، والأصيلة : لغة معروفة فى الأصل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أصل نحو أطناب وطنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رغف : جمع رغيف ، فأصائل على قولها : جمع جمع الجمع ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط فى الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة

القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأحرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهمزة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهوها زائدة كالتى في أفاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، ولو كانت أصائل جمع أصل ، مثل أقوال وأفاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه ، أو اصيل بتسهيل الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أفاعيل جمع أفعال ، لا بد من ياء قبل آخره ، كما قالوا في أفاويل ، فكان يكون أو اصيل ، وليس في أصائل حرف مدولين قبل آخره إنما هي همزة فعائل ، ومن الخطأ في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رغف ، ثم زعموا أن أصالاً جمع له ، فهم بمنزلة من قال في رغف جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شئ هي أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذى هو اسم مفردا في معنى الأصائل لا جمع أصل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصل واحد ، كما يقال أصيل وحدا ؟ قلنا : قد قال بعض أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى وأطواء ، ولا أعرف أحداً قال هذا القول أعنى جمع الجمع غير انزجاجى وابن عزيز .

وقوله : وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة ، فخلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المقام جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

وقوله : بين المروتين : وهو كمنحو ما تقدم فى بطن المكتنين والحميتين وعنيزتين ، بما ورد مثنى من أسماء المواضع ، وهو واحد فى الحقيقة ، وذكرنا بالعلة فى مجيئه مثنى ومجموعاً فى الشعر . وفيها قوله :

وبالمشعر الأفضى إذا قصدوا له إلا لا . . . البيت .

فالمشعر الأفضى : عرفة ، وإلا لا : جبل عرفة . قال النابغة :

يزرون إلا لا سيرهن التدافع

وسمى : إلا لا لأن الحجيج إذا رأوه ألوا فى السير أى : اجتهدوا فيه ؛ ليدركوا الموقف قال الراجز :

(م ٤ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

مهر أبي الحجاب لا تشلي بارك فيه الله من ذى آل

والشراج : جمع شرج ؛ وهو مسيل الماء ؛ والقوابل : المتقابلة . وفيها قوله : وحطمهم سمر الصفاح : جمع صفح ؛ وهو سطح الجبل . والسمر يجوز أن يكون أراد به السمر . يقال فيه : سمر وسمر بضم الميم وسكونها ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين . كما قالوا في حسن : حسن . وكذا وقع في الأصل بضم السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح . كما قال : وحسن ذا أدبا . وجاز أن يراد بالسمر مهنا جمع أسمر وسراء ويكون وصفا للنبات ، والشجر يوصف بالدهمة إذا كان مخضراً ، وفي التنزيل « مدهامتان » . أى : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشبرقة . وهو نبات يقال لياسته : الحل ، والرطبة : الشبرق .

وقوله : نبذى محمداً أى نسلبه ونغلب عليه .

وقوله : نهوض الروايا . هى الإبل تحمل الماء واحدها : راوية ، والأسقية أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رواوى ثم يصير فى القياس : روائى مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قابوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها ، وصار وزنه . فوالع ، وإنما قابوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل ، والواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا فى خطايا وبابه ، وما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصلاصل . المزيادات ذا صاصله بالماء .

وفىها قوله : غير ذرب مواكل . وهو مخفف من ذرب والذرب ، اللسان الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لا جد عنده فهو يكل أمورهِ إلى غيره .

وفىها قوله : شمال اليتامى ، أى : يشملهم ، ويقوم بهم ، يقال : هو شمال مال أى يقوم به .

وفىها : قوله ليظعننا فى أهل شاء وجامل . الشاء والشرى : اسم للجمع مثل الباقر والبقر ، ولا واحد لشاء والشوى من لفظه ، وإذا قالوا فى الواحد : شاة ، فليس من هذا ، لأن لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير : شوية ، وفى الجمع شياه ، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر .

وقوله : وكنتم زمانا حطب قدر : حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع ، لأنك تقول فى تصغيره : حطيب وركيب .

وقوله : حطاب أقدر : هو جمع حاطب فلا يصغر ، إلا أن تزد ، إلى الواحد ، فتقول : حويطبون ، ومعنى البيت : أى كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفىها قوله : من الأرض بين أخشب ، فجادل . أراد الأخشاب ، وهى جبال مكة ، وجاء به على أخشب ، لأنه فى معنى أجبل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمجادل : جمع مجدل وهو ،

القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فجدال تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدخول فحومل ، وتقول : مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أولى جدل من الخصوم المساجل يروى بالجيم وبالحاء فن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل ، وصبه فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مسجل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحل بالحاء ، فهو جمع مسحل وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أي ، خصماء الألسنة . وقال ابن أحرر :

من خطيب إذا ما انحل مسحله

أى : لسانه وهو أيضا من السحل وهو الصب ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسحلت في بيدره ذهباً ، وجاءت أخرى فسحلت في البيدر الآخر فضة .

فصل : وفيها :

لقد سفهت أحلام قوم تبادلوا بنى خلف قيضاً بنا والغياطل

قيضاً أى : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذى الجوشن ، إن شئت قايضتك به المختار من دروع بدر ، فقال : ما كنت لأقيضه اليوم بشيء يعنى ، فرساً له ، يقال له ، ابن القرحاء . وقال أبو الشيص :

لا تنكرى صدى ولا إعراضى ليس المقل عن الزمان براض

بدلت من برد الشباب ملاءة خلقاً وبش مشوبة المقتاض

والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطة ، وقد تقدم نسبها ، وقيل : إن بنى سهم سموا بالغياطل ، لأن رجلاً منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة إلى أصابتهم . والغيطة : الظلمة الشديدة ، والغيطة أيضاً : الشجر الملتف ، والغيطة : اختلاط الأصوات ، والغيطة : البقرة الوحشية ، والغيطة : غلبة النعاس ، وقوله : يخس شعيرة ، أى : ينقص ، والخسيس : الناقص من كل شيء ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر : إذا أذهب . وقوله : من كل طمل وخامل : الطمل . اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين . الطمل الرجل الفاحش ، والطمل والطملال . الفقير ، والطمل . الذئب . وقوله . لقمحة غير بأهل . الباهل . الناقة التي لا صرار على أخلافها ، فهي مباحة الحلب يقال . وناقصة مصرورة ، إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المصراة بمعنى المصرورة ، وله التي جمع لبنها في ضرعها ، فهو من الماء الصرى ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل المصراة بمعنى المصرورة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يحتج له بقلب إحدى الراءين ياء مثل ، قصيت أظفارى ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت

امراة المغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءته كالنافقة الباهلة التي لا صرار على أخلافها ، أطعمتك مادومي وأبشئتك مكتومي ، وجئتك باهلاً غير ذات صرار ، وفي الحديث ، لا تورد الإبل بهلاً ، فإن الشياطين ترضعها ، أي ، لا أصرة عليها .

وفيها قوله : براء لإينا من معقة خاذل . يقول قوم براء وبراء بالفتح : وبراء بالسكسر ، فأما براء بالسكسر فجمع براء ، مثل كريم وكرام ، وأما براء فصدر ، مثل سلام والهمزة فيه وفي الذي قبله لام الفعل ، ويقال : رجل براء ورجلان براء ، وإذا كسرتها أو ضمته لم يحز إلا في الجمع ، وأما براء بضم الباء : فالأصل فيه براء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فيما حذفوا التي هي لام للفعل صار وزنه فعاء ، وأنصرف لأنه أشبه فعلا ، والنسب إليه إذا سميت به ، براوى ، والنسب إلى الآخرين برأى وبرأى ، [بفتح الباء وكسرها] وزعم بعضهم إلى أن براء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فعال ، وهي ثمانية ألفاظ ، فرير وفرار وعرن وعران ، ولم يصنع شيئاً ، وقال النحاس : براء بضم الباء .

حديث الاستسقاء : وذكر حديث استسقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة ، وهو حديث مروى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الغرق . الضواحي : جمع ضاحية ، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ، ولا منجاة من السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد ، خارجه . وقوله عليه السلام ، اللهم حوالينا ، ولا علينا ، كقوله في حديث آخر ، اللهم منابت الشجر ، وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا - هو من حسن الأدب في الدعاء ، لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يستل سببانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، فتمه تعليم كيفية الاستسقاء . وقال اللهم منابت الشجر ، ولم يقل ، اصرفها إلى منابت الشجر ، لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندي أو طل ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذي يحتاج إليه من مائها .

فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ولم يره قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سليمان حمد ابن محمد بن إبراهيم البستي النيسابوري ، أن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم قالت : تتابع على قریش سنو جدب قد أحملت الظلف ، وأرقت العظم ، فبينما أنا رافدة اللهم ، أو مهدمة ، ومعى صنوى إذ أنا بهاتف صيت يصرخ

يصوت صحل يقول : يامعشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم ، هذا إبان نجومه ، فحى هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاماً أبيض فظاً ، أشم العرين ، له نحر يكظم عليه . ألا فليخلص هو وولده ، وليدلف إليه من كل بطن رجل ، ألا فليشئوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، وليطوفوا بالبيت سبعاً ، ألا وفيهم الطيب ، الطاهر لذاته ، ألا فليدع الرجل ، وليؤمن القوم ، ألا ففتتم أبدأ ما عشتم . قالت : فأصبحت مذعورة قد قف جلدي ، ووله عقلي ، فافتصمت رؤياي ، فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحى إلا فال : هذا شبيهة الحمد ، وتامت عنده قريش ، وانفض إليه الناس من كل بطن رجل ، فشنوا ومشوا واستلبوا واطوفوا ، ثم ارتقوا أبا قبيس ، وطفق القوم يدفون حوله ، ما إن يدرك سعيهم مهلة ، حتى قروا بندرة الجبل ، واستكفوا جنابيه ، فقام عبد المطلب ، فاعتضد ابن ابنه محمداً - صلى الله عليه وسلم - فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع ، أو قد كرب ، ثم قال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم ، فاسمعن اللهم ، وأمطرن علينا غيثاً مريعاً مغدقاً ، فما راموا - والبيت - حتى انفجرت السماء بمثلها ، وكظ الوادي بشيجه . رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابي . قال : حدثنا محمد بن علي بن البحترى ، حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حويصة ، قال يحدث مخزمة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي وذكر الحديث . ورواه بإسناد آخر إلى رقيقة ، وفيه : ألا فانظروا منكم رجلا وسيطاً عظاماً جساماً أوظف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام ومعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أيفع أو كرب ، وذكر القصة .

وذكر ابن هشام كل من سماه أبو طالب في قصيدته ، أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مستغنياً عن المزيد .

ابن الأسلت : وذكر قصيدة أبي قيس صيفي بن الأسلت ، واسم الأسلت : عامر ، والأسلت : هو الشديد الفطس يقال : سلت الله أنفه ، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهده أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . لاني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الولاية يجاء بهم يوم القيامة ، فيقفون على جسر جهنم ، فمن كان مطاوعاً لله تناوله يمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى واد من نار تلتبب التهاباً ، قال : فأرسل عمر إلى أبي ذر ، وإلى سليمان ، فقال لأبي ذر : أنت سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : نعم والله ، وبعد الوادي واد آخر من نار . قال : وسأل سليمان ، ففكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها ؟ فقال أبو ذر . من سلت الله أنفه وعينيه ، وأضرع خده إلى الأرض . ذكره ابن أبي شيبة .

قصيدته : وأول القصيدة : يارا كبا إما عرضت فبلغن . البيت . المغلطة : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها ، ومنه تغلغل في البلاد : إذا بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تغلل ومغللة ، ولكن قلبوا لإحدى اللامين غيتاً ،

كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغلال والغلالة ، فأما الغلل فمما يستتره النبات والشجر ، وأما الغلالة فساترة لما تحتها .

وفيها نبيتكم شرحين . أى : فريقين مختلفين ، ونبيتكم لفظ مشكل ، وفي حاشية الشيخ : نبيتكم شرحين ، وهو بين في المعنى ، وفيه زحاف حرم ، ولا يمكن لايعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التبيت في هذا البيت ، فبعيد من معناه ، والأزمل : الصوت ، والمذكى : الذى يوقد النار ، والحاطب : الذى يحطب لها ، ضرب هذا مثلا لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام

وقوله : هى الغول للأدنى ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضب . غول الحلم ؛ أى يهلكه ، والغول بفتح الغين . وجع البطن ، قاله البخارى في تفسير قوله ، « لا فيها غول » . وقوله : وإحلال الظباء الشواذب أى ، إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشواذب التى تأتية من بعد ، لتأمن فيه فهى شاذبة أى ، ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرام الظباء ، كونها فى الحرم ، يقال لمن دخل فى الشهر الحرام ، أو فى البلد الحرام ، محرم . والأتحمية . ثياب رفاق تصنع باتين ، والشليل . درع قصيرة ، والأصداء . جمع صدأ الحديد ، والقتير . حلق المدرع شبهها بعيون الجراد ، وأخذ هذا المعنى التثوخي فقال :

كأثواب الأراقم مزقتها فخاطتها بأعينها الجراد

وقوله في وصف الحرب .

تزين للأقوام ، ثم يرونها بعاقبة إذ بيتت أم صاحب

هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بيزتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها ، فتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

فقوله . أم صاحب ، أى عجوزا كأم صاحب لك ، إذا لا يصحب الرجل إلا رجل فى سنه ، وفى جامع البخارى . كانوا إذا وقعت الحرب يأمرؤن بحفظ هذه الأبيات ، يعنى : أبيات عمرو المتقدمة .

وقوله : ألم تعلموا ما كان في حرب داحس . يذكر معنى داحس إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : ولي امرى فاختار ديناً فإنما . أى : هو ولي امرى فاختار ديناً ، والفاء زائدة على أصل أبى الحسن ، قال في قولهم : زيدا فاضرب : الفاء معلقة أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولي امرى تدين ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفى حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم .

وفى قولها : وما هريق فى الضلال . وروى : فى الضلال جمع صلة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رب ماء هريق فى الضلال من أجل السراب ، لأية لا بهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير يميز بمواضع الماء ، وأذاعت به ، أى : بددته ، فلم يفتح به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، وروى : وما هريق فى أمر ، ومعناه : والذى هريق فى أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وهريق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهى أفها ، وتعملها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين ساف وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصباء .

وفى ذكر الجباب ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقى : هى حفر بمنى ، يجمع فيها دم البدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل : الجباب : السكروش . يقال للسكرش : جبجبة بفتح الجيم ، والذى تقدم واحده : جبجبة بالضم .

حرب داحس والقبراء : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فرس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدخس : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بسلام يسأل شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ فداحس : سمي بهذا الاسم ، لأن أمه كانت لرجل من بنى تميم ، ثم من بنى يربوع اسمه : قرواش بن عوف ، وكان اسم الفهلس : جلوى ، وكان ذو العقال فرساً عتيقاً لحوط بن جابر ، فخرجت به فتانان له ، لتسقياء ، فبصر بجلوى ، فأدلى حين رآها ، فضحك غلبة كانوا هناك ، فاستحيت الفتانان ، ونكستا رأسهما ، فأفالت ذو العقال حتى نزا على جلوى ، وقيل ذلك لحوط فأقبل مغضباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده فى التراب ، ثم دحسها فى رحم الفرس : فسطا عليها ، فأخرج ماء الفحل منها :

واشتملت الرحم على بقية الماء ، وحملت بمهر فسموه : داحساً ، وأظهر ما فيه أن يكون مثل . لابن وتامر ، وأن لا يكون فاعلاً بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى العتال بن أعوج الذى تنسب إليه الخيل الأعوجية فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير هذا القول — ابن سبل ، وكان لثنى بن يعصر ، وفيه يقال :

إن الجواد بن الجواد بن سبل إن ديموا جاد وإن جاد وبل
وفى ذى العقال يقول جرير :

تمسى جياذ الخيل حول بيوتنا من آل أعوج : أو لذى العقال
وأشدد :

أبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار

وفيه إقواء : وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف القوافى فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً لأنه من الكف ، فكانه جعل الرفع كفتاً للخفض ، فسوى بينهما .
وفيه قوله :

ترجو النساء عواقب الاطهار

كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ماداموا محاربين ، وذكر الأصماني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جبلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد فى تلك الايام وقال لبيد :

وغنيت حرساً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

وكان لبيد فى حرب جبلة ابن عشر سنين ، وقوله ، حرساً أى ، وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد وكان إجراء داحس والغبراء على ذات الإصناد = موضع فى بلاد فزارة - وكان آخر أيام حرب داحس بقلبي من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عبس ومنولة ، وهى أم بنى فزارة ، شخ وعدى ومازن ، فيقال لهذا الموضع :

ذكر ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش يأذونه: قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم، سفهاءهم، فكذبوه، وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الأمر لا يستخفي به، مباد لهم ما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

أشد ما أؤذى به الرسول: قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال، قلت له، ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال، حضرتهم، وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط: سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح. قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر وافع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً. قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتهم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادا لكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بجميع رذاته.

قلبي، وأما قلبي فوضع بالحجاز، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان، وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس، وألا يسمع منها شيئاً، حتى يصطاحوا، ويقال، إن الحنفاء كانت فرس حذيفة، وأنها أجزيت مع الغبراء ذلك اليوم. قال الشاعر:

إذا كان غير الله للمرء عدة
أنته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حنف حذيفة
وكان يراها عدة للشهداء

وأما حرب حاطب الذي ذكره، فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الأوس، فنسبت إليه وكانت بين الأوس والخزرج.

(م ٥ - الروض الأنف، والسيرة . ج ٢)

قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أم كلثوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يا أيها المدثر ، قم فأندر ، » .

إسلام حمزة رضى الله عنه

سبب إسلامه : قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ؛ ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه ، راجعا من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمار ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آفا من أبي الحكم بن هشام : وجدته هاهنا جالسا ، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربه بها ، فشججه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ، فأنا على دينه أقول ما يقول ؟ ! فرد ذلك على إن استطعت . فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة . لينصروا أبا جهل . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمار . فإنى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا يتالون منه .

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده ، يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم لآله ، فكلمه ، فقام لآله عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفقت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرنا دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رزقاً رزقاً لا نستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه ، قال : أفد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال فاسمع مني ، قال : أفعل ، فقال « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم ، فهم لا يسمعون ، وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه » . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

رأى عتبة : فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نخلف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأيت أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يامعشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملككم ملككم ، وعزه عنكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بداركم .

قريش تفتن المسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفتشو بمكة في قبائل قريش في الرجال

والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتمتن من استطاعت فنتته من المسلمين ، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة - كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول (ص) : اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبوسنيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدار ، وأبو البختری بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المفيرة ، وأبو جهل بن هشام - لعنه الله - وعبد الله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمّية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنهم ، حتى جلس لإيهم ، فقالوا له يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك ، لنكلمك ، وإنا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفقت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا - فر بما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جثتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جثتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم .

قالوا يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا بما عرضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ، ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليسكن فيمن يبعث لنا منهم : قضى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتك ، صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا - كما تقول - فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جثتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت

إليكم، فإن تقبلوه، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمير الله تعالى، حتى يحكم الله به بيني وبينكم .

قالوا : إذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسله ، فليجمل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وقضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فانك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلمس المعاش كما تلمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتمكم به . فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمير الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ، فاننا لانؤمن لك إلا أن تفعل ، قال فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيجلبك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يملك هذا رجل باليامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك ، أو تهاكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : إن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته فهو لهاتكة بنت عبد المطلب - فقال له : محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلباً ، ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر إليك حتى تأتيا ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وإيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهله حزينا أسفا لما فاته بما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من من مبادئهم إياه .

أبو جهل يتوعد الرسول (ص): فلما قام عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو جهل ، يامعشر قريش ، إن محمداً قد أتى إلانا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فاذا سجد في صلاته ، فضخخ به رأسه ، فاسلبوني عند ذلك ، أو امنعوني ، فبيصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لانسلك لشيء أبداً فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يغدو ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتتم أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقماً لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره . حتى فذف الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قتلت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه نخل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيابها لتفحل قط . فهم بي أن يا كفتي .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ذلك جبريل عليه السلام أو دنا لأخذه .

النضر بن الحارث ينصح قريشا : فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يامعشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمر ما أنيتم له بحيلة بعد . قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثاً . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فاهو بخنفة ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

ما كان من أذى النضر للرسول (ص) : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثاً منه ، فهل لى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ، ثم يقول ، بماذا حمد أحسن حديثاً منى ؟

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى ، سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول - فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

قريش ترسل رسولين إلى المدينة ليسألوا أخبار اليهود في شأن محمد : فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعشوه وبعشوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوا أخبار يهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفا لهم أمره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا لهم : لأنكم أهل التوراة . وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أخبار يهود ، ساوه عن ثلاث ، نأمركم بهن . فإن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل . وإن لم يفعل فالرجل متقول . فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبي . وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش . فقالوا : يا معشر ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول . فروا فيه رأيكم .

قريش تسأل أسئلة والرسول يجيب : فجاءوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . وأخبرنا عن الروح ما هى فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبركم بما سألتهم عنه غداً ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في

ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة . قد أصبحنا منها لا نخبّرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكث الوحى عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته لإياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

الرد على قريش فيما سألوه : قال ابن إسحاق : فذكر لى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سوت ظناً ، فقال له جبريل : « وما تنتزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » فافتتح السورة - تبارك وتعالى - بحمده وذكر نبوة رسوله ، لما أنكروه عليه من ذلك ، فقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، يعنى : محمدآ صلى الله عليه وسلم لأنك رسول منى : أى تحقيق لمأسالوه عنه من نبوتك ، « ولم يجعل له عوجاً قيماً » أى : معتدلاً ، لا اختلاف فيه « لينذر بأساً شديداً من لدنه » : أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وعذاباً أليماً فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولاً . « ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثر فيه أبداً » : أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك به بما كذبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . « وينذر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً » يعنى ، قريشا فى قولهم ، « إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله » ما لهم به من علم ولا آباءهم . « الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » أى : لقولهم . « إن الملائكة بنات الله . « إن يقولون إلا كذبا ، فنعلك باخع نفسك » يا محمد « على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » أى . لحزنه عليهم حين فاتمه ما كان يرجو منهم ، أى : لا نفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك ، أى : مهلك نفسك ، فيما حدثنى أبو عبيدة قال ذو الرمة :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه
لشيء نحتته عن يديه المقادر

وجمعه : باخعون . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب ، قد بختت له نصحى ونفسى ، أى جهدت له - « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لتبلوهم أيهم أحسن عملاً » -

قال ابن إسحاق : أى ، أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . « وإنا لجالعون ما عليها صعيداً جزاً » أى : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ، وإن المرجع لى ، فأجزى كلا بعمله ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظبياً صغيراً .

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به
دبابة فى عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضاً : الطريق . وقد جاء في الحديث : « لياكم والقعود على الصدقات ، يريد الطرق . والجرز : الأرض التي لا تنبت شيئاً ، وجمعها : أجزاز . ويقال : سنة جرز ، وسنون أجزاز ، وهي التي لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلا :

طوى النحر والأجزاز ما في بطونها

فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له :

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الفتية ، فقال : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » أي : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رقم . قال العجاج :

ومستقر المصحف المرقم

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهي لنا من أمرنا رشداً ، فمخربنا على آذهم في الكهف سنين عدداً . ثم بعثناهم : لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبشوا أمداً » . ثم قال تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » : أي : بصدق الخبر عنهم : « لأنهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ، فقالوا : ربنا رب السموات والأرض إن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قاننا إذا شططا » : أي لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بن قيس ابن ثعلبة :

كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

لا يذتهون ، ولا ينهى ذوى شطط

وهذا البيت في قصيدة له .

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فن أظلم من افتري على الله كذبا . وإذا اعتزلتموه ، وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ، ينشركم

ربكم من رحمته ، ويهيء لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم في فجوة منه .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور : وقال امرؤ القيس بن حجر :

ولاني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترى منه القرانق أزورا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزحف السكبي يصف بلداً :

جأب المندى عن هوانا أزور ينضى المطايا خمسة العشنزر

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تقرضهم ذات الشمال » : تجاوزهم وتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظعن يقرضن أفواز مشرف شمالا وعن أيمنهن الفوارس

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السعة ، وجمعها : الفجاء قال الشاعر :

ألبيت فومك مخزاة ومنقصة حتى أبيعوا ، وخلوا فجوة الدار

« ذلك من آيات الله » أى في الحجّة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، بمن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم . « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين ، وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالصيد » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العبسي ، واسمه : عميد بن وهب :

بأرض فلاة لا يسد وصيدها على ، ومعروفي بها غير منكر

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضاً : الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووصد ، ووصدان ، وأصد ، وأصدان .

« لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملت منهم رعبا » ... إلى قوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم » أهل السلطان والملك منهم : « لتتخذن عليهم مسجداً سيقولون » يعنى : أحبار يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم : « ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجماً بالغيب » أى لا أعلم لهم « ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً ، أى : لا تكبرهم . ولا تستفت فيهم منهم أحداً ، فإنهم

لاعلم لهم بهم . « ولا تقولان لشيء : إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لأفرب من هذا رشداً » أى : ولا تقولان لشيء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إني مخبركم غداً : واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل : عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتونى عنه رشداً ، فإنك لا تدري ما أنا صانع فى ذلك . « ولبشوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » : أى : سيقولون ذلك . « قل الله أعلم بما لبشوا ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه أحداً » أى : لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : « ويسئلونك عن ذى القرنين قل : سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكننا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحد غيره فمدت له الأسباب ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا سلاط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسحاق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا من عليه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر ، واسمه : مرزبان بن مرذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافت بن نوح .

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ، ففسدت لىه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن ذى القرنين ، فقال : ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفرآ ، أما رضىتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميت بالملائكة ؟ !

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » الإسراء : ٨٥ .

ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً : قال ابن إسحاق : وحدث عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا فإنك تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لأنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أفتموه . قال : فأُنزل الله تعالى عليه فيما سأله عنه من ذلك : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أفلام ، والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » : أى إن التوراة في هذا من علم الله قليل .

تسيير الجبال وبعث الموتى ، قال : وأُنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : « ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال ، أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً » أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

خذ لنفسك : وأُنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ، ما سأله أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً ، وبيعت معه ملكاً يصدقه بما يقول ، ويرد عنه : « وقالوا ، ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى في الأسواق ؟ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو ياتى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر : كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ، تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك » : أى من أن تمشى في الأسواق وتلمس المعاش « جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً » .

وأُنزل عليه في ذلك من قولهم : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أنصبرون وكان ربك بصيراً » أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت .

الفرآن يرد على ابن أبي أمية : وأُنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء - ولن نؤمن لرقيك ، حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل : سبحان ربي ، هل كنت إلا بشراً رسولاً » .

قال ابن هشام : ينبوع ما ينبع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة ، واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفهرى :

وإذا هرقت بكل دار عبرة نرف الشئون ، ودمعك ينبوع

وهذا البيت في قصيدة له . والكسف القطع من العذاب . وواحدته : كسفة . مثل سدرة وسدر . وهى أيضاً

واحدة الكسف والقبيل : يكون مقابلة ومعايشة . وهو كقوله تعالى : « أو يأتينهم العذاب قبلا » : أى : عيانا .
وأشددنى أبو عبيدة لأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أصالحكم ، حتى تبوءوا بمثلها كصرخة جبلى يسرتها قبيلها

يعنى : القابلة ، لأنها تقابلها ، وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال القبيل : جمعه قبل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شىء قبلا » . فقبيل : جمع قبيل ، مثل سبل : جمع سبيل ، وسرر : جمع سرير ، وقصص : جمع قيص . والقبيل أيضاً : فى مثل من الأمثال وهو قولهم : ما يعرف قبيلنا من دبير : أى لا تعرف ما أقبل مما أدبر ، قال الكهيت بن زيد :

تفرقت الأمور بوجهتهم فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قتل إلى الذراع فهو القبيل ، وما قتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت . ويقال : قتل المغزل . فإذا قتل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا قتل إلى الورك فهو الدبير . والقبيل أيضاً : قوم الرجل . والمزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

من طلل أمسى تخال المصحفا رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مزين : مزخرف .

!اقرأ أن ينفى أن رجلا من الإمامة يعلمه : قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل بالإمامة . يقال له : الرحمن . ولن تؤمن به أبدا : « كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك . وهم يكفرون بالرحمن . قل : هو ربى . لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » .

ما نزل فى أبى جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : « أ رأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أ رأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتنقى ، أ رأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

قال ابن هشام : لنسفاً : لنجدين ، ولناخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم من بين ملجم مره أو سافع

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ، ويقصون فيه أمورهم ، وفى كتاب الله تعالى : « وتأتون فى نادىكم المنكر » وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب لىك فانى من بنى أسد
أهل الندى ، وأهل الجرد والنادى

وفى كتاب الله تعالى : « وأحسن نديا » وجمعه : أندية . يقول : فليدع أهل نادية . كما قال تعالى : « واسأل القرية » يريد أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان : يوم مقامات ، وأندية
ويوم سير لى الأعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :

لا مهازير فى الندى مكاتير
ولا مصمتين بالأخام

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع : خزنة النار . والزبانية أيضاً فى الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد : زبنية ، قال ابن الزبير فى ذلك :

مطاعم فى المقرى ، مطاعين فى الوغى
زبانية غلب ، عظام حلومها

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهذلى ، وهو صخر الغى :

ومن كبير نفر زبانية

وهذا البيت فى أبيات له .

ما ذكره القرآن فى شأن ما عرضه عليه من الأموال : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : « قل : ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد » .

قريش تمتنع من الايمان حسداً : فلما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم

وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أى : اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتوه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

استهزاء أبى جهل بالرسول : فقال أبو جهل يوما . وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ، ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عددا ، وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » . إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله . صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوته ، فظن الذى يستمع أنهم لا يسمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه .

ولا تجهر بصلاتك : قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يجب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم ، لعله ينعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع بها .

ابن مسعود يجهر بالقرآن وما أصابه من قومه : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك لما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سميع عليم . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أندية حتى قام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » رافعا بها صوته « الرحمن علم القرآن » قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : ليلتوا بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لا غادينهم بمثلها غدا ، قالوا : لا ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

مالقي رسول الله (ص) من قومه

فصل : فيما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي ، وابن عقبة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حشو سفهاهم التراب على رأسه ، ومنها أنهم كانوا ينضدون الفرت والأفث والدماء على بابه ، ويطحرون رحم الشاة في برمته ، ومنها : بصق أمية بن خلف في وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبي معيط على رقبتة ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السب والهجو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق في الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسمية أم عمار بن ياسر : ما آمنت به محمد إلا لأنك عشقته لجماله ، ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

سبب تلقيبه بالمدثر : و ذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دثروني دثروني » فأ نزل الله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأ نذر » قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه بالمدثر في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يا نومان ، وقوله لعلي بن أبي طالب - وقد ترب جنبه : قم أبا تراب فلو ناداه سبحانه ، وهو في تلك الحال من السكر باسمه ، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك ، ولكن لما بدى ، بيأياها المدثر أنس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والسكر ما لقي : رب إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد .

تلقية بالندير العريان : فإن قيل : كيف ينتظم أيها المدثر مع قوله : قم فأ نذر ، وما الرابطين المعنيين ؛ حتى يلتصقا في قانون البلاغة ، ويتشاكلا في حكم الفصاحة ؟ قلنا : من صفتة عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال : أنا الندير العريان وهو مثل معروف عند العرب ، يقال لمن أنذر بقرب العدو ، وبالخ في الإنذار ، هو الندير العريان ، وذلك أن الندير الجاد بجرد ثوبه ، ويشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خثعم سلبه العدو ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نديراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا الندير العريان أي : مثل مثل ذلك ، والندثر بالثياب مضاد التعري ، فكان في قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأ نذر) والندير الجاد يسمى : العريان : تشاكل بين ، والثناء بديع وسماة في المعنى ، وجرالة في اللفظ .

تقديم المفعول على فعل الأمر :

وقوله بمد هذا : « وربك فكبر » أى : ربك كبر ، لا غيره ، لا يكبر عليك شئ من أمر الخلق ، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر لإخلاص ، ومثله قوله : إياك نعبد أى : لا نعبد غيرك ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك وفي الحديث : إذا قال العبد : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، يقول الله تعالى : أخلص لى عبدى العبادة ، واستعاننى عليها ، فهذه بينى وبين عبدى .

الرئى فى قول عتبة : فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رثياً تراه . ولغة بنى تميم : رثى بكسر الراء ، وكذلك يقولون فى كل فعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرثى : فعيل بمعنى مفعول ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون فعيل بمعنى مفعول فى غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيمن لطم : لطم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطم الشيطان : قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : ألا إن أباذبان قتل لطم الشيطان : « كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » ، وقالوا من الحمد : حميد ، ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا فى الجن : رثى ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر فى المرثى ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

إسلام حمزة : فصل : وذكر لإسلام حمزة ، وأمه : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب : عم أمينة بنت وهب تزوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد الله أمته فى ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت أمته لعبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتها ثويبة كما تقدم ، وزاد غير ابن اسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب ، وقلت أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب فما استتممت دعائى حتى زاح عنى الباطل ، وامتلأ قلبى يقيناً - أو كما قال - فغدوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعأ لى بأن يثبتنى الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

إلى الإسلام والدين الخفيف

خبير بالعباد بهم لطيف

تحدر دمع ذى اللب الحفيف

بآيات مينة الحروف

فلا تغشوه بالقول العنيف

حمدت الله حين هدى فؤادى

لدين جاء من رب عزيز

إذا تليت رسائله علينا

رسائل جاء أحمد من هداها

وأحمد مصطفى فينا مطاع

فلا والله نسله لقوم
ونترك منهم قتلى بقاع
وقد خبرت ما صنعت ثقيف
إله الناس شر جزاء قوم
ولما نقض فيهم بالسيف
عليها الطير كالورد العكوف
به ، فجزى القبائل من ثقيف
ولا أسقام صوب الخريف

الآيات التي طلبتها قريش : فصل : وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإزالة الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتعبدهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، لو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بطالت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار ، لأنها دار تعبد واختيار ، وجعل الأمر يعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار ، لا يستحق به ثواب ولا جزاء ، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب بالآيات نحو ما سأله من إزالة الجبال عنهم وإزالة الملائكة يوجب في حكم الله ، ألا يلبث الكافرين بها ، وأن يعاجلهم بالنقمة ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ما سأله من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ، ولكن الله أكرم محمدا في الأمة التي أرسله إليهم ، إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب ، ويصدق به من يصدق ، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر ، أما البر فرحمته إليهم في الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر ، فإنهم آمنوا من الحسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء . كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » مع أنهم لم يستلوا ما سألو من الآيات إلا تعنتا واستهزاء ، لا على جهة الاسترشاد ، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف ، قال الله سبحانه : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ، وفي هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن اسحاق في غير هذا الرواية أنهم سألو أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ما شئتم إن شئتم فعلت ما سألتكم ، ثم لانباشكم إن كذبتم بعد معاينة الآية ، فقالوا : لا حاجة لنا بها .

عبد الله بن أبي أمية : فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حذيفة . والله لا أومن بك حتى تتخذ سلباً إلى آخر الكلام ، وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة ، وسيأتي ذكر إسلامه .

أبو جهل وإلقاء الحجر : وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساجد . وقد رواه النسوي بإسناد إلى أبي هريرة قال : قال أبو جهل ، وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهل على عقبيه ، فقالوا : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لحدقاً من نار ، وهولا وأجنحة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لودنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، وخرجه أيضاً مسلم وذكر النسوي أيضاً بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له : ألم أنكه ؟ فوالله ما بمكة ناد أعز من نادى ، فأنزل الله تعالى : « رأيت الذي ينهى عبداً » إلى قوله : « فليدع ناديه ، سندع الزبانية » .

تفسير رأيت ولنسفاً : قال محمد بن يزيد : في الكلام حذف ، تقديره : رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، أمصيب هو أو مخطيء ؟ وكذلك في قوله : « رأيت إن كان على الهدى » كأنه قال : أليس من ينهاه بضال ؟ وقوله « لنسفاً بالناسية » أي لناخذن بها إلى النار ، وقيل معنى السفع هبنا : إذلاله وقهره ، والنادى والندى والمنندي بمعنى واحد ، وهو : مجلس القوم الذين يتنادون إليه ، وقال أهل التفسير فيه أفوالا متقاربة ، قال بعضهم : فليدع حيه ، وقال بعضهم : عشيرته ، وقال بعضهم : مجلسه ، وفي رأيت معنى : أخبرني ، ولذلك قال سيبويه : لم يحز إلغاؤها ، كما تلغى : علمت ، إذا قلت : علمت أزيد عندك أم عمرو ، ولا يجوز هذا في : رأيت ، ولا بد من النصب إذا قلت : رأيت زيدا ، أبو من هو ؟ قال سيبويه : لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة : أخبرني في جميع أحوالها ، قال المؤلف : وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان ، وذلك أنها في القرآن ملغاة ، لأن الاستفهام هو مطلوبها ، وعليه وقعت في قوله : « رأيت ، إن كذب وتولى ، ألم يعلم » فقوله : ألم يعلم : استفهام ، وعليه وقعت : رأيت ، وكذلك : رأيتم ، وأرأيتم في الأنعام ، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو : « هل يهلك إلا القوم الظالمون » وهذا هو الذي منع سيبويه في : رأيت وأرأيتمك أبو من أنت ؟ وأما البيان فالذي قاله سيبويه صحيح ، ولكن إذا ولي الاستفهام : رأيت ، ولم يكن لها مفعول سوى الجملة ، وأما في هذه المواضع التي في التنزيل ، فليست الجملة المستفهم عنها هي مفعول : رأيت ، وإنما مفعولها محذوف بدل عليه الشرط ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : رأيتم صنيحكم إن كان كذا وكذا ، كما يقول القائل : رأيت إن لقيت العدو أقتاتله أم لا ؟ تقدير الكلام : رأيت رأيك أو صنيحك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دال على ذلك المحذوف ، ومرتبطة به ، والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع ، إلا أن فيه زيادة بيان لما استفهم عنه ، ولوزال الشرط ، ووليها الاستفهام لتبجح كما قال سيبويه ، ويحسن في : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما فبجه مع رأيت خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني ، فتدبره .

حديث النضر بن الحارث وبعض أخبار الفرس: فصل: وذكر حديث النضر بن الحارث، وما نزل فيه من قول الله تعالى: (قالوا: أساطير الأولين) واحد الأساطير: أسطورة كأحدوثه وأحاديث، وهو ماسطره الأولون، وقيل: أساطير: جمع أسطار، وأسطار جمع: سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء، فجمعه: أسطر، وجمع الجمع: أساطر بغير ياء، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشاً بأحاديث رستم وأسفندياذ، وما نعلم في بلاد الفرس من أخبارهم، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله، وقد قيل فيه نزلت: « ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، » .

وأما أحاديث رستم، ففي تاريخ الطبري أن رستم بن ريسان كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب، بعد ما قتل أباه لهراسب ابن كى أجو. وكى في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء، ويقال: عبارة عن إدراك الثأر، ويقال لهؤلاء الملوك: السكينية من أجل هذا، وكان رستم الذى يقال له: رستم سيد بنى ريسان من ملوك الترك، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه، فسجنه حسداً له على ما ظهر من وقائعه في الترك، حتى صار الذكر له، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس، وسبوا بنتين: ليستاسب، اسم لإحداهما: خنائة، أو نحو هذا، فلما رأى يستاسب ألا يدين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن، وهو أسفندياذ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش، فنهذ إلى رستم، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها، ولكنه قتل رستم، واستباح عساكره، ودوخ في بلاد الترك، واستخرج أخته من أيديهم، ثم مات أسفندياذ قبل أبيه، وكان ملك أبيه نحواً من مائة عام، ثم عهد إلى بهمن ابن أسفندياذ، فولاه الأمر بعد موته. وبهمن بلغتهم: الحسن النية، ودام ملكه نيفاً على مائة عام، وكان له ابنان: ساسان ودارا، وقد أملينا في أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام، ورستم آخر مذکور أيضاً قبل هذا في أحاديث كى قباد، وكان قبل عهد سليمان، ثم كان رستم وزيراً بعد كى قياذ لابنه كى فاووس، وكانت الجن قد سخرت له. يقال إن سليمان أمرهم بذلك، فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبري ذكر منها أخباراً عجيبة .

وذكر أنه هم بما هم به نمرود من الصعود إلى السماء، فطرحته الريح، وضعضعت أركانه، وهدمت بنيانه. ثم ثاب إليه بعض جنوده، فصار كسائر الملوك يغلب تارة، ويغلب بخلاف ما كان قبل ذلك، وسار بجنوده إلى اليمن فنهد إليه عمرو ذو الأذعار، فهزمه عمرو، وأخذه أسيراً، وحبسه في محبس حتى جاء رستم، وكان صاحب أمر، فاستنقذه من عمرو، إما بطوع، وإما بإكراه، وردّه إلى بلاد فارس. ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب. وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في صغره، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات، وقام ابنه كى خمسرو يطلب بثأره. فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلاً، وكان الظفر له، فلما ظفروا رأى أمه في أعدائه ما ملأ عينه قرّة، وقلبه سروراً زهد في الدنيا، وأراد السياحة

في الأرض ، فتعات به أبناء فارس ، وحذرتة من شتات الشمل بعده ، وشماتة العدو ، فاستخلف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كيشة ، بن كي قاورس المتقدم ذكره ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفندياذ هو رستم صاحب كي قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ما بين كي قاووس وكي يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان في مدة السكيذية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بخت نصر البابلي على العراق ، فكان من أموره مع بني إسرائيل وإلخانه فيهم ، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه لنساء ملوكهم ولذرائرهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ما هو مشهور في كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع في كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم واسفندياذ ، وكانت السكيذية مدة عيسى بن مريم ، أولهم في عهد أفريدون قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم في مدة الإسكندر ابن قليس والإسكندر هو الذي سلب ملكهم وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاماً ، وقيل : أقل من ذلك في قول الطبري ، وقول المسعودي : خمسمائة وعشر سنين ، في خلال أمرهم بعث عيسى بن مريم ، ثم كانت السامانية نحواً من ثلاثين ملكاً حتى قام الإسلام ، ففرض خدمتهم . وخضد شوكتهم ، وهدم هياكلهم ، وأطفأ نيرانهم التي كانوا يعبدون ، وذلك في خلافة عمر .

سورة الكهف ترد على استفسارات اليهود : فصل : ذكر ابن إسحاق إرسال قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلى يهود وما رجعوا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التي قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو متقول ، فقال لهم : سأخبركم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً ، وفي سيرة التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .

افتتاح الرب سبحانه بحمده نفسه : وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبد كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته ، والعبارة عن جلالة ، لقصور كل عبارة عما هنالك من الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجباً على العبد قدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه : وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه ، وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك . قال الله سبحانه : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » فلما افتتح السورة بتبارك الذي ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة

الفرقان ، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتتام الكلام نرى الإعجاز ظاهراً ، والحكمة باهرة ، والبرهان واضحاً .

شرح شعر ذى الرمة : وأنشد لذى الرمة :

كأنه بالضحى ترمى الصعيد به
دبابة في عظام الرأس خرطوم

يصف ولد الظبية : والخرطوم : من أسماء الخمر ، أى كأنه من نشاطه دبت الخمر في رأسه . وأنشد له أيضاً :

طوى النحر والأجزاء البيت . والنحر النخس ، والنحاز داء يأخذ الإبل والنحيزة : الغريزة ، والنحيزة : نسيجة كالحزام : والضلوع الجراشع ، وهو جمع جرشع . قال صاحب العين . الجرشع : العظيم الصدر ، فعناه إذأ في البيت على هذا : الضلوع من الهزال قد نتأت ، وبرزت كالصدر البارز .

معنى الرقيم : فصل : وذكر الرقيم وفيه سوى ما قاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيم : الكلب ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والنسليين وحناناً والأواه ، وقد ذكرت أسماءهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهى : مليخا ، كسليما ، مرطوش ، ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش . وقيل في اسم مدينتهم : أفسوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم ، بل صاروا تراباً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فأنه أعلم . روى أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى بن مريم . ألفت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة .

إعراب . لتعلم أى الخزيين أحصى .. الآية : وذكر قول الله تعالى : ولتعلم أى الخزيين أحصى لما لبثوا أمداً ، قد أملينا في إعراب هذه الآية نحواً من كراسة ، وذكرنا ما وهم فيه الزجاج من إعرابها ، حيث جعل أحصى اسماً في موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأمداً : تمييز وهذا لا يصح ، لأن التمييز هو الفاعل في المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أبا ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أقره عبداً ، فالعبد هو الفازة ، فيلزم على قوله إذأ أن يكون الأمد فاعلاً بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو مفعول ، وأحصى : فعل ماض ، وهو الناصب له ، وذكرنا في الإملاء أن أيهم ، قد يجوز فيه النصب بما قبله إذا جعلته خبراً ، وذلك على شروط بينها هنا هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا أسرارها .

أحوال أهل الكهف في نومهم وفائدة قصتهم : وقوله سبحانه : فضربنا على آذانهم ، أى : أنمناهم ،

وإنما قيل في النائم : ضرب على أذنه ؛ لأن النائم ينسبه من جهة السمع ، والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على الباب ، أو ذكر قوله تعالى : « تزاور عن كهفهم ذات اليمين » الآية . وقيل في تقرضهم : تحاذيهم وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً من القرض ، وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ، وأما فائدة المعنى ، فإنه بين أنهم في مقنوة من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال . لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف ، وحال كلهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوصيد منه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وإن هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم ، فإن المطلع عليهم يملاً منهم رعباً ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من حالهم ، والنبي عليه السلام لم يرهم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم ؛ لأنه أمدى في أمة أمية ، وقد جاءكم بيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد ، وهم في الفجوة ، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته ، ودليل واضح على صدقه ، وأنه غير متقول ، كما زعموا ، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف ، والمراد بها تعصم إن شاء الله بما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله ، وقولهم : أى فائدة في أن تكون الشمس تزاور عن كهفهم ، وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة ، أى : بابه لجهة الشمال ، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم ، حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم ، فيقال : لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا : فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة ، وما فيه من معنى اللطف بهم ؟ فالجواب : ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً ، حتى ذكر حال كلهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب ، فكيف من لم يرهم ، ولا سمع بهم ، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي ، والبرهان الكافي ، والرعب الذي كان يلحق المطلع عليهم قيل : كان مما طالت شعورهم واظفارهم . ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه : « في فجوة منه » أى : في فضاء ، ومع أنهم في فضاء منه ، فلا تصيبهم الشمس . قال ابن سلام : فهذه آية . قال : وكانوا يقبلون في السنة مرتين ، ومن فوائد الآية : أنه أخرج الكلب عن التقليب ، فقال : بأسط ذراعيه ، ومع أنه كان لا يقبل لم تأكله الأرض ؛ لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم ، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والكلب خارج من هذه الآية . ألا تراه كيف قال : بالوصيد ، أى : بفضاء الغار لا داخل معهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب فهذه فوائد جمعة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقبلون في الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

أهل الكهف : فصل : وذكر قول الله سبحانه : « قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجداً »

وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لنتخذن عليهم مسجدا .
وذكر الطبرى أن أهل تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم فى الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم
القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا :
تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشرى بينهم الشر ، واشتد الخلاف ، واشتد على ملكهم
ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المسوح ، وافترش الرماد ، واقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما
اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه
آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عزوجل كما أحيا هؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك
يعيد الخالق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

وإلى الثمانية : وذكر قول الله سبحانه (ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم) قد أفردنا للكلام على هذه الواو
التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية بابا طويلا ، والذي يليق بهذا الموضع أن هذا الواو تدل على تصديق
القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمرة ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلبهم ، وذلك أن قائلوا قال : إن زيدا
شاعر ، فقلت له : وفقهه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقهه أيضا ، وفى الحديث :
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتوضأ بما أفضلت الخمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما
أفضلت السباع . خرجه الدارقطنى . وفى التنزيل : « وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ،
قال : ومن كفر » هو من هذا الباب . فكذلك ما أخرج عنهم من قولهم : ويقولون سبعة ، فقال سبحانه :
« وثامنهم كلبهم » وليس كذلك : سادسهم كلبهم ، ورابعهم كلبهم ، لأنه فى موضع الرفع لما قبله ، فهو داخل
تحت قوله سبحانه : « رجما بالغيب » ولم يقل ذلك فى آخر القصة .

إلا أن يشاء الله : فصل : وذكر قول الله تعالى (ولا تقولن لشيء) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئا الله .
الشيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ،
فلفظ الآية مشكل جدا ، لأن قوله : « لا تقولن لشيء لى فاعل ذلك غدا » نهي عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه
عن أن يصدقه بالآلة أن يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصدقه بقوله إلا أن يشاء الله .
هذا محال : فقوله إذا : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجع إلى أول الكلام ، وهذا أيضا إذا تأملته نقض
لعزيمة النهى ، وإبطال حكمه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ،
لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فللعبد إذا أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون النهى معنى
على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ،
والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : لى فاعل ذلك غداً إلا إذا كره إلا أن يشاء الله ،

أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذا كراً شديدة الله ، كما قال ابن إسحاق ، لأن الشديدة مصدر ، وأن مع الفعل ، في تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفي بالمقول . ففي التنزيل : « فأما الذين أسودت وجوههم أ كفرتهم ، أي : يقال لهم : أ كفرتهم ، لحذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : « يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم » أي يقولون سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذاً قوله « إلا أن يشاء الله » هي من كلام الناهي له سبحانه ، ثم أخبر القول ، وهو الذكر الذي قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفي في هذا المقام ، وإن كان في الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

وليشوا في كفرهمهم : فصل : وقد فسر قوله تعالى : (وليشوا في كفرهم) فقال : معناه أي سيقولون ذلك ، وهو أحد التاويلات فيها . وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود : وقالوا ؛ لبشوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربي أعلم بما لبشوا ، وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : (قل : الله أعلم بما لبشوا) وقد قيل : إنه لإخبار من الله تعالى عن مقدار لبشهم ، ولكن لما علم استبعاد قریش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فن ثم قال : « قل : الله أعلم بما لبشوا » وقوله : « ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا » أي : إنها ثلاثمائة بحسب العجم ، وإن حسبت الأهله ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحسب الشمس تزيد تسع سنين بحسب القمر فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد في العربية ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عدل بالإنظ عن الإضافة إلى للبدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لبشهم ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة وطائفة لم يعرفوا طول لبشهم ، ولا شيئاً من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معرفاً للأولين بالكمية التي شكوا فيها ، ميئنا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، ليست أياماً ولا شهوراً ، فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد ، وجمع المعدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبيين ما قبله ، ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيباً ، ولم يكن العجب إلا من طول لبشهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل . فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ، ومن لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا التفسير عن الضحاك . ذكره النحاس .

الفرق بين السنة والعام : فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواماً ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب فيهما ، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعاً ، ولكن بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقاً ، فنحذه أولاً من الاشتقاق ، فإن السنة من سنا يسنو إذا دار حول البئر ، والداية : هي السانية ، فكذلك السنة دوة من دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : داراً ، ففي الخبر : إن بين آدم ونوح ألف دار ، أي : ألف سنة ، (م ٨ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

هذا أصل الاسم ، ومن ثم قالوا : أكلتهم السنة ، فسموا شدة القحط سنة ، قال الله سبحانه : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ومن ثم قيل : أسنت القوم إذا أقحطوا ، وكان وزنه أفتعوا ، لا أفعلوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيموية التاء بدلا من الواو ، فهي عنده : أفعلوا ، لأن الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون ، وأصحاب الكهف من أمة عجمية ، والنصارى يعرفون حديثهم ، ويؤرخون به ، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن حسابهم بالشهور القمرية كالحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا إلى قوله : « تزرعون سبع سنين دأبا » ولم يقل أعواماً ، ففيه شاهد لما تقدم ، غير أنه قال : « ثم يأتي من بعد ذلك عام » ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن القعدة والأزمة كما تقدم ، فلو قال : سنة لذهب الوهم إليها لأن العام أقل أياما من السنة ، وإنما دلت الرؤيا على سبع سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، وازيادة على العام مشكوك فيها ، لا تقتضيهما الرؤيا ، فحكم بالآقل ، وترك ما يقع فيه الشك من ازيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله : « وبلغ أربعين سنة » ، وإنما ذكر السنين ، وهي أطول من الأعوام ، لأنه مخبر عن اكنهال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ، لأنها أكمل من الأعوام وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل ربيعى للبكير وصيفى للمؤخر ، قال الراجز :

إن بنى صبيسة صيفيون أفاح من كان له ربيعون

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في المشاشية لما قدمنا ، وأما قوله : « وحمله وفصاله في عامين » ، فإنه قال سبحانه : « يستلونك عن الأهله ، قل : هي مواقيت للناس والحج » البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهله ، وكذلك قوله : « يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعني شهر المحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بينير ، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه : « فأما الله مائة عام » لإخبار منه لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمه وحسابهم بالأعوام والأهله كما وقت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » قيل : إنما ذكر أولاً السنين ، لأنه كان في شدائد مدته كلها إلا خمسين عاماً منذ جاءه الفرج ، وأتاه العوث ، ويجوز أن يكون الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفاً ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواماً ، فيكون عمره ألف سنة ، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة ، لأن خمسين عاماً بحساب الأهله أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ، فإن كان الله

سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففي القول الأول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتزويل الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها اللاتقة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن ؛ وابن هذا الاصل تعرف المعنى في قوله تعالى : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقوله تعالى : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة بما تعدون ، وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك اليوم ، والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

قصة ذى القرنين : فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان ملكا مسح الارض بالاسباب ، ولم يشرح معنى الاسباب ولاهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا في قوله تعالى : « وآتيناه من كل شئ سبياً » : أى : علماً يتبعه ، وفي قوله تعالى : « فأتبع سبياً أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب : حمل من نور ، كان ملك يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل في اسم ذلك الملك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبياً أى : طريقاً ، ويقرب أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالاسباب ، واختلف في تسميته بذى القرنين ، كما اختلف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ما جاء في ذلك ماروى عن أبي الطفيل عامر بن وائلة قال : سأل ابن السكواء على بن أبى طالب ، فقال : رأيت ذا القرنين ، أنبيا كان أم ملكا ؟ فقال : لا نبيا كان ، ولا ملكا ، ولكن كان عبداً صالحاً دعاه قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قرني رأسه ضربتين ، وفيكم مثله - يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له ضفيران من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر : قرنا ، وقيل : لأنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب القيروانى العابد في كتاب البستان له ، قال : وبهذا سمى ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مرزبان بن مرذبة بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه : هرمس ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب اسمه الصعب ابن ذى مرثد ، وهو أول التباغة ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام في بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أثنيان الذى قتل الضحاك ، ويروى في خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إباد ! أين الصعب ذو القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان ذلك كالحظة عين ، وأنشد ابن هشام الأعشى :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويلاً

بالحنو فى جدت أمم مقيم

وقوله بالحنو يريد : حنو قراقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق ، وقرن ابن هشام في السيرة : لأنه من

✓ أهل مصر ، ولأنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية ، فعرفت به : قول بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمي ذا القرنين أيضاً تشبهاً له بالأول ، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فسيما ذكروا أيضاً ، وأذل ملوك فارس ، وقتل دارا بن دارا ، وأذل ملوك الروم وغيرهم ، وقال الطبرى في الإسكندر : وهو إسكندروس بن قليقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، وكانت أمه زنجية ، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها ، فوجد منها نكبة

استثقلها ، فعولجت بشقله ، يقال لها : اندروس ، فحملت منه بدارا الأصغر ، فلما وضعته ردها ، فتزوجها والد الإسكندر ، فحملت منه بالإسكندروس ، فاسمه عندهم مشتق من تلك البقلة التي طهرت أمه بها فيما ذكروا ، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن معد وقال ابن حبيب في المحبر في ذكر ملوك الحيرة ، قال : الصعب بن قرين : هو ذو القرنين ، ويحتمل أن يكونوا ملوكا في أوقات متى ، يسمى كل واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والاول كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدهما الخضر ، ولم يجدها ذو القرنين . حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين .

الترسمى بأسماء الأنبياء: وأما قول عمر لرجل سمعه يقول: ياذا القرنين: لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام، فهو ملك، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق؛ وإن كان قاله بتأويل تأوله فقد خالف عليا في الخبر المتقدم، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلا؛ غير أن الرواية المتقدمة عن علي يقوفا ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين والله أعلم. وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء؛ فقد أنكروا على المغيرة تكنيته بأبي عيسى، وأنكر علي صهيب تكنيته بأبي يحيى؛ فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كناه بذلك؛ فسكت. وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار؛ وأن يظن أن السلسلين شرفا في الاسم إذا سمى باسم نبي أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه، هو أعلم بما كرهه من ذلك. وإلا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم: أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهنم بن حذيفة، وخاطب وخطاب ابنا الحارث، كل هؤلاء المحمدين كانوا يكتبون بأبي القاسم لإلا محمد بن خطاب، وسمى أبو موسى ابناً له بموسى، فكان يكتبون به، وأسيد بن حضير سمى ابنه بيحيى، وعلم به النبي عليه السلام فلم ينسكرك عليه، وكان لطلحة عشرة من الولد، كلهم يسمى باسم نبي، منهم: موسى بن طلحة وعيسى، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم، ومحمد، وكان للزبير عشرة، كلهم يسمى باسم شهيد؛ فقال له طلحة: أنا أسميهم بأسماء الأنبياء، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء، فقال له الزبير: فإني أطمع أن يكون بنى شهداء، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء، ذكره بن أبي خيثمة. وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم، والآثار في هذا المعنى كثيرة. وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: سموا بأسماء الأنبياء، وهذا محمول على الإباحة، لا على الوجوب، وأما التسمي بمحمد، ففي مسند الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من كان له ثلاثة من الولد، ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جعلني، وفي المعيطي عن مالك أنه سئل عن اسمه محمد، ويكنى أبا القاسم، فلم ير به بأساً، فقيل له أكتبت ابنك أبا القاسم، واسمه محمد؟ فقال: ما كنيته بها ولكن أهله يكتنونها، ولم أسمع في ذلك نهياً، ولا أرى بذلك بأساً، وهذا يدل على أن مالك لم يبلغه، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك، وقد رواه أهل الصحيح فإله أعلم - ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال: مالذي أحل اسمي وحرمت كنيتي، وهذا هو الناسخ لحديث

النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكلم بأبي القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي المعيطي أيضاً أنه سئل عن التسمية بمهدى فكرهه ، وقال : وما عليه بأنه مهدى ، وأباح التسمية بالهادي ، وقال : لأن الهادي هو الذي يهدي إلى الطريق وقد قدمنا كراهية مالك للتسمي بجبريل ، وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عمر للتسمي بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمي بياسين .

ويسألنيك عن الروح : فصل : وذكر سؤا لهم عن الروح وما أنزل فيه من قوله تعالى : « ويسئلونك عن الروح » الآية . وروى عن ابن إسحاق من غير طريق البكائي أنه قال في هذا الخبر : فناداهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم : هو جبريل ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش : استلوه عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبي ، وإن لم يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : استلوه عن الرجل الطواف ، وعن الفتية ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل متقول ؛ فسوى في الخبر بين الروح وغيره .

من هو الروح ؟ واختلف أهل التأويل في الروح المسئول عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ، لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن الرسول - صلى الله عليه وسلم قال لقريش حين سأله : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خلق من الملائكة على صور بني آدم ، وقالت طائفة : الروح خلق يرون الملائكة ، ولاتراهم ، فهم الملائكة كالملائكة لبني آدم ، وروى عن علي أنه قال : الروح ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يسبح الله بلغات مختلفة ، وقالت طائفة : الروح الذي سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فنتهم من قال : لم يجبههم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سؤا لهم ، لأنهم سأله تعنتاً واستهزاء ، فقال الله له قل الروح من أمر ربي ، ولم يأمره أن يبينه لهم ، وقالت طائفة بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سأله ، لأنه قال لنبيه : قل الروح من أمر ربي ، وأمر الرب هو الشرع ، والكتاب الذي جاء به فن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرف الروح ، فكان معنى الكلام : ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه ، فإنه من أمر ربي ، أي : من الأمر الذي جئت به مبلغاً عن ربي ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأي والقياس ، وإنما يعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : « ثم سواء ونفخ فيه من روحه » أي من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخ في الحقيقة مضاف إلى ملك ينفخ فيه بأمر ربه ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواح جنود مجندة ، وأنها تتعارف وتشمم في الهواء ، وأنها تقبض من الأجساد بعد الموت ، وأنها تسئل في القبر ، فتفهم السؤا وتسمع وترى ، وتنعم وتعذب وتلد وتأل ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، ولكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحمى مسنون ،

فهو أصلها ، والأرواح خلقت بما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » وأضاف ذلك إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جسم ، ولكنه من جنس الريح ، ولذلك سمي روحاً من لفظ الريح ، ونفخ الملك في معنى الريح غير أنه ضم أوله ، لأنه نوراني . والريح هواء متحرك . وإذا كان الشرع قد عرفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عرف من جهة أمره كما قال سبحانه : « قل : الروح من أمر ربي » وقوله : من أمر ربي أيضاً . ولم يقل من أمر الله . ولا من أمر ربكم يدل على خصوص . وعلى ما قدمناه من أنه لا يعليه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه . وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقهاء في الدين . فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه . فقد أحاطهم على موضع العلم به .

الروح والنفس والفرق بينهما : فصل : وما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفس أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوال ، واضطربت المذاهب ، فتعاقب قوم بظواهر من الأحاديث لا نوجب القطع ، لأنها نقل آحاد ، وأيضاً فإن ألفاظها محتمة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح النفس قول بلال : « أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك » مع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا . وقوله - عز وجل - « الله يتوفى الأنفس » والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ، ولا بين الأخذ في قول بلال : « أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك » وبين قول النبي عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبه في أن النفس هي الروح ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاءه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تؤمل ، صح نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين ، فنقول قال الله تعالى : « فإذا سويته ، ونفخت فيه من روحي » ولم يقل : من نفسى وكذلك قال : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » ولم يقل من نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقا في المعنى ، وبعبس هذا قوله سبحانه : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » ولم يقل : تعلم ما فى روحي ، ولا أعلم ما فى روحك ، ولا يحسن هذا القول أن يقوله غير عيسى ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : « يقولون فى أنفسهم » ولا يحسن فى الكلام : يقولون فى أرواحهم ، وقال تعالى : « أن تقول نفس ، ولم يقل : أن

تقول روح ، ولا يقوله أعرابي ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟ !
ولكن بقيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله
التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ،
لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاوزيف الجسد ، كما قال
ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري ، ومعنى كلامهم
واحد أو متقارب .

فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو كالماء الجارى فى عروق الشجرة صعداً ، حتى
تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار أوليته ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى روح
فما دام الجنين فى بطن أمه حياً ، فهو ذو روح ، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ،
وأقبل على مصالح الجسم كلفاً به ، وعشق مصالح الجسد لذاته ، ودفع المضار عنه سمي : نفساً ، كما يكتسب الماء
الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنب مثلاً هو : ماء باعتبار الأصل والبداءة ،
ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيه من العنب الحلاوة ، وأوصاف أخرى ، فتسميه مصطراً إن شئت ، أو خمراً
إن شئت ، أو غير ذلك مما أوجهه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروح على الإطلاق من
غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف التى تقتضيها نفخة الملك ، والملك موصوف بكل
خلق كريم ، ولذلك قال فى الحديث : فمن الروح عفافه وحله ووفائه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه ،
وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم : نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت
الشريعة بنجاسة الدم لسر لعله أن يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، وينزل الألفاظ منازلها ،
لا يسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذى كان سبباً للحياة ، كما فى الكتاب العزيز عند ذكر
إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يقال : نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول
إليه ، ومن هاهنا سمي جبريل عليه السلام : روحاً ، والوحى : روحاً ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال
الله سبحانه وتعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » وقال الكفزار : « أموات
غير أحياء » . وقال فى النفس ما تقدم ، وقال : « إن النفس لأماراة بالسوء » ولم يقل إن الروح لأماراة :
لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمى أيضاً نفساً : كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد
الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر
كالنخاع والفرسك والحنظل والعشر ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند
الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشریفاً لها حين قال : « ونفخ فيه من روحه » ، ثم يخاطب
الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كل فرع إلى أصله ، وينزع
ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى مادبره وأحكامه الحكيم الخبير . فعند ذلك تتناثر النفوس ، أو

تتقارب ، وتتحاب أو تتباغض على حسب التشا كل في أصل الحلقة ، وهي معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم « فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ، فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضاً .

فصل : وقد يعبر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول : عندي ثلاثة أنفس ، ولا تقول : عندي ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره ، وإنما اتسع في النفس ، وعبر بها عن الجملة لتغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفساً ، وطراً هذا الامم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحريف ، وغير ذلك . فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس : هي الروح على الإطلاق ، حتى تقيد بما تقدم ، ولا يقال في الروح : هو النفس إلا كما يقال في المنى هو الإنسان ، أو كما يقال الماء المغذى للكرمة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمرأ أو خلا ، فتقييد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ في موضعه ، هو معنى البلاغة فافهمه

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، فذكر النفس ، لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس ، لأن الأعمال جسدية ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذى هو الأصل ، لأنه أنسهم عن فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة ، وروح النائم وإن وصف بالقبض ، فلا يدل لفظ القبض على انتزاعه بالكلية ، كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : « ثم قبضناه إلینا قبضاً يسيراً » على إعدام الظل بالكلية ، وقوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس » فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الخشر لتزدجر النفوس بهذه العظة عن سوء أعمالها ، إذ الآية مكية ، والخطاب للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة ونسبه : فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنما هو خليجى ، والخليج اسمه : قيس بن الحارث بن فهر ، واختلف في تسمية بنى قيس بن الحارث الخليج ، فقيل : لأنهم اختلفوا من قريش وسكان مكة ، وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خليج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه : إبراهيم بن على ابن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :

وإذا هرقت بكل دار عبرة
نرف الشئون ودمعك الينبوع

والشئون : مجارى الدمع ، وهي أطباق الرأس ، وهي أربعة للرجل ، وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ، فانه أعلم .

بيت من زخرف : وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم ما يحتاج بيانه ، وفي قوله سبحانه : « بيت من زخرف » دليل على أن البيت يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا في شرح بيت القصب في حديث خديجة .

أبو الأشد بن الجمحي : فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئا : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشد بن الجمحي ، واسمه : كلدة بن أسيد بن خلف ، وأبو دهبيل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وهب بن زمعة بن أسيد بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح ، وكانت عند أبي دهبيل التوأمة التي يعرف بها صالح مولى التوأمة ، وهي أخت عبد الله بن صفوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن ، قتل يوم الجمل ، وأنه قال : أكنوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتي آمنت بك ، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مرارا ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، وسيأتي في الكتاب - والله أعلم .

خزنة جهنم : وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شعبتان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفا إلى النار ، وقد أُملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزبانية ، والحكمة في كونهم عددا قليلا مسئلة في قريب من جزء فلتنظر هناك .

الرجل الذي تزعم قريش أنه يعلمه : فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنما لا تؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : « وهم يكفرون بالرحمن قل : هو ربي » كان مسيلة بن حبيب الحنفي ، ثم أحد بني الدول قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، وذكر وثيمة بن موسى أن مسيلة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أو رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

كبير : وأنشد في تفسير الزبانية :

ومن كبير نفر زبانية

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل قال المؤلف : وفي أسد أيضا : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير ولعل الراجح أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بني غامد ، وهم من الأزدي ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابحة بن لحيان بن سعد بن هذيل .

(م ٩ - الروض الأنف ، والسيرة . > ٢)

أشرف قريش يستمعون إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب ازهرى أنه حدث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأباجهـل ابن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بنى زهرة ، خرجوا ليلة ، ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا تبرح حتى تنتهها ما أرى نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

الأخنس يستفهم من أبى سفيان وأبى جهل عما سمعه : فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أباجهـل عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أباجهـل والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا الذى حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهـل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أباجهـل ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فحتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدق . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما أنزل الله فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزون به : « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه » لانفقه ما تقول : « وفى آذاننا وقر » لانسمع ما تقول : « ومن بيننا وبينك حجاب » قد حال بيننا وبينك « فاعمل » بما أنت عليه « إننا عاملون » بما نحن عليه ، إنا لانفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » إلى قوله : « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة ،

وفي آذانهم وقرأ ، وبينك وبينهم حججا بزعيمهم ، أى : إنى لم أفعل ذلك . ونحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك : وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ، أى : ذلك ماتوا صوا به من ترك ما بعثتك به إليهم . « انظر : كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ، أى : أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول » وقالوا : « إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقاً جديداً » أى : قد جئت تجربنا : أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا وذلك مالا يكون . « قل : كونوا حجارة أو حديدآ ، أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة » أى : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألت عن قول الله تعالى : « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » ما الذى أورد الله به؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم لأنهم عدوا على من أسلم ، واتبع رسول الله - صلى عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يهلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

مالقيه بلال من المشركين وتخليص أبى بكر له : وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جمح ، مولدا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه : حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج له إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد ، أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتهموه على هذا لاتخذنه حنانا ، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبى قحافة - رضى الله عنه - يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح ، فقال لامية بن خلف : ألا تتقى الله

في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته؟ فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت فقال: هوالك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذه فأعتقه.

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم: عامر ابن فهيرة، شهيد بدرأ وأحدأ، وقتل يوم بئر معونة شهيدأ، وأم شمس وزنيرة، وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى؛ فقالت: كذبوا - وبيت الله - ما تضر اللات والعزى، وما تنفعان، فرد الله بصرها.

وأعتق النهدي وبنتها، وكانت لامرأة من بنى عبد الدار، فربهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهى تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر رضى الله عنه: حلا يا أم فلان، فقالت: حل، أنت أفسدتما فأعتقهما قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليهما طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر، ثم إنزده إليها؟ قال: وذلك إن شئنا.

ومر بجارية بنى مؤمل، حى بنى عدى بن كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا مل قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة، فتقول: كذلك فعل الله بك، فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

ما دار بين أبى بكر وأبيه: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو جحافة لأبى بكر: يا بنى، إني أراك تعسق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إدا فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جلدأ يمنعوك، ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد الله عز وجل، قال: فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: « فأما من أعطى، واتقى وصدق بالحسنى » لئله قوله تعالى: « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ».

آل ياسر وتعذيبهم: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخزجون بعمار بن ياسر، وبأبيه - وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهرية، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول، فيما بلغنى: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوا، وهى تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة

أبيه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك : لنسفن حملك ولنفيان رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً ، قال : والله لنسكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

فتنة قريش للمسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يهدرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجمعونه ، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له ، آلات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم ، حتى إن جعل ليربهم ، فيقولون له : أهذا الجعل لإلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم عما يبلغون من جهده .

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش : قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير عن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجلاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فدية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . قال : فقالوا له — وخشوا شرهم — إنا قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفقية على هذا الدين الذي أحدثوا ، فإننا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به . فعاتبوه وإياكم ونفسه . وأنشأ يقول :

فبقي بيننا أبدأ تلاحى

ألا لا يقتلن أخى عيش

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه ، لاقتلن أشرفكم رجلاً . قال : فقالوا : اللهم العنه ! من يغرر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مادفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يظلم عند أحد . وهى أرض صدق ، يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج

عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بديهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

من هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، معه امرأته : سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤي ، ولدت له بأرض الحبشة محمد ابن أبي حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى عبد الدار ابن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلبة بن الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جمح بن عمر بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة : حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل معه امرأته : ليلى بنت أبي حثمة ابن حذيفة بن غام بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر . ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث . فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم : ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته : أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خشم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن

أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ،
معه امرأته ، فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن نخل بن شق بن رقة بن مخدج الكنانى ، وأخوه خالد بن
سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعشمه بن
سعد بن بليح من عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : همينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، فزوج أمة بعد ذلك الزبير بن
العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد . ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر
ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وأخوه عبيد الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة
بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى خزيمه ، معه امرأته بركة بنت
يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء آل سعيد بن العاص
سبعة نفر .

قال ابن هشام : معيقب بن دوس :

المهاجرون من بنى عبد شمس : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب
ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان ، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بنى أسد : ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ،
والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، وبريد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد . وعمرو بن أمية
ابن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار بن قصي : ومن بنى عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن كثير
ابن عبد بن قصي ، رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويط بن سعد ابن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شرجيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه : عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة : ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبي وقاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والمطلب ابن أزهري بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته : رملة بنت أبي عوف بن ضيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

المهاجرون من بنى هذيل : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وأخوه : عتبة بن مسعود .

المهاجرون من بهراء : ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لوى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهوز بن أبي فائس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه تبناه في الجاهلية ، وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تميم : ومن بنى تميم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر ابن كعب بن سعد بن تميم ، ولدت له بأرض الحبشة مومى بن الحارث ، وعائشه بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو ابن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، رجلا .

المهاجرون من بنى مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلبة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أم سلبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له

بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، واسم أبي سلمة : عبد الله ، واسم أم سلمة : هندة . وشامس بن عثمان بن الشريد ابن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم .

خبر الشمساس : قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماسا من الشمساسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمي : شماسا . فيما ذكر بن شهاب . وغيره .

وقال ابن إسحاق : وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله ابن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم : ومن حلفائهم : معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يقال له : عمامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حبشية بن سلول وهو الذي يقال له معتب بن حمراء .

المهاجرون من بني جمح : ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواته : قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه امرأته : فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلل ، وأخوه : حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهي أمهما ، وأخوهما من أمهما : شرحبيل بن حسنة ، أحد القوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد القوث بن مر ، أخى تميم بن مر .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد عشر رجلاً .

المهاجرون من بني سهيم : ومن بني سهيم بن عمرو بن هصيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهيم ، وعبد الله بن الحارث قيس بن عدى بن سعد بن سهيل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهيم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومعمربن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم ومحمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بني زبيد ، أربعة عشر رجلا .

المهاجرون من بني عدى : ومن بني عدى بن كعب : معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وابنته النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته : ليلى بنت أبي حشمة ابن هانم . خمسة نفر .

المهاجرون من بني عامر : ومن بني عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وسليط بن عمرو بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وأخوه : للسكران بن عمرو ، معه امرأته : سرودة بنت زمعه بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ومالك بن زمعة بن قيس بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته : عمرة بنت السعدى بن وقدان ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر ، وسعد بن خولة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بني الحارث : قال ابن إسحاق : ومن بني الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وسهيل بن بيضاء ، وهو : سهيل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها ، وهي : دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى : بيضاء ، وعمرو بن أبي مرثد بن ربيعة

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة
ابن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي
شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة
ابن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وسعد بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ،
والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن ظرب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد المهاجرين إلى الحبشة : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

ما قيل من الشعر في هجرة الحبشة : وكان ما قيل الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن
عدى بن سعد بن سهم ، حين أمّنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك
أحدًا ، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكباً بلغنى عنى مغفلة	من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد	بيطى مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة	تنجى من الذل والخزاة والهون
فلا تقسموا على ذل الحياة، وخز	ى فى الممات ، وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله ، واطرحوا	قول النبي ، وعالوا فى الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين يغوا	وعاندا بك أن يعلوا فيطخونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نبي قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك :

أبت كبدى لا أكذبك فتاهم	على ، وتأباه على أناملى
وكيف قتالى معشراً أدبوكم	على الحق أن لاتأشبهوه بباطل
نفثهم عباد الجن من حر أرضهم	فأضحوا على أمر شديد البلايل
فإن تك كانت فى عدى أمانة	عدى بن سعد عن تقى ، أو تواصل
فقد كنت أرجوان ذلك فيكم	محمد الذى لا يطى بالجمال
وبدلت شبلا شبيل كل خبيثة	بذى فجر مأوى الضعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلك قريش تحمد الله حقه	كما جمحت عاد ومدى والحجر
فإن أنا أبرق فلا يسعنى	من الارض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد	أبين ما فى النفس إذ بلغ النقر

فسمى عبد الله بن الحارث - رحمه الله - لبيته الذي قال : المبرق .

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو ابن عمه ، وكان يؤذيه في إسلامه وكان أمية شريفاً في قومه في زمانه ذلك :

أتم بن عمرو للذي جاء بنضنة	ومن دونه الشрман والبرك أ كشح
أأخرجتني من بطن مكة آمننا	وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها	وتبرى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراماً أعزة	وأهلكت أقواما بهم كنت تقزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملية	وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه : تيم .

بعض الحوادث التي وقعت بين رسول الله (ص) وبين قريش

فصل : ذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل : فلما تحاذينا على الركب . وقع في الجهرة : الجاذي : المقعى على قدميه قال : وربما جعلوا الجاذي والجائي سواء .

وذكر قول الله سبحانه خيراً عنهم : « جعلنا بينك ، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » ، قال بعضهم : مستور بمعنى : ساتر كما قال : « وكان وعده مائياً ، أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ، لأنه حجاب على القلب ، فهو لا يرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : « أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه ، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء . كما جاء أنه يذبح على الصراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو

كبير في صدوركم ، فلا بد لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقي في نفسى من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى .

وقوله سبحانه : « ولوا على أديبارهم نفوراً ، يجوز أن يكون : نفوراً . جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدرأ مؤكداً لولوا .

ومما أنزل الله في استماعهم : « ومنهم من يستمعون إليك ، أفأنت تسمع الصم » ألا ترى كيف جمع يستمعون والحل على اللفظ إذا قرب منه أحسن ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : « ومن يسلم وجهه إلى الله » فأفرد ، حملاً على لفظ من ، وقال في آخر الآية : ولا خوف عليهم ، فجمع حملاً على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس في قوله : « ومنهم من يستمعون » ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : « ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك نفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ، ألا ترى كيف قال بعد : « ومنهم من ينظر إليك » فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

بحث في الإكراه على الكفر ، وعلى المعصية : فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرمضاء ، وكانوا يلبسونهم أدرع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ماسألوا من كلمة الكفر إلا بلالا - رحمه الله - وأنزل الله فيهم : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ونزل في عمار وأبيه : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ولما كان الإيمان أصله في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عنى سوطين إلا قلها هذا في القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فنه مالا خلاف في جوازه كشراب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجين يوم ، أو طرف من الهوان خفيف ، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف في حظره ، لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ، وهى نفسه ، فأما إذا دفع عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصة ، واختلف في الإكراه على الزنى ، فذكر عن ابن الماجشون أنه قال : لا رخصة فيه ، لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعال القلب لا تباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل لأن انبعاث الشهوة عند المماسمة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهى : هل المكروه على الفعل مخاطب بالفعل ، أم لا؟ فقالت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ، لأن العزم إنما هو فعل القلب ، وقد يتصور عنه في ذلك الحين العزم والنية ، وهى القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكره على فرض كالأصلاة مثلاً ، إذا قيل ، صل وإلا قتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت

قتلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة فى ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لاخلاف فى هذه المسألة أنه مخاطب بالصلاة مأمور بها ، وإن رخص له فى تركها ، فإيس الترخيص مما يخرج عن حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنه الإكراه المأثم ، ولا يخرج عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى فى هذه المسألة ليس بقول له ، وإنما حكاة فى كتاب التقريب للإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا ، لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى ، وهذا باطل ، لأنه يتصور انكفافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

سمية وآل ياسر . فصل : وذكر فيمن عذب فى الله ، سمية أم عمار ، وقد ذكرنا قتل أبى جهل لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وسمية أمه ، وهى بنت خياط ، كانت مولاة لآبى حذيفة بن المغيرة ، واسمه مهشم ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قتيبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سمية أم سلمة بن الأزرق سمية أخرى ، وهى أم زياد بن أبى سفيان ، لأم عمار ، وعمار والحويرث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذين ، ويقال الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن علس بن مالك بن زيد العنسى المذحجى حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبد الله بن سعد ابن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

زنيرة : فصل : وذكر زنيرة التى أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة ، هكذا صحت الرواية فى الكتاب ، والزنيرة : واحدة الزنابير ، وهى الحصار الضفار ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زنيرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تعرف زنيرة فى النساء ، وأما فى الرجال فنيرة بن زبير بن مخزوم بن ضاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وابنه : خالد بن زنيرة ، وهو الغرق قاله الدارقطنى .

أم عميس : فصل : وذكر أم عميس ، وكانت لبني تميم بن مرة أعتقها أبو بكر ، وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا فى الله لما أعطوا بالسنتهم ماسئلو من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الادم فيها الماء ، فوضعهم فيها وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلا بلالا .

بلال : وقول ورقة بن نوفل : إن قتلهموه يعنى : بلالا ، وهو على هذا الحال لا يحدته حنايا . أى : لا يحدون

قبره منسكاً ومسترحماً - والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أنا عبد الله ، وأخته غفرة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة ، وهى هذه ، والغفرة : الأثني من أولاد الأراوية ، والذكر : غفر .

الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النجاشي فاسم لكل ملك يلى الحبشة ، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخواقان اسم لملك الترك كائنا من كان ، وبطليموس : اسم لمن ملك يونان ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أصحمة بن أبجر وتفسيره : عطية . وذكر في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان حين تزوجها يغنيهما النساء :

أحسن شخصين رأى لإنسان رقية وبعلمها عثمان

ولدت رقية لعثمان ابنه عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات وهو ابن ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه ، فتورم وجهه ففرض ، فمات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبدالله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غزوان ، وأكبر بنيه بعد هذين عمرو ، ومن بنيه عمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت من أحسن البشر ، وأن رجالاً من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يدر كلون (١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحسنها ، فكانت تأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك نفر مع النجاشي إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشي على عدوه ، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلاً بلطف إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسميه المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي ، وأنه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخيل المدينة ، حتى رأوا البسر فيها ، فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بشر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ، فكان سبباً لبداية الإسلام .

رؤيا خالد بن العاصي : وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمراً هو الذى عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشفى على نار تاجج ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أخذ بحجزته ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته

من النار على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بمقرعة ، حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا يتفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحبشة - كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصي أبو أحيحة الذي يقول فيه القائل :

أبو أحيحة من يعتم عمته
يضرب وإن كان ذا مال وذاعدد

أبو أحيحة وعمامة : وكان إذا اتم لم يعتم قرشي لإعظامه له ، وقد قيل في عمته أيضاً ما أنشده عمرو ابن بحر الجاحظ :

وكان أبو أحيحة قد علمتم
إذا شد العصابة ذات يوم
لقد حرمت علي من كان يمشي
بمكة غير مهتمم ذميم
وقام إلى المجالس والخصوم
بمكة غير محتقر لثميم

مات أحيحة الذي كان يكنى به في حرب الفجار ، وأسلم من بنيه أربعة أبان وخالد وعمرو والحكم الذي سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله . ومات أحيحة بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر ، قتل العاصي منهم يوم بدر كافراً .

أمة بنت خالد : وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها الزبير بن العوام ، وهي التي كساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي صغيرة ، وجعل يقول : سناه ، سناه ، يأم خالد !! أي : حسن حسن بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ، لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباه خالد بن سعيد أول من كتب . بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنادين شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صنعاء واليمن ، فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويروى أن أباه سعيد بن العاص مرض ، فقال : إن رفعتني الله من مرضي لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فهلك مكانه ، فهؤلاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية .

عبد شمس أو عبشمس : وعثمان : هو ابن عفان بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال ، وأما عبشمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، فقال فيه أبو عبيد القتيبي : عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه : عبشمس ، ثم اختلفوا في معناه ، فقيل ، معناه : عبد شمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل عبشمس وعب الشمس هو ضوءها أو صفاؤها ، وقيل في المثل : هو أبرد من عقير أي : البرد ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عب قر أي : بياض قر ، ومن حب قر أيضاً . وفيه قول ثالث : أعني : عبشمس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عبء شمس بالهمز . ثم حذفت الهمزة تسهيلاً . وعب الشمس . وعبوها مثله .

هل هاجر عمار إلى الحبشة : وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا ؟ والأصح عند أهل السير كالوافدي وابن عقبة . وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

استدراك على ابن إسحاق في مهاجري الحبشة : وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث ، وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه من المستهزين الذين أنزل الله فيهم : « إنا كفيناك المستهزين » .

وذكر من بنى زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بها ، وهما أخوا أزهر بن عبد عوف .

ذكر لبعض المسائل اللغوية التي ذكرت في شعر الهجرة الحبشية : فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

الحق عذابك بالقوم الذين طغوا وعائذا بك أن يعلو فيطنوني

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك لإظهاره ، وذلك لحكمة ، وهي أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضياً أو مستقبلاً ، فالماضي يوم الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد ، وفي حال عود ، والفعل المستقبل أيضاً يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد ، وذلك يوم أنه غير عائد ، فكان يجيء بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد ، فإن عائذا كقائم وقاعد ، وهو الذي يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عائذا بك يارب ، إنما يريد : أنا في حال عيادتك ، والعامل في هذه الحال : تكلمه ونداؤه ، أي : أقول قولي هذا عائذا ، وليس تقديره : عدت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عائذا به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكرر أن مع ما بعدها في موضع نصب ، وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال : عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطنوني ، وأما الخفض فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل وسيبويه في أن الخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » ، تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تتصمر ؛ لأنهما موصولتان بما بعدهما ، فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

والقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن (أن) وما بعدها اسم مخفوض ، وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بديتم التعليل على غير أصل ، لأن الخفض لم يثبت بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه إلا الخفض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : « وأجدر ألا يعلبوا حدود ما أنزل الله » ، ونحو قوله تعالى : « أحق أن تقوم فيه » ، ونحو قوله : « أن تضل إحداهما » ، فقوله تعالى : « أجدر ألا يعلبوا ، معناه : بأن لا يعلبوا ،

فلو كان قبل أن فعل لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب ، ولكن أجدد وأحق اسمان لا يعملان ، فن هاهنا عرف النحويون أنه في موضع خفض ، إذ لا ناضب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ، وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعليل مدخول ، ينتقض عليهم بالاسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها ، لا نقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذي عندك ، أى : من الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفررت أن يرانى عمرو ، أى : من أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن (أن) مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو في تأويل اسم ، والاسم المحض مادل عليه حرف الجر ، فلا بد إذا من إظهار حرف الجر إذا جئت به ، لأنه اسم قابل للدخول الخواضع عليه ، وأما أن لحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا نقول : هو اهم مخفوض ، إنما هو في تأويل اسم مخفوض ، فن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الاسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه في تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل ، فحسن إسقاطه مراعاة لفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقلنا : هو في موضع خفض على معنى أن الكلام يشول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه . حتى يشبه أن . فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لابل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمرأ ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

فصل : واعلم أن (أن) التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تعقد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ، لأنها ليست باسم كما قدمناه ، وإنما تضاف إلى الاسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً اسم الفاعل ، لا بمعنى المضى ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك : وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافاً إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بدعيمة موضعها غير هذا .

لكنى أقول ههنا قولاً لا نقا بهذا الموضوع ، فإنى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التعليل فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر ، أما قوله تعالى : « أحق أن تقوم فيه » ، فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدد ألا يعملوا ، ومعنى أجدد : أخلق وأقرب ، ولما ثبت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعملوا ؛ فصار منصوباً فى المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ، لأن أجدد وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لانقلب المعنى . ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ، لأن الاسم يطلب الإضافة فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ، لما قدمناه من امتناع إضافة الاسماء إليها .

وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ، لانا قد نجد لها في مواضع مجرورة ، ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز إضمار إلى ههنا ، وكذلك نقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طرد جواز ذلك فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبدأ إذا إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، واسكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ، وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ، أو أن لا أراه ، لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أمراً ، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قبح ، لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية . وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ، ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تنسكلم ، وإنما يتعلق بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتيت وكرهت ، وما كان في معنى هذا أو قريباً منه فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ، وأن الفعل الظاهر دال عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وصل بحرف ، إن كان غير متعد ، ومنع من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي ، إلا في باب المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سرأ بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كما جحدت عاد ومدين والحجر

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحجر فليست بأمة ، ولكنها ديار ثمود . أراد : أهل الحجر ، وأمامدين فامة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام ، وأممهم : قطورا بنت يقطان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم ، وقد سميهاهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أبرق فلا يسعني البيت ، قال وبه سمي المسبرق ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الأصحى حين منع أن يقال : أرعد وأبرق ، وذكر له قول الكميث :

أرعد وأبرق يا يزيد

فلم يره حجه ، وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بنى الرمة حين احتج عليه بقوله :

ذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة

فأني أن يقول : زوجة بهاء التانيت ، وقال : طالما أكل ذو الرمة الزيت في جوانيت البقالين ، وبيت المسبرق

في هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أُرعد وأُبرق في غير هذا البيت ، بما تقوم به الحجة أيضاً ، وبيت المبرق هذا يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون من أُرقي في الأرض إذا ذهب بها لا من أُرعد وأُبرق ، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ علي هذا البيت منسوباً بالصعب ، قال : الإبراق : الذهاب ، وفي العين : أُرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يميناً وشمالاً ، وهو في معنى الذهاب في الأرض ، لأنه جولان فيها ، وهي البروق ، قال نهشل بن دارم لآخيه سليط - وقد لامه على ترك الكلام في بعض المواطن : لأحسن تأمك ، ولأنك كذابك ، تشول بلسانك شولان البروق . وذكر في الشعر :

يلين مافي النفس إذ بلغ النقر

ويروى : يلين مافي الصدر . والنقر : البحث عن الشيء ، وأكثر ما يقال فيه : التنقيب ، واستشهد عبد الله المبرق في غزوة الطائف ، وكان أبوه الحارث من المستهزئين ، وكان جده قيس أعز قريش في زمانه ، يروى أن عبد المطلب كان ينفذ (يرقص) عبد الله والدرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ، فيقول :

كانه في العز قيس بن عدى في دار قيس الندى يفتدى

قاله الزبير بن أبي بكر :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون

أُتيم بن عمرو للذي جاء بغضة

أراه : عجباً للذي جاء ، والعرب تكنتق بهذه اللام في التعجب ، كقوله عليه السلام : لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التي خلق منها ، قاله في عبد حبشى دفن بالمدينة ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره ، وتقهقر ثم قال : سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ثم فرج عنه ، وقيل في قوله سبحانه « لا يلاف قريش » أقوال منها : أنها متعلقة بمعنى التعجب ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبغضة نصب على التمييز كأنه قال : يا عجباً لما جاء به من بغضة ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ، وروى الزبير هذا البيت :

أُتيم بن عمرو للذي فارصغنه

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح يبطاء تقدع بالطاء وفتح الباء وكسرهما ، وقال يبطاء : اسم سفينة ، وتقدع بالبدال ، أى : تدفع ، وزعم أن تيم بن عمرو وهو جرح سمى جمعاً ، لأن أخاه سهم بن عمرو - وكان اسمه زيدا - سابقه إلى غاية ، فجمع عنها تيم ، فسمى جمعاً ، ووقف عليها زيد ، فقيل : فد سهم زيد فسمى : سهماً .

وقوله : ومن دوننا الشрман . الشرم البحر وقال الشрман بالثنية ، لأنه أراد البحر الملح ، والبحر العذب ، وفي التنزيل : « مرج البحرين » والشرم من : شرمت الشيء إذا خرقتة ، وكذلك البحر من بحرت الأرض إذا خرقتها ومثله سميت البحيرة لخرق أذنبا والبرك : ما اطمان من الأرض وانسع ، ولم يكن مستصباً كالجبال .

وقوله : في صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل المرحح : القعر ، يريد : أنه ساكن عند صرح النجاشي .
وقوله : تقذع أى : تكره كأنه من أقذعت الشيء ، إذا صادفته قذعاً ويقال أيضاً : قذعت الرجل لإذارمته
بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة ، وأحسب هذه الرواية تصحيفاً ، والصحيح : ما قدمناه من قول الزبير
وروايته ، أنه بيطاء بالطاء وتقذع بالذال .

وقوله : وأسلك الأوباش يريد أخلاطاً من الناس ، يقال : أوشاب وأوباش ، والأوباش أيضاً شجر متفرق
والوبش بياض في أظفار الأحداث .

من أنساب مهاجرى الحبشة : وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بنى عدى : معمر بن عبد الله بن
فضلة ، وقال فيه علي بن المديني : إنما هو : معمر بن عبد الله بن نافع بن فضلة .

وقال ابن إسحاق : فضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد وفي حاشية كتاب الشيخ قال : إنما
هو فضلة بن عوف بن عبيد بن عويج ، وذكر أنه قول مصعب في كتاب النسب . وذكر في بنى عدى : عروة بن
عبد العزى بن حرثان ، كذا في كتاب المصعب إلا أنه قال : عمرو بن أبي أئانثة أو عروة بن أبي أئانثة
على الشك .

وذكره أبو عمر في كتاب الاستيعاب فقال فيه : عروة بن أبي أئانثة ، ويقال ابن أئانثة بن عبد العزى بن حرثان
قال : وأمه ، أم عمرو بن العاصي ، فهو أخوه لأم قال المؤلف : وأمه اسمها : ليلي ، وتلقب بالنابغة ، وهى من
بنى ربيعة ثم من بنى جـلان قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبي أئانثة ، قال المؤلف : وقد منا أن
المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبي أئانثة ، ولم يشك ، ثم قال
أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدى ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ،
قال المؤلف : وهذا وهم من أبي عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى ،
وأسقط اسم أبيه أبي أئانثة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدتهم خمسة ، قال : أربعة نفر ، وهو
وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسة : ليلي بنت أبي حشمة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه
يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ، لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ،
لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة : وذكر أم سلمة وبعلمها أبا سلمة ، توفى عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم -
وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة ، وأبوها أبو أمية حذيفة يعرف بزاد الراكب .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب برة فسمها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - زينب ، كانت زينب هذه عند عبد الله بن زمة ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يعيشوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارفته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبي طالب للنجاشي : فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من زأيهم وما بعثوهما فيه - أبياتا للنجاشي يحضنه على حسن جوارهم ، والدفع عنهم :

الأليت شعري كيف في النأي جعفر	وعمر و أعداء العدو الأفارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرأ	وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم - أبيت اللعن - أنك ماجد	كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة	وأسياب خير كلها بك لازب
وأنت فيض ذو سبحال غزيرة	ينال الأعداى نفعها والأفارب

وهو يغتسل ، وهي إذ ذاك طفلة ، فنضح في وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب في وجهها ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفة أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرة بالمدينة ، وقتل لها في ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما ، كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زعنة ، فكانت تبكي على أحدهما ، ولا تبكي على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقاتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابنتي بأم سامة دخل عليها بيتها في ظلمة ، فوطئ على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل في ظلمة أيضاً ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عليها ، أو قال : أخروا ذكره الزبير ، وفي هذا الحديث توهين رواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

النجاشي والنور الذي على قبره : فصل : وذكر حديث عائشة : كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرج أبو داود من طريق سلبية بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن بن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، ويعضد هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : « والشهداء عند ربهم ، لهم أجرهم ونورهم » .

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار : النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا تؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدن ، وأن يهدوا للناس هدايا بما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارفته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله ابن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمرهما بأمرهم ، وقالواهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هدايا ، ثم ساء ، أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارفته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشي ، وقال لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ؛ ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لها ، نعم . ثم إنهما قدما هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلا بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم : لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعائبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارفته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوه ، فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان ، أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهن منها ، وأحسنتم جوارهم ما جاوروني .

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشي : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جثتموه ! قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أسأفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألمهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، وننسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاقه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا

عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه وأمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمتنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، وورعنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك بما جاء به الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه علي ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : « كهيعص » . قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى أخضت لحيته ، وبكت أسافقته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

رأى المهاجرين في عيسى أمام النجاشي : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآئنته غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم عما يقولون فيه قالت : فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه : قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم . ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله - ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، وكائنا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله ، وكلبته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم الآمنون - من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم - قال ابن هشام : ويقال : دبري من ذهب . ويقال فأنتم سيوم ، والدبر - بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليهما هداياهم ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقنا عنده بخيردار ، مع خير جار .

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي : قالت : فوالله لانا لعلى ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة يتنازع في ملكه . قالت : فوالله ما علمتنا حزناً قط كان أشد علينا من حزن حزنه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل

على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من رجل يخرج حتى يحضر وقيمة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، قالوا : فأنت - وكان من أحدث القوم سنا - قالت فنفضوا له قرية فجعلها في صدره ، ثم سبج عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملثقي القوم ، ثم انطلق حتى حضروهم قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده ، قالت : فوالله إنا لعل ذلك متوقعون لما هو كان ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلبع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها . قالت : ورجع النجاشي ؛ وقد أهلك الله عدوه ؛ ومكن له في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي وتملك عمه : قال ابن إسحاق ؛ قال الزهري ؛ فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أم سارية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فان عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بيثا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي ، وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرآ ، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه ، وملكوا أخاه فكشوا على ذلك حيناً .

الحبشة تبع النجاشي : ونشأ النجاشي مع عمه - وكان لبيبا حازما من الرجال - فطلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فبارأت الحبشة مكانه منه ، قالت بيثا : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا جميعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه فشدوا إلى عمه ، فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خضناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ؟ قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجته من بلادكم قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بمائة درهم ، فقفذه في سفينة فأنطلق به ، حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحاب الخريف ، فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة ، فقتلته . قالت : ففرغت الحبشة إلى ولده ، فاذا هو محقق ، ليس في ولده خير ، فرج على الحبشة أمرهم .

تولية النجاشي الأمر : فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعم غدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ؛ فادركوه الآن . قالت : فخرجوا في طلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاج ، وأفعبوه على سرير الملك ، فلكوه .

حديث التاجر الذي اشتراه : فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إنا أن تعطيني مالي ، وإنا أن أكلمه في ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك ، قال : إذن والله أكلمه ، قالوا : فدونك وإياه . قالت : لجأه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستائة درهم ، فأسلبوا إلى غلامي ، وأخذوا دراهمي ، حتى إذا سرت بغلامي ، أدركوني ، فأخذوا غلامي ، ومنعوني دراهمي . قالت : فقال لهم النجاشي : لتعطينه دراهمه ، أو ليضعن غلامه يده في يده ، فليذهبن به حيث شاء ، قالوا : بل نعطينه دراهمه . فلذلك يقول : ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه ، وعدله في حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن زبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشي ، كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فائتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب اليمين ، وخرج إلى الحبشة ، وصفوا له ، فقال يامعشر الحبشة ، ألسن أحن الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فالكتم ؟ قالوا : ففارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ، قال : فأتقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابن الله ، فقال النجاشي ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم يزد على هذا شيئا ، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له .

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

نسب عبد الله بن أبي ربيعة : ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي . وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بجزيرا ، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم : عبد الله ، وأبوه : أبو ربيعة ذو الرمحين ، وفيه يقول ابن الزبير :

بجيرا ابن ذى الرمحين قرب مجلسي وراح علينا فضله وهو عاتم

واسم أبي ربيعة عمرو ، وقيل : حذيفة ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة : أسماء بنت محربة التيمية ، وهي أم أبي جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة هذا هو والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع ، وكان في أيام عمر والياً على الجند ، وفي أيام عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد : فصل : وكان معهما في ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة تقدم ذكره حين قالت قريش لأبي طالب : خذ عمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا محمدا نقتله ، وكان عمارة من أجمل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصي إلى النجاشي ، ولم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام ، وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس ، ولكن في غير هذه القصة المذكورة هاهنا ، ولعل لإرسالهم إياه مع عمرو ، كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها في السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وعن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهاني ، وذكر أن عمراً سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهو بيته ، فمزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرافسقط في البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه إلى السفينة ، فأضمرها عمرو في نفسه ، ولم يبدها للعارفة ، بل قال لامرأته - فيما ذكر أبو الفرج - قبيلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه ، فلما أنيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، وقال : إني قد كتبت إلى بني سهم ليبرءوا من دمي لك ، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرءوا من دمك لي ، حتى تعلم قريش أننا قد تصافينا ، فلما كتب عمارة ، إلى بني مخزوم ، وتبرءوا من دمه لبني سهم ، قال شيخ من قريش : قتل عمارة - والله - وعلم أنه مكر من عمرو ، ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشي ، وقال له : أنت امرؤ جميل ، وهن النساء يحببن الجمال من الرجال ، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا ، ففعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك ، وتكرر عمارة على امرأة الملك ، ورأى إنابتها إليه ، أتى الملك منتصحا ، وجاءه بأمانة عرفها الملك ، قد كان عمار أطلع عمراً عليها ، فأدركته غيرة الملك ، وقال : لولا أنه جارى لقتلته ، ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل ، فدعا بالسواحر فأمرهن أن يسحرنه ، فذفنخن في إحليله نفخة ، طار منها هائما على وجهه ، حتى لحق بالوحوش في الجبال ، وكان يرى آدميا فيفر منه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب فجاء ابن عمه عبد الله بن ربيعة إلى عمر ، واستأذنه في المسير إليه لعله يجده ، فأذن له عمر فسار عبد الله إلى أرض الحبشة ، فأكثر النشدة عنه ، والفحص عن أمره ، حتى أخبر أنه - بحبل يرد مع الوحوش ، إذا وردت ، ويصدر معها إذا صدرت ، فسار إليه حتى كمن له في الطريق إلى الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله ، وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ، ويقول : أرسلني بالبحير ، وأبى عبد الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خير مشهور اختصره بعض من ألف في السير ، وطوله أبو الفرج وأوردته على معنى كلامه ، متحريرا لبعض ألفاظه .

حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي : فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى

آخر القصة ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله . وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسموا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : « والسابقون الأولون ، وجاء في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضاً بهم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمينين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهراً للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر — أي بلد كان — يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : « والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » .

فصل : وليس في باقي حديثهم شيء يشرح ، قد شرح ابن هشام الشيوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمده ، لأن الآمن ممنعد عنه السيف ، أو لأنه مصون في صوان ، حرز كالسيف في غمده .

وقوله : ضوى إليك غلمان أي : آووا إليك ، ولاذوا بك ، وأما ضوى بكسر الواو ، فهو من الضوى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

فتى لم تلده بنت عم قريية فيضوى ، وقد يطوى رديد الغرائب

ومنه الحديث : اغتربوا لا تضربوا ، يقول : إن تزويج الغرائب يورث الضوى في الولد ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إن بلالا لم تشنه أمه لم يتناسب خاله وعمه

العين هل هي صفة أو جارحة : وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أي : أبصر بهم ، أي : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التي هي الجارحة ، وما سميت الجارحة عيناً لإجازتها ، لأنها موضع العين ، وقد قالوا : عانه يعينه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لاجارحة ، وأنها إذا أضيفت

إلى البارئ سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سمية لعائشة: بمن الله مهراك ، وعلى رسول الله تردين ؟ وفي التنزيل: ولتصنع على عيني ، وقد أملينا في المسائل المفردات : مسألة في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز الشنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى ، وقاسها على اليمين ، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ، واتبعناه بمعان بديعة في معنى عور الدجال ، فليُنظر هنالك .

عيسى كلمة الله وروحه: وفول جعفر بن عيسى : هو روح الله وكلمته ، ومعنى : كلمته أى : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل : فكان ، لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله : فيكون مشعراً بوقوع الفعل في حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ، لا يمكن مستقداً ولا مستأخراً ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ، فلأنه نفخة روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة ، والقدس : الطاهرة من كل ما يشين ، أو يعيب ، أو تقدره نفس ، أو بكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه روح لم يخلق من منى ، ولا صدر عن شهوة ، فهو مضاف إلى الله سبحانه إضافة تشریف وتكريم ، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه . فهو : روح الله على هذا المعنى ، إذ النفخ قد يسمى : روحاً أيضاً ، كما قال غيلان يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأحيها بروحك ، واندرها لها قيته بدرأ

وأضف هذا الكلام في روح القدس ، وفي تسمية النفخ روحاً إلى ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكلمة له .

حديث عائشة عن النجاشي : فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا باعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، وأخذوه من سيده واستردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلاً ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماذ ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبد ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعاً ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهي أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرعى فيه الغنم على سيدي ، وهو من بنى ضمرة وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من

لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

ما يأخذ من الذقة في حديث هجرة الحبشة : فصل : وما في حديث الهجرة الى الحبشة من الفقه أن جعفر ابن أبي طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم كيف نصلى في السفينة اذا ركبنا في البحر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صل قائماً الا أن تخاف الغرق . خرجه الدارقطني ، ولكن في اسناده مقال ، وفي مسند ابن أبي شيبة : وصلى أنس في السفينة جالسا . وذكر البخارى عن الحسن : يصلى قائماً الا أن يضر بأهلها .

كتاب النجاشي واتصاله عليه : فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي المؤمن أن يكذب كذباً صراحاً ، ولأن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة . قالوا : معناه أن يعرض ، ولا يفصح بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعو لك ، وهو يعنى أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعو لهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتمل في التعريض ما استطاع ، ولا يختلق الكذب اختلاقاً ، وكذلك في خدعة الحرب يورى ، ويكفى ، ولا يخلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خدع الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سيلاً .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ، واستغفر له ، وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبيع ، رفع إليه مريره بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العليج ؟ فأنزله الله تعالى « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم ، وما أنزل إليهم ، ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نزر مولى علي بن أبي طالب ، كان ابناً للنجاشي نفسه ، وأن علياً وجده عند تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .

وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي ، وأنهم أرسلوا وفدأ منهم إلى أبي نزر ، وهو مع علي ليأسكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال وكان أبو نزر من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واعتزاز المسلمين به

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردهما النجاشي بما يكرهونه ، وأسلم عمر بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجمرة حتى عازوا قريشاً ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً ، حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني : مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .

حديث أم عبد الله بنت أبي حثمة عن عمر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت :

والله إنا لترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب ، حتى وقف علي ، وهو على شركه - قالت : وكنا نلتي منه البلاء أذى لنا ، وشدة عاينا - قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجنا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - وخروجا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفا ورفته وحزنه علينا ! قال : أطمعت في إسلامه؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذي رأيت ، حتى يسلم حمار الخطاب ؛ يأسامنه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

سبب إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة ، رجل من قومه ، من عدني بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمه حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله ،

فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابي ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أخلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد عرّتك نفسك من نفسك يا عمر ، أتري بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خنتك وابن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلبا ، وتابعا محمداً على دينه ، فمليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : (طه) يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر تعيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت ثيابها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه البيضة التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنسكاً تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضرها فثججا ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلبنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدالك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً انظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها لإيها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نجس ، على شركك ، ولأنه لا يمسه إلا الطاهر ، فقام عمر ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : (طه) فقرأها ، فلما قرأ منها صدرآ ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فآله الله يا عمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلتني يا خباب على محمد حتى آتته ، فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتموشحه ، ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر من خلل الباب ، فرآه متموشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متموشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلتناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أئذنه ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حمزته ، أو بمجمع رداءه ، ثم جبذه به جبذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنهني حتى ينزل الله بك فارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لاومن بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكائهم ، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهم سائمينان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينتصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

مارواه عطاء ومجاهد في إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم المكي ، عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباحداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية ، أحبها وأمر بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالجزورة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي ، قال : فخرجت ليلة أريد جلساتي أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فجلسنا فلم أجد فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أني جئت فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلني أجد عنده خمرأ فأشرب منها . قال : فخرجت لجلسته فلم أجد . قال : فقلت : فلو أني جئت الكعبة ، فظفت بها سبعا أو سبعين . قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلا بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليماني . قال : فقلت : حين رأيته : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأرو عنه ، فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجمعت أمشي وريداً ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبلة ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلواته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب ، وبين دار ابن أزهري بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأخنس ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار الرقطاء ، التي كانت بيدي معاوية ابن أبي سفيان . قال عمر رضی الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهري ، أدركته ، فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني إنما تبعته لأوذي ، فنهضني ، ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعاني بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

ثبات عمر في إسلامه : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي . قال : ففعدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أثره ، وانظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاء ، فقال له : أعليت يا جميل أني قد أسليت : ودخلت في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام بجر داءه واتبعه عمر ؛ واتبعته أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة ، الألبان

عمر بن الخطاب قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلع ، فقعده وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فينبأهم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قریش ، عليه حلة حبرة ، وقميص موثى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ، فقال : فوه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فإذا تريدون ؟ أترون بني عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ اخلوا عن الرجل . قال : فوالله لكانما كانوا ثوباً كشط عنه . قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذلك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيراً ؟ قال : يا بنى ذاك العاص بن وائل ، لا جزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداة حتى آتته ، فأخبره أنى قد أسلمت ، قال : قلت : أبو جهل وكان عمر لحنتمه بذت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت حين أصبحت ، حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب البساب في وجهي ، وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

إسلام عمر

فصل : في حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ، وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة امرأة .

حديث خباب : وفيه : أن خباباً وهو ابن الأرت كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن ، وخباب تيمى بالنسب ، وهو خزاعي بالولاء لأم أثمار بنت سباع الخزاعي ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشترته وأعتقته ، فولأوه لها ، وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، فهو زهري بالحلف ، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان قينا يعمل السيوف في الجاهلية ، وقد قيل : إن أمه كانت أم سباع الخزاعية ، ولم يلحقه سباء ، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا يحيى ، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع علي صفين والنهروان ، وقيل : بل مات سنة سبع وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله ، فكشف ظهره ، فقال عمر : ما رأيت كالיום ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أوقدت لى نار ، فما أطفأها إلا شحمى .

تطهير عمر ليمس القرآن : فصل : وفيه ذكر تطهير عمر ليمس القرآن ، وقول أخته لا يمسه إلا المطهرون ، والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك في الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس ،

ولكنهم وإن كانوا الملائكة ، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه إلا طاهر اقتداءً بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنّه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض ، وكذلك ما كتب به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن حزم : « وألا يمس القرآن إلا طاهر » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ، لآية جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ، ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : « يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ، دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة من سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مرسل ، فلم يروه حجة ، والدارقطنى قد أسنده من طرق حسان ، أقواها : رواية أبي داود الطيالسى عن الزهرى عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، وبما يقوى أن المطهرين في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون .

المطهرون والمتطهرون : وإنما قال المطهرون ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر من فعل الطهور ، وأدخل نفسه كالمثقف من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك المتفعل في أكثر الكلام ، وأنشد سيديويه :

وقيس عيلان ومن تقيسا

فآلآدميون متطهرون إذا تطهروا ، والملائكة مطهرون خلقه ، والآدميات إذا تطهرن : متطهرات ، وفي التنزيل . « فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » والخور العين مطهرات ، وفي التنزيل : « لهم فيها أزواج مطهرة ، وهذا فرق بين وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندى في الرسول عليه السلام أنه متطهر ومطهر ، أما متطهر ، فإنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدث ، وأما مطهر فإنه قد غسل بطنه ، وشق عن قلبه ، وملىء حكمة وإيمانا فهو مطهر ومتطهر ، واضمم هذا الفصل الى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكلمة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يظهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر لإسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مجزى له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء ، وكذلك في خبر إسلام سعد بن معاذ على يدى مصعب بن عمير ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأسيد بن حضير ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السير ، فقد خرجه الدارقطنى في سننه ، غير أنه خرج أيضاً من طريق انس ان اخت عمر قالت له : انك رجس ، ولا يمسه الا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم اخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالاً ، وفي رواية يونس : ان عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها الى قوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » فقال : ما اطيب هذا الكلام واحسنه ، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه « إذا الشمس كورت » ، وإن عمر انتهى في قراءتها الى قوله « علمت نفس ما أحضرت » .

أقوال أخرى في إسلام عمر : فصل : وذكر ابن سنجر زيادة في إسلام عمر ، قال : حدثنا ابو المنيرة قال : نا صفوان بن عمرو ، قال : حدثنى شريح بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله

صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمتم خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : « إله لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ، قال : قلت : كاهن علم ما في نفسي ، فقال : « ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، إلى آخر السورة قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

ما قاله عمر من الشعر حين أسلم : وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت	له علينا أياد مالها غير
وقد بدأنا فكذبنا ، فقال لنا	صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربى عشية قالوا : قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل	بظلمها حين تتلى عندهما السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة	والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذى تدعوه خالقها	فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت : أشهد أن الله خالقنا	وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة	وافى الأمانة ما فى عوده خور

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البزار فى إسلام عمر أنه قال :

فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من أى شيء اشتق ، ثم قرأت فيها : « سبح لله ما فى السموات والأرض ، . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت : « آمنوا بالله ورسوله ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

الهيمنة - فى حديث إسلام عمر : وفى حديث إسلام عمر : قال : ما هذه الهيمنة ، والهيمنة : كلام لا يفهم ، واسم الفاعل منه مهيم ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المبيطر ، والمهيمن ، والمبيقر بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمسيطر ، ولو صغرت واحداً من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من مفاعل ، وتلحق ياء التصغير فى موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال فى تصغير مهيم ومبيطر : مهيم ومبيطر ، فإن قيل : فهلا قلت : إنه لا يصغر ، إذ لا يعقل تصغير على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما فى مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مبيطراً : مباطر بحذف الياء ، وإذا كان مصغراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مبيطرون ، وذلك أن التصغير لا يكسر ، لأن تكسيره يؤدى إلى حذف الياء فى الخامس لأنها زائدة كالألف ، فيذهب معنى التصغير ، وأما الثلاثى المصغر فيؤدى تكسيره إلى تحريك ياء التصغير أو همزها وذلك أن يقال فى فليس فلائس ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ، ولو بنيت اسم فاعل من : بيأس لقلت فيه مبيئس ، ولو سهت الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مبييس ، وتقول فى تصغيره إذا

خبر الصحيفة

التمار قرينش بالرسول : قال ابن اسحاق : فلما رأته قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا ببلاد أصابوا أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة ابن عبد المطلب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلام يفسد في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تؤكد على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثقل بعض أصحابه .

صغرته : مبيس بالإدغام ، كما تقول في أبوس : أبيض ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من يياس ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدعيه يقوم على تصحيحها البرهان .
معنى النهيم وخلصوا : فصل : وفي حديث إسلام عمر : فنهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي زجره ، والنهيم : زجر الأسد ، والنهيم : الحداد والنهام : طائر . وفيه قول العاصم بن وائل قال : هكذا خلوا عن الرجل وهي كلمة معناها : الأمر بالتنحي ، فليس يعمل فيها ما قبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أي : على هذه الحال ، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا ، وها : تنبيه ، فيقدر العامل إذا مضمرأ ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستغنى بقولك : هكذا عن الفعل ، كما استغنى برويداً عن ارفق .

جميل بن معمر : فصل : وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحي : إني قد أسليت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر صبا . جميل هذا هو الذي كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزات في أحد الأقوال ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وفيه قيل :

وكيف ثواني بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

وهو البيت الذي تننى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنى ، وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب ، فما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم : وقلب المبرد هذا الحديث ، وجه المثل المشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه ازبير كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

قال ابن إسحاق : فلما فوات ذلك فريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم فريشاً ، فقال : يا بنت عتبة ، هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، لجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدني محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تبالحكا ، ما أرى فيك شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى فيه : « تبت يدا أبي لهب وتب » .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الحسران . قال حبيب بن خدرية الخارجي : أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة :

يا طيب إنا في معشر ذهبت مسعاتهم في التبار والتب

وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب في ذلك قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذي صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا	أؤبا وخصاً من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً	نبياً كوسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير من خصه الله بالحب
وأن الذى ألصقتم من كتابكم	لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا، قبل أن يحضر الأثرى	ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الرشاة، وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عوانا، وربما	أمر على من ذاقه جاب الحرب
فلسنا - ورب البيت - نسلم أحداً	لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبين منا ، ومنكم سواف
بمترك ضيق ترى كسر القنا
كان مجال الخيل في حجراته
أليس أبونا هاشم شد أزره
ولسنا نمل الحرب ، حتى تملنا
ولكننا أهل الحفاظ والنهى
وأيد أترت بالقساسة الشهب
به والنسور الطخم ، يمكفن كالشرب
ومعمة الأبطال معركة الحرب
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولا نشتكى ما قد يتوب من النكب
إذا طار أرواح الكفاة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا مرأستهم تخضياً به من أرادهم من قريش .

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين : وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه في الشعب ، فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك بمكة فجاء أبو البختری بن هاشم بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ، فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال أبو البختری : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ ! خل سيدل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختری لحي بعير ، فضربه به فشججه ، ووطنه وطاً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فيشتموا بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس .

ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

لجملت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البطش به ، يهزونه ، ويستهزئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوتهم منهم ، ومنهم من سمي لنا .

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامراته : ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار ، فكان من سمي لنا من قريش من نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الخطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الخطب ، لأنها كانت - فيما بلغني - تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق

رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيها : « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أضنى عنه مالهما وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في जिدها جبل من مسد » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الأطواق

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد . شجر يدق كإيدق الكتان ، فتقتل منه جبال . قال النابغة الذبياني - واسمه زياد بن عمرو بن معاوية :

مقدوفة بدخيس النحض بازها له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت في قصيدة له ، ووحدته : مسدة .

أم جميل امرأة أبي لهيب : قال ابن إسحاق : فذكر لي : أن أم جميل : حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدهما فهر من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله يبصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني أنه يهجوني ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ثم قالت :

مذما عصينا وأمره أدينا

ودينه قلينا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأيتك ؟ فقال : ما رأيتي ، لقد أخذ الله يبصرها عني ،

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مذما ، ثم يسبونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مذما ، وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول : وأميه بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ويل لكل همزة لمزة ، التي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه ، كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصده ، في عهد مددة » .

قال ابن هشام : الهزمة : الذي يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه عليه ، ويغمز به . قال حسان بن ثابت :

همزتك فاخضعت لذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : همزات . والهزمة : الذي يعيب الناس سرأ وبؤذيم . قال رؤبة بن العجاج :

في ظل عصري باطلي ولمزي

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص للرسول : قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الارت صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قينا بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأفنيك هناك حقك ، فوائه لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله مني ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : « أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً ، اطلع النيب ، ... إلى قوله تعالى : « ونزله ما يقول وبآيتنا فرداً » .

إيذاء أبي جهل للرسول : ورائي أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آلها ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فسيبوا الله عدوا بغير علم ، فدكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر للرسول : والنضر بن الحارث بن شلقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً ، فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم الشديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتبها كما اكتبتها . فأنزل الله فيه : « وقالوا : أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، إنه كان غفوراً رحيماً ، ونزل فيه : « إذا تلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين ، ونزل فيه : « ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تلى عليه ثم يعبر مستكبراً كأن لم يسمعها كان في أذنيه قرأ ، فبشره بعذاب أليم » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفي كتاب الله تعالى : « ألا إنهم من إفكهم ليقولون : ولد الله ولانهم لكاذبون ، وقال رؤبة :

لامرى أفك قولاً إفكاً

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً - فيما بلغنى - مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أخفه ، ثم تلا عليه وعليهم « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون لهم فيها زفير ، وهم فيها لا يسمعون » .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي واسمه : خويلد بن خالد .

فأطنى ، ولا توقد ، ولاتك محضاً لنار العداة أن تطير شكاتها

وهذا البيت له ويروى : « ولاتك محضاً » . قال الشاعر :

حصات له نارى فأبصر ضوءها وما كان لولا حصاة النار يهتدى

ابن الزبيرى وما قيل فيه : قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله بن الزبيرى السهمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيرى : « والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً وما قعد ، وقدزعم محمد أنا وما تعبد من آهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيرى : « أما والله ، لو وجدته لحصمته ، فسألوا محمداً : « أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله ابن الزبيرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها يعبدون ، لا يسمعون حسيها ، وهم فيما اشتتمت أنفسهم خالدون ، أى عيسى ابن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدو من الأجار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » إلى قوله : « ومن يقل منهم إلى إله من دونه ، فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين » .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ، ومن حضره من حجته وخصومته :
« ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، أي : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ، ولو نشاء لجعلنا
منكم ملائكة في الأرض يخلفون ، وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ، أي : ما وضعت
على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة ، يقول : « فلا تمترن بها
واتبعون ، هذا صراط مستقيم » .

الأخنس وما أنزل فيه : والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، وكان من أشرف
القوم ، ومن يستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ولا تطع كل حلاف
مهين ، هماز مشاء بنميم » إلى قوله تعالى : « زنيم » ، ولم يقل : زنيم لعيب في نسبة ، لأن الله منه ، فكان يصيب من
لا يصيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف . وازنيم : العديد للقوم ، وقد قال الخطيم التميمي في الجاهلية :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

الوليد وما أنزل فيه : والوليد بن المغيرة ، قال : أنزل على محمد ، وأترك وأنا كبير قریش وسيدها ، ويترك
أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيمي القريتين ؟ ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني : « وقالوا :
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، . . . إلى قوله تعالى : « عما يجمعون » .

أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وما أنزل فيهما : وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وعقبة
ابن أبي معيط ، وكانا متصافيين ، حسنا ما بينهما . فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع
منه ، فبلغ ذلك أبا ، فأتى عقبة ، فقال : ألم يبلغني أنك جالست محمداً ، وسمعت منه ثم قال : وجهي من وجهك
حرام أن أكلمك - واستغلظ من العين - إن أنت جالست إليه ، أو سمعت منه ، أو لم تأته ، فتمتلل في وجهه .
ففعل عن ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيها « ويوم يعرض الظالم على يديه يقول :
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . . . إلى قوله تعالى : « للإنسان خذولاً » .

ومشى أبي بن خلف إلى رسوله الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم بال قد ارفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم
أن يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ، ثم نفخه في الریح نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل
الله تعالى فيه : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيي العظام ، وهي رميم ، قل : يحييها الذي أنشأها أول
مرة وهر بكل خلق علم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، فإذا أنتم منه توقدون » .

سورة (الكافرون) وسبب نزولها : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة - فيما
بلغني - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهني ،

وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ففشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا بما نعبد ، كسنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا بما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم : « قل : يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين . أى : إن كنتم لاتعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ولى دينى .

أبو جهل وما نزل فيه : وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم ، قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بأزبد ، والله لئن استمكننا منها لنتزقنها تزقرا . فأنزل الله تعالى فيه : « إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يلقى فى البطون كغلى الحميم ، أى : ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهمل : كل شئ أذبه ، من نحاس أو رصاص ، أو ما أشبه ذلك فيما أخبرنى أبو عبيدة .

تفسير لفظ المهمل : وبلغنا عن الحسن بن أبى الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأذيت ، فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شها بالمهل لهذا ، وقال الشاعر :

يسقيه ربي حميم المهمل يجرعه يشوى الوجوه فهو فى بطنه صهر
وقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يميت فى النار بسقى مهلها وصديدها
وهذا البيت فى قصيدة له .

ويقال : إن المهمل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حضر ، أمر بشوئين كبسين يغسلان فيكفن فيها ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهم ، فاشتر كفنا ، فقال : إنما هى ساعة حتى يصير إلى المهمل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مهلا كريها ثم عل المنون بعد النهل

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : « والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ، .

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينما هو فى ذلك ، إذ مر به ابن أم مكتوم الاعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى

أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عباسا ، وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : « عيسى وتولى أن جاءه الأعمى » . . . إلى قوله تعالى : « في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، أي : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه من ابتغاه ، ولا تصدين به لمن لا يريد . »

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بني عامر بن لؤي ، واسمه : عبد الله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قريش

تفسير سورة المسد : ذكر فيه قول أبي لهب يديه : تبالكا ، لا أرى فيكما ، شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : « تبت ، هذا الذي ذكره ابن إسحاق يشبهه أن يكون سبياً لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : « تبت يدا أبي لهب ، وأما قوله : وتب ، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : « وأذر عشيرتكم الأفرين ، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى الصفا ، فصعد عليه ، فهتف : يا صباحاه ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقني ؟ قالوا : ما جر بنا عليك كذباً قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ألهذا جمعنا ؟ ! فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبي لهب ، وقد تب . هكذا فرأ مجاهد والأعمش ، وهي - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظاً كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، فسرت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : « فاتلهم الله أنى يؤفكون ، أي : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبي لهب ، ليس من باب : فاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : « تبت يدا أبي لهب ، تفسيره : قوله : « ما أغنى عنه ماله وما كسبه ، وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أي : خسرت يداه هذا الذي كسبت ، وقوله : « وتب ، تفسيره . « سيصلى ناراً ذات لهب ، أي : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبي لهب : تبالكما ، ما أرى فيكما شيئاً ، يعني : يديه : سبب نزول تبت يدا كما تقدم . »

وقوله في الحديث الآخر : تبالك يا محمد ، سبب لنزول قوله سبحانه : « وتب ، فالكلماتان في التنزيل مبيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . تباب يديه ، وتبابه هو في نفسه ، والنسب على وزن التلّف لأنه في معناه ، والتباب كالهلاك والخسار وزناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه : تبت وتباب . »

تفسير ألفاظ ذكرت في شعر أبي طالب : فصل . ذكر شعر أبي طالب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه . صفة لمخدوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات

بينهم كما قال الله سبحانه : « وأصلحوا ذات بينكم ، فكذلك إذا قلت : ذات يده . يريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عليه السلام : « أراعاه على زوج في ذات يده ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أى : لقاء أو مرة ذات يوم فلما حذف الموصوف ، وبقيت الصفة صارت كالحال لا تتمكن . ولا ترفع في باب مالم يسم فاعله ، كما ترفع الظروف المتمكنة ، وإنما هو كقولك : سير عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخثعمي - واسمه : أنس بن مالك عزمت على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيويوه قد جعلها لغة الخثعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما تقول : ما كلمني ذو شفة ، أى : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من باب : ذات مرة الذى لا يتمكن في الكلام ، وقد وجدت في حديث قبيلة بنت مخزومة ، وهو حديث طويل وقع في مسند ابن أبي شيبة : أن أختها قالت لبعليها : إن أختي تريد المسير مع زوجها حريث بن حسان ذا صباح بين سمع الأرض وبصرها ، فهذا يكون من باب : ذات مرة وذات يوم ، غير أنه ورد مذكراً ، لأنه تشتمل تاء التأنيث مع الصاد ، وتوالى الحركات ، فحذفوها فقالوا : لقيته ذا صباح ، وهذا لا يتمكن : كما لا يتمكن : ذات يوم وذات حين ، ولا يضاف إليه مصدر ولا غيره . وقول الخثعمي : عزمت على إقامة ذى صباح قد أضاف إليه ، فكيف يضيف إليه ، ثم ينصبه ، أو كيف يضارع الحالم مع إضافة المصدر إليه ؟ فكذلك خفضه ، وأخرجه عن نظائره إلا أن يكون سيويوه سمع خثعم يقولون : سرت في ذات يوم ، أو سير عليه ذات يوم برفع التاء ، فحينئذ يسوغ له أن يقول : لغة خثعم ، وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه ، وما أظن خثعم ، ولا أحداً من العرب يجيز التمكن في نحو هذا ، وإخراجه عن النصب ، والله أعلم .

لا التي للتبرئة ومحل النصب بها فصل : وفيه : ولاخير بمن خصه الله بالحب .

وهو مشكل جداً لأن لافي باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً تقول : لاخيراً من زيد في الدار ، ولاشراً من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى : « لا تريب عليكم اليوم ، لأن عليكم ليس من صلة التريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبهه ما يقال في بيت أبي طالب أن خير محضف : من خير كهين وميت وفي التنزيل : « خيرات حسان » هو محضف من خيرات .

عود إلى شرح شعر أبي طالب : وقوله : بمن . من ، متعلقة بحذوف ، كأنه قال : لاخير أخير بمن خصه الله ، وخير وأخير : لفظان من جنس واحد ، فحسن الحذف استئصالاً لتكرار اللفظ ، كما حسن : « ولكن البر من آمن بالله ، ودالحج أشهر معلومات » لما في تكرار الكلمة مرتين من النقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : « ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » أى : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار وإذا حذفوا حرفاً واحداً هذه العلة كقولهم : بلحرت بنو فلان وظلمت وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف فهذا أصل مطرد ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيراً من زيد إنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك : شر من فلان ، إنما أصله : أشر على وزن أفعال ، وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وأفعال لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون ، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقتاسية الشهب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قساس ، وهو معدن حديد لبنى أسيد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز يصف فأسا :

أحضر من معدن ذى قساس كأنه فى الحديد ذى الأضراس
يرى به فى البلد الدهاس

وقال أبو عبيد فى القساسية : لأدرى إلى أى شىء نسب ، والذى ذكرناه قاله المبرد ، وقوله : ذى قساس كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا الاسم ، وفى أقيال حمير : ذو كلاع ، وذو عمرو ، أضيف المسمى إلى اسمه ، كما قالوا : زيد بطة ، أضافوه إلى لقبه .

وذكر فيه النور الطخمة ، قيل ، هى السود الرءوس ، قاله صاحب الدين ، وقال أيضاً : الطخمة سواد فى مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السقب يريد ولد الناقة التى عقرها قدار فرغا ولدها ، فصاح برغائه كل شىء له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلاً فى كل هلكة . كما قال علقمة :

رغا فوقهم سقب السماء فداحص
بشكته لم يستلب وسليب

وقال آخر :

لعمري لقد لافت سليم وعامر
على جانب الثرثار راغية البكر

أم جميل وما نزل فيها :

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمه معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحة فى طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيها : « وأمرأته حمالة الحطب » قال المؤلف : فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا فى جبل ، من ثم جعل الجبل فى عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مسد ، هو من مسدت الجبل إذا أخكمت قتله ، إلا أنه قال : من مسد ، ولم يقل : جبل مسد ولا مسود لمعنى لطيف ، ذكره بعض أهل التفسير ، قال : المسد يعبر به فى العرف عن جبل الدلو ، وقد روى أنه يصنع بها فى النار ما يصنع بالدلو ، ترفع بالمسد فى عنقها إلى شفير جهنم ، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو جبل الدلو فى العرف صحيح فإنا لم نجد فى كلام العرب إلا كذلك ، كقول النابغة الذبياني :

له صريف صريف القمو بالمسد

وقال الآخر وهو يستقي على إبله :

يامسد الخوص تعود مني إن تك لدنياً لينا فإني
ماشدت من أشمط مقسطن

وقال آخر :

يارب عبس لاتبارك في أحد في قائم منهم ؛ ولا فيمن قعد
غير الأولى شدوا بأطراف المسد

أي : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقي :

ومسد أمر من أياق ليس بأنياب ولا حقائق

يريد: جمع أيتق، وأيتق : جمع ناقة مقلوب ، وأصله : أنوق، قلب، وأبدلت الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة،
إذا قالوا : نياق ، وقلوبه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا: أنوق على الاصل ، يريد أن المسد من جلودها . وفي
الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا لعصفور قتب ، أو السد محالة ،
والمحالة : البكرة . وفي حديث آخر: أنه حرمتها بريدا في بريد إلا المنجدة أو مسد ، والمنجدة : عصا الراعي .
وقال أبو حنيفة في النبات : كل مسد رشاء ، وأنشد :

وبكرة ومحورا صرارا ومسداً من أبق مناراً

والأبق : القنب ، والزبر : السكتان ، وأنشد أيضاً :

أزعا تمطيا ومنا بالمسد المثلوث أو يرشاً

فقد بان بهذا أن المسد جبل البئر ، وقد جاء في صفة جهم - أعاذنا الله منها كطى البئر لها قرنان ، والقرنان
من البئر كالدعامتين للبكرة ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه
وأليم عقابه ، وهذا تناسب الكلام وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حميم أو لغو - تعالى الله منزله ،
فيانه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً لا ينيق ما تقدم ، إذ يجوز أن يربق في تلك السلسلة أم
جميل وغيرها ، فقد قال الدرداء لامرأته : يأم الدرداء إن لله سلسلة تعلق بها مراحل جهم منذ خلق الله النار إلى
يوم القيامة ، وقد نجحك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى في النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام
المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها كانت تمشى بالنائم لا ينيق حملها للشوك ، وهو في كلام العرب سائغ أيضاً ،
فقد قال ابن الأسيوطي لقريش حين اختلفوا :

ونبتنكم شرجين كل قبيلة لها زمل من بين مذك وحاطب

فالمذكي الذي يذكي نار العداوة ، والحاطب الذي ينم ويفرى كالمحتطب للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه منتزع منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات ، والقتات هو الذي يجمع القت ، وهو ما يورق به النار من حشيش وحطب صغار .

الفرق بين الجيد والعنق : وقوله : في جيدها ؛ ولم يقل : في عنقها ، والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الغل ، أو الصنع ، كما قال تعالى : « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ، ويذكر الجيد إذا ذكر الحلي أو الحسن ، فإنما حسن ههنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لا حلى لها في الآخرة إلا الحبل المجهول في عنقها ، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه ، فتأمله ، فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :

وأحسن من عقد الملية جيدها

ولم يقل : عنقها . ولو قاله لكان غثا من الكلام فإنما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم ، أي لا بشري لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر :

تحية بينهم ضرب وجيع

أي : لا تحية لهم . كذلك قوله : في جيدها حبل من مسد ، أي : ليس ثم جيد يحلى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامرأته ، ولم يقل : وزوجه ، لأنها ليست بزوجه له في الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل : زوج نوح ، وقد قال لآدم : « اسكن أنت وزوجك » ، وقال لنبيه عليه السلام : « قل لأزواجك » ، وقال « وأزواجه أمهاتهم » ، إلا أن يكون مساق الكلام في ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : « وكانت امرأتى عاقرا » : « فأقبلت امرأته في صرة ، لأن الصفة التي هي الاثوثة هي المقتضية للعمل والوضع لامن حيث كانت زوجا .

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيله عن جيد أسيل تزيينه الأطواق

وقوله : تزيينه أي : تزيده حسنا ، وهذا من القصد في الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو في هذا المعنى ، وأن يغلبوه فقال في الحماسة حسين بن مطير :

مبلة الاطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

(م ١٥ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

قال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : من تكن الخلافة زينته ، فأنت زينتها ، ومن تمكن شرفها ، فأنت شرفها ، وأنت كما قال مالك بن أسماء :

وتزيدن أطيّب الطيب طيباً إن تسميه ، أين مثلك أيننا
وإذا الدرزان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زيننا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا ، قال المؤلف : وإنما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التلق . وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق ، فحسن لما عضده من التحقيق والتحري للحق ، والبعد عن الملق والخلافة ؛ وذلك حين عهد إلى عمر بالخلافة ؛ ودفع إليه عهده محتوما ، وهو لا يعرف مافيه ، فبما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيئة الثكلى . يقول : حملنى عبثاً لأضطلع به ، وأوردتنى موردا لا أدرى : كيف الصدر عنه فقال له الصديق : ما آثرتك بها ، ولكنى آثرتها بك ، وما قصدت مساءتك ، ولكن رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هنا أخذ الخطيئة قوله :

ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثر

وقد سبك هذه المعنى فى النسب عبد الله بن عباس الرومى ، فقال :

وأحسن من عقد المليحة جياها وأحسن من سربها لها المتجرد

وبما هو دون الغلو ، وفوق التقصير قول الرضى :

حليه جيد ، لا ما يقلده وكحله ما يعينه من الكحل

ونحو منه ما أنشده الثعالبي :

وما الجلى إلا حيلة من نقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصرا

فأما إذا كان الجمال موفرا فحسبك لم يحتاج إلى أن يزورا

وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن العربى يقول : حج أبو الفضل الجوهري الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج تمثل ، وقال :

ماعلق الحلى على صدرها إلا لما يخشى من العين

تقول والدر على نحرها : من علق الشين على الزين

وبيت الأعشى المتقدم بعده :

وشذبت كالأقحوان جلاه العلل فيه عذوبة واتساق

وأثيث جثل النبات ترويه له لعوب غزيرة مفتاق

حرة طفلة الأنامل كالدح ية لا عانس ولا مزاق

الفهر : وذكر قول أم جميل لآبى بكر : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . المعروف فى الفهر التأنيث ، وتصغيره فهيرة ؛ ووقع هنا مذكرا .

محمد وليس مذمما : وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عنى من أذى قريش ،

يشتمون ويهجون مذمما وأنا محمد ؟ ١٤ ، وأدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فإنه غير لازم » ، وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم . « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ؛ فجعل أذام مصروفا عنه ؛ لما سبوا مذمما لا يشبه أن يكون اسماله ، فكذلك إذا قال لها . كلي واشربي ، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه ، لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

حديث حجاب : فصل : وذكر حديث حجاب مع العاصي بن وائل ، وما أنزل الله فيه من قوله : « أرأيت الذي كفر بأياتنا » ، وقد تقدم الكلام على : أرأيت ؛ وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ؛ وهي هنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يغني عن إعادته هنا ؛ فلينظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها .

إثبات الذرائع : فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفن عن سب آل لهتنا أو لنسبن إلهك فأنزل الله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، وهذه الآية ، أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آل لهتهم كان من الدين ، فلما كان سبها إلى سبهم الباري - سبحانه نهي عن سب آل لهتهم ، فكذلك ما يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغى الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقح الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ، ولا كره شيئا من البيوع التي تنقي فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجته قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ، فيه أيضا متعلق لهم وقالوا ونهيه تعالى عن سب آل لهتهم ، لتلايسب الله تعالى ليس من هذا الباب ، لأنه لا تهمة فيه لمؤمن ولا نضييق عليه ، وكما تنقي الذريعة إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغى أن يتقى تحريم ما أحل الله ، فكلا الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو من البيع والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع مجاله ويصدقنا عن مقصودنا من الكتاب .

النضر بن الحارث ، - وشيء من أخبار الفرس

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : كلد بن علقمة وغيره من النساب يقول : علقمة بن كلد ، وكذلك ألقنيه في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر عن الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندباد ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبتها محمد ، ووقع في الأصل : اكتبتها كما اكتبتها محمد ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : اكتبتها كما اكتبتها ، ورسم الشيد بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء في الشيد والألف سواء ، ومنه « أرخشاذ » ، وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك الأرض ، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريزون وأبيه جم » ، وبين « أفريزون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ماقتلتك بجم ، وما أنت له بكفء ، ولم يكن قتلتك بشور كان في داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندباد في الجزء قبل هذا .

ابن الزبيري وعزير : و ذكر حديث ابن الزبيري ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى ، الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبيري وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

أحدهما : أنه خطاب منوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام ، وقوله إنا نعبد الملائكة حيدة ، وإنما وقع الكلام والمخاطبة في اللات والعزى وهبل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثاني : أن لفظ التلاوة : « إنكم وما تعبدون ، ولم يقل : ومن تعبدون ، فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون ، والأصنام لا تعقل ، ومن ثم جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على ما لا يعقل ، وإنما تقع ما على ما يعقل ، وتعلم بقريته من التعظيم والإبهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن قدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود وعزيرا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد السكشي ، أن التوراة لما احترقت أيام بخت نصر ، وذهب بذهاها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدتها أعظم الكرب ، فبينما عزير يبكي لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها ، فقال لها عزير : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدي ، وأنت تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً ، فأت هذا المكان ، فلما أن جاء من الغد للساعة التي وعده ، إذا هو بانسان خارج من الأرض في يده كهيشة الفارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فكتب عزير التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراة ، وما كان عزير كتب ، فوجدوه سواء ، فمنها قالوا : إنه ولد الله تعالى عن ذلك .

حصب جهنم : وقوله حصب جهنم ، هو من باب القبض والنفض والحصب يسكون الصاد كالقبض والنفض ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : « أن يرسل عليكم حاصباً ، ويروى : حصب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات : وهو من حصب النار بمنزلة حصبها ، يقال : أرثتها وأرثبتها وحششتها وأذقيتها . وفسر ابن إسحق قوله : يصدون (بضم الصاد) ، ومن قرأ : يصدون فمعناه : يعجبون .

مانزل في الأخنس : فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شريق - واسمه : أبي من قوله تعالى « عتل بعد ذلك زنيم » وقد قيل نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : في الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قريش له زنيمان كزنى الشاه . رواه البخاري بإسناده عنه وفي رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذي له زنيمان من الشر يعرف بهما ، كما تعرف الشاة بزنىتها ، وروى عن ابن عباس أيضاً مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم الملقب بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرقي الحروري ، وقال : أما سمعت قول حسان : زنيم تداعاه الرجال البيت ، وقد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه للخظيم التميمي ، والأعرف أنه لحسان ، كما قال ابن عباس ، وأما العتل فهو الغليظ الجافي من قوله تعالى « خذوه فاعتلوه » وقال عليه السلام : « أنا أنبئكم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر جماع مناع ،

قل يا أيها الكافرون : فصل : وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه : « قل : يا أيها الكافرون ، إلى آخرها فقال : « لا أعبد ما تعبدون ، أي : في الحال : « ولا أنا عابد ما عبدتم ، أي : في المستقبل ، وكذلك : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، فإن قيل : كيف يقول لهم : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : « هل فنسجد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً الله من عبده سنة ، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على مالا يعقل ، فكيف عبر بها عن الباري تعالى ؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أو أن ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم ، وهي في معنى الإبهام لأن من جلت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كنه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب : سبحان ما سبح الرعد بحمده ، ومنه قوله : « والسماء وما بناها » فليس كونه عالماً بما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه باني السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إن شيئاً بناها لعظيم ، أو ما أعظمه من شيء . فاللفظ مافي هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كأننا ما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكأننا ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فن هاهنا حسنت مافي هذا الموضع ، لامن جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكأننا من كان ، وأما قوله تعالى : « لا أعبد ما تعبدون » فوافعة على مالا يعقل ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، وقوله : « ولا أنتم عابدون ما عبدت » افتضاها الإبهام ، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبود ، كأننا ما كان ، فحسنت مافي هذا الموضع لهذه الوجوه ، فبهذه القرائن يحسن وقوع ماعلى أولى العلم .

وبقيت نكتة بديعة يتعين التنبيه عليها ، وهو قوله تعالى : « ولا أنا عابد ما عبدتم » بلفظ الماضي ، ثم قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً ، إذا أخبر عن نفسه قال : ما أعبد ، ولم يقل : ما عبدت ، والنكتة في ذلك أن ما لما فيها من الإبهام - وإن كانت خبرية - تغطي معنى الشرط ، فكأنه قال : مهما عبدتم شيئاً ، فاني لأعبد ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضي ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما : فيها راحة الشرط من أجل إبهامها ؛ فبذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال في أول السورة : « ما تعبدون » ؛ لأنه حال لأن راحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك راحة الشرط معدومة في قوله : « عابدون ما أعبد » ؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ، لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بمهما ، كما استقام ذلك في حقهم ، لأنهم في قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ، فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبد ، فذلك قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال وفي المال ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثباته على توحده ، فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط في الكلام بتي الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » اضطربوا في إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذي ، وجاء بكان على لفظ الماضي ، وفهما الزجاج ، فأشار إلى أن من

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا .

فيها طرف من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ المضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صديقا ، فكيف يكلم ؛ ! لما أشارت إلى الصبي : أن كلموه ، ولو قالوا : كيف تكلم من هو في المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصا به ، فلما قالوا : كيف تكلم من كان ، صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الغرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذى أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ، وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقاه من الألفاظ والإشارات .

شجرة الزقوم : فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش ، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب : يقولون تزومت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بجمله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لاورق لها وفروعها أشبه شئ برءوس الحيات ، فهى كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أهاذنا الله منها ، وأن أهل النار ينحدرون إليها . قال ابن سلام : وهى تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعونة في القرآن ، أى : الملعون آكلها ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشنوم حديث ابن أم مكتوم فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه . وأم مكتوم : اسمها : عاتكة بنت عبد الله بن عسكثة بن عامر بن مخزوم .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية ابن خلف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من عظماء المشركين ، ولم يسمه ، وفي قوله سبحانه : « أن جاءه الأعمى ، من الفقه أن لاغية في ذكر الإنسان بما ظهرت في خلقته من عمى أو عرج ، إلا أن يقصد به الازدراء ، فيلحق المأثم به ، لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : « أتخذنا هزوا قال . أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وفي ذكره إياه بالأعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة بالتنبيه على موضع العتب ، لأنه قال : « أن جاءه الأعمى ، فذكر المجيء مع العمى ، وذلك ينبىء عن تجشم كلفة ومن تجشم القصد إليك على ضعفه ، فحكك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم ، معتوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالعتب ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، ألا تراه يقول : « وما يدريك لعله يزكى » الآية ولو كان قد صح إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد ، والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام ، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم : استدنى يا محمد ولم يقل : استدنى يا رسول الله ، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكى عائدة على الأعمى ، لا على الكافر ، لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل تعطى الترجى والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للمتزكى . والله أعلم .

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرآ ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي : عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سهلة بنت سهيل .

ومن خلفائهم : عبد الله بن جهش بن رثاب .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : ازبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وسويبط بن سعد بن حرملة .

ومن بني عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد .

ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بني مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم . وسلمة ابن هشام بن المغير ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، هرجما به إلى مكة ، فحبسها بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن خلفائهم : عمار بن ياسر ، يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتب بن عوف بن عامر

من خزاعة .

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

ومن بني سهم بن هصيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس عدى ، وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ، حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

ومن بني عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته : ليلى بنت أبي حشمة بن حذافة بن غانم .

ومن بني عامر بن لؤي : عبد الله بن مخزوم بن عبد العزى بن أبي قيس : وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فأنحاز من المشركين إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرآ ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة ومن خلفائهم سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح . وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد ، وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ، وعمرو بن أبي مرجم بن ربيعة بن هلال ، كنيته : أبو سعد كافي الإصابة .

لجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا ، فكان من دخل منهم بجوار ، فيمن سمى لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأم أبي سلمة : برة بنت عبد المطلب .

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان ، قال لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يندو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحى آمننا بجوار رجل من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني - لنقص كبير في نفسي ، فشئى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وقت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذك أحد من قومي قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد على جوارى علانية ، كما أجزتك علانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى قال : صدق ، قد وجدته وفيها كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لأستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان ، ولييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان : فقال لييد :

لا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكل نعم لاحالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعم الجنة لا يزول . قال لييد بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليستكم ، فمضى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدون في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل ، فغطم عينه ، فحضرها ، والوليد بن المغيرة

قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختي في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأندريا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعد إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلبية في جوار أبي طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلبية بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلبية بن عمر بن أبي سلبية أنه حدثه : أن سلبية لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فالك ولصاحبنا تمنه منا ؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ، فقام أبو لهب ، فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه ، أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد قال فقالوا بل نصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وكان لهم وليا وناصرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فابقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجأ أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرأ أبو عتبية عمه	لني روضة ما إن يسام المظالم
أقول له - وأين منه نصيحتي	أبا معتب ثبت سوادك قائما
فلا تقبلن الدهر ما عشت خلة	تسب بها ، إما هبطت المواثما
وول سبيل العجز غيرك منهم	فإنك لم تخفق على العجز لازما
وحارب ، فإن الحرب نصف وما ترى	أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة	ولم يخذلوك غائما ، أو مغرما
جزى الله عنا عبد شمس ونو فلا	وتبما ومخزوما عقوقا وماثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة	جماعتنا ، كيما ينالوا المحارما
كذبتهم وبيت الله نبى محمداً	ولما تزوا يوما لدى الشعب قائما

قال ابن هشام : نبى : نسل . قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

دخول أبي بكر في جوار ابن الدغنة ثم رده عليه

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كما حدثني : محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابن الدغنة ، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهون بن خزيمه بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش للحلف .

ويقال : ابن الدغينة .

قال ابن إسحاق : حدثني ازهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني ، وضيقوا على قال : ولم ؟ فوالله إنك لزين العشيرة ، وتمين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ، أرجع ، وأنت في جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة ، فلا يعرضن له إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره في بني جمح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكي . قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، لما يرون من هيئته . فشئ رجال من قريش إلى ابن الدغنة ، فقالوا له : يا ابن الدغنة ، إنك لم تجر هذا الرجل ، ليؤذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمد برق ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فأنه فمره أن يدخل بيته ، فيصنع فيه ماشاء . قالت فشئ ابن الدغنة إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إنى لم أجرك لتؤذى قومك ، لأنهم قد كرهوا مكانك إنى أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أورد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جوارى قال : قدر دته عليك . قالت فقام ابن الدغنة ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد قال : لقيه سفينة من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحشا على رأسه تراباً . قال : فر بأبى بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفينة ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أى رب ، ما أحملك ! أى رب ، ما أحملك ! أى رب ، ما أحملك !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذى تعافدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التى تسكنيت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش ، ولم يبل فيها

أحد أحسن من بلاد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه فكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبمير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فم الشعب ، تخلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بزا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن اسحاق : ثم انه مشى الى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه : عائكة بذت عبد المطلب - فقال : بازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينكح اليهم ؟ أما إنني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته الى ما دعاك اليه منهم ، ما أجابك اليه أبدا ، قال : ويحك يا هشام ! فاذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ، لقمتم في نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عدى ، فقال له : يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنهم إليها منكم سراعا ، قال : ويحك ! فاذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال أبغنا رابعا .

فذهب إلى أبي البختری بن هشام ، فقال له نحوأما قال المطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحتمهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم .

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة ، حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم فليأصحبوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ، فطلف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ! أنا كل الطعام ، وتلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكني لا يباع ولا يبتاع معهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود : إنك والله أكذب ، مارضينا كتابها حيث كتبت ، قال أبو البختری : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ، ولا نقر به ، قال المطعم بن عدى : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك ، تبرأ إلى الله منها ، وبما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوأ من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، نشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الارضة قد أكلتها ، إلا : « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة . فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عم ، إن ربى الله قد سلط الأراضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والطبيعة والبهتان فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانتها عن قطعنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتعافدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بجرينا صنع ربنا
فبخبرهم أن الصحيفة مزقت
تراوحها لإفك ، وسحر مجمع
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
وكانت كفاء رقعة بأثيمة
ويظعن أهل المسكتين ، فيهربوا
ويترك حرات يقبل أمره
وتصعد بين الأخشين كتيبة
فن ينش من حضار مكة عزه
نشأنا بها ، والناس فيها قلائل
ونظعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحجون تبايعوا
فعوداً لدى خطم الحجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
جرى على جلى الخطوب ، كأنه
من الأكرمين من لوى بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد ، سيد وابن سيد
ويبنى لأبناء العشيرة صالحاً
أط بهذا الصالح كل مبرأ
فضوا ما قضاوا فى ليلهم ، ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً

على نأيهم والله بالناس أروء
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
ولم يلف سحر آخر الدهر يصد
فطائرهما فى رأسها يتردد
ليقطع منها ساعد ومقلد
فرائصهم من خشية الشر ترعد
أيتهم فيهم عندك ذاك وينجد
لها حدج سهم وقوس ومرهد
فعرتنا فى بطن مكة أتلد
فلم تنفك نرداد خيراً ونحمد
إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد
على ملا يهدى لحزم ويرشد
مقاولة ، بل هم أعز وأجد
إذا ما مشى فى رفرق الدرع أحرد
شهاب بكفى قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
على وجهه يسقى الغمام ويسعد
يخض على مقرى الضيوف ، ويحشد
إذا نحن طفنا فى البلاد ، ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يحمد
على مهل ، وسائر الناس رقد
وسر أبو بكر بها ومحمد

متى شرك الأفوام في جل أمرنا
وكنا قديماً لا نفر ظلامه
وكنا قديماً فديماً قبلها تتودد
وندرك ما شئنا ، ولا نتشدد
وهل لكم فيما يحيى به غد
لديك البيان لو تكلمت أسود
فإني وإياكم كما قال قائل

وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عبدى حين مات ، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة :

أيا عين فابكي سيد القوم واسفجى
وبكي عظيم المشعرين كليهما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً
أجرت رسول الله منهم ، فأصبحوا
فلو سلت عنه معد بأمرها
لقالوا : هو الموفى بخفرة جاره
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
وآبى إذا يآبى وألين شيمة
بدمع ، وإن أنزفته فاسكبي الدما
على الناس معروفا له ما تكنا
من الناس أبقي مجده اليوم مطعما
عبيدك ، ما لبي مهل وأحرما
وقحطان ، أو باقى بقية جرهما
وذمته يوماً إذا ما تدمما
على مثله فيهم أعز وأعظما
وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « جرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجيئه إلى ما دعاهم إليه ، من تصديقه ونصرته ، صلب إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس ابن شريق ، ليحيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا يجير على بنى كعب . فبعث إلى المطعم بن عدى ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تساح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ادخل ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة :

هل يوفين بنو أمية ذمة
من معشر لا يغدرون بجارهم
عقداً كما أوفى جوار هشام
للحارث بن حبيب بن سخام
وإذا بنو حسل أجاروا ذمة
أوفوا وأدوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام : قال ابن هشام : ويقال : سخام .

عودة المهاجرين من الحبشة

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في أمنيته ، أي : في تلاوته عند ذكر اللات والعزى ، لأنهم لهم الغرائقة العلى ، وإن شفاعتهم لترجي ، فطار ذلك بمكة ، فسر المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : « فيفسخ الله ما يلقى الشيطان ، الآية ، فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قریشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية البسكائي ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أفولا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول - عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ؛ ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه ، وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم لترجي . ومنها : أن النبي - عليه السلام - قال حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متمجبا من كفرهم ، والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم .

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طليبا ، وقال في نسبه : ابن أبي كبير بن عبد ابن قصي ، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحق بزيادة : أبي كبير ، وكان بدريا في إحدى الروايتين عن ابن إسحاق ، وكذلك قال الواقدي وابن عقبة ، ومات بأجنادين شهيدا لاعتق له .

حول قول ليبيد : فصل : وذكر قول ليبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقصة ابن مظعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها الشاعر قول ليبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : « أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فالجواب وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ما عداه ، وعدا رحمته التي وعد بها من رحمته ، والنار وما توعد به من عقابه ، وماسوى هذا فباطل أي : مضمحل والجواب الثاني : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما ببقين بإبقاء الله لهما ، وأنه يخلق الدوام لاهلها على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعري ، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ،

وهو القديم الذي انعدمه محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالالف واللام ، أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيفيد ، ووعدك الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ، لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علينا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذى لا يجوز عليه الخلف لامن جهة استحاله البقاء عليها ، كما يستحيل على القديم - سبحانه - الذى هو الحق ، وماخلاه باطل ، فإما جوهر وإما عرض ، وليس فى الأعراض إلا ما يجب له الفناء ، ولانى الجواهر إلا مايجوز عليه الفناء والبطول ، ولإن بنى ولم يبطل لجائز أن يبطل وأما الحق - سبحانه - فليس من الجواهر والأعراض : فاستحال عليه ما يجب لهما ، أو يجوز عليهما .

حديث أبى بكر مع ابن الدغنة : وذكر حديث أبى بكر حين لقي ابن الدغنة ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهون من كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا ، أى : تجمعوا ، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جبيل ، يقال له حبشى ، فاشتق لهم منه الاسم . وقوله لأبى بكر : إنك لتكسب المعدوم ، يقال : كسبت الرجل مالا ، فتمتديه إلى مفعولين . هذا قول الأصمى ، وحكى غيره : أكسبته مالا ، فعنى تكسب المعدوم ، أى : تكسب غيرك ما هو معدوم عنده ، والدغنة : اسم امرأة عرف بها الرجال ، والدغن : الغيم يبقى بعد المطر .

الشعب وتقتضى الصحيفة : فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيل : هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام بن الحارث ، بن حبيب ، وفى الحاشية عن أبى الوليد : إنما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ، وهكذا وقع نسبه فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أقره بزأ بازأى المعجمة ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر : برا ، وفى رواية يونس : بزأ أو برأ على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة ، فسلت يده ، وللنساب من قریش فى كاتب الصحيفة هو : بغيض ابن عامر بن هاشم بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبير يون أعلم بالنساب قومهم . وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الشعب من ضيق الحصار لايباعون ولا يناكحون ، وفى الصحيح : أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ، وكان فيهم سعد بن أبى وقاص . روى أنه قال : لقد جمعت ، حتى أنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فوضعت فى فمى وبلعته ، وما أدرى ما هو إلى الآن ، وفى رواية يونس : أن سعدا قال : خرجت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قمقعة تحت البول ، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ثم رضختها ، وسففتها بالماء ، فقويت بها ثلاثا ، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لبعاله ، فيقوم أبو لبعدو الله ، فيقول : يا معشر التجار : غالوا على أصحاب محمد ، حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمت مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ، فيزيدون عليهم فى السلعة ، فيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يديه شىء . يطعمهم به ، ويندو التجار على أبى لبعدو ،

فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ، ومن معهم جوعاً وعرباً ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التي دل عليها تأويل النقطات الثلاث التي غطه جبريل حين قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، وإن كان ذلك في اليقظة ، ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويل وإيماء وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل .

شرح دالية أبي طالب : وقول أبي طالب : ألا قد أتى بحرنا ، يعنى الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عليه السلام : إذا نشأت بحرية ، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم له أن العرب تنسب إلى البحر : بحراني على غير قياس ، وأنه من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيويوه والخليل ، ولم يقله سيويوه قط ، وإنما قال في شواذ النسب : تقول في بهراء : بهرائي ، وفي صنعاء : صنعائي ، كما تقول : بحراني في النسب إلى البحرين التي هي مدينة ، وعلى هذا تلقاه جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيويوه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة أعنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بنوا البحر على بحران ، وإنما أراد لفظ البحرين ألا تراه يقول في كتاب العين : تقول بحراني في النسب إلى البحرين ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال : وإنما قالوا : بحراني في النسب إلى البحرين ، ولم يقولوا : بحري ليفرقوا بينه وبين النسب إلى البحر ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره عثرات يدمى منها الأظل ، ويدحض دحضات تخرجه إلى سبيل من ضل ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طبرية ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يببس عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في عين زغر ، وإنما ذكرت بحيرة طبرية في حديث يأجوج ومأجوج ، وأنهم يشربون ماءها ، وقال في الجمار في غير هذا الكتاب : التي ترمى بعرفة ، وهذه هفوة لا تقال ، وعثرة لا لعل لها ، وكلم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره ، ومن النسب إلى البحر قوله عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البحرية الحبشية ، فهذا مثل قول أبي طالب : ألا هل أتى بحرنا .

وقوله : والله بالناس أروء : أى : أرفق ، ، ومنه : رويدك ، أى رفقاً جاء بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقيلاً أى : أرفق قليلاً ، وليس له مكبر من لفظه ، لأن المصدر : إرواد ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذي فيه إروائد ، فتحذفها في التصغير ، فتقول في أسود : سويد ، وفي مثل إرواد : رويد .

وقوله : من ليس فيها بقرقر : أى : ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هزل ، لأن القرقر الضحك .

وقوله : وطأرتها في رأسها يتردد . أى : حظها من الشؤم والشر ، وفي التنزيل : د أزمناه طأرتها في عنقه ، وقوله : لها حدج سهم وقوس . مرهد ، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكنانى على هذا البيت : لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج على ما حكى الفارسي ، وأنشد شاهداً عليه عن ثعلب :

قنا فأنسنا الحول والحدج

ونظيره : ستر وستر ، ذكر ذلك عنه ابن سيدة في محكمه ، فيكون المعنى : إن الذي يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد . إلى هنا انتهى ما في حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفي العين : الحدج : حسك القطب مادام رطباً فيكون الحدج في البيت مستعاراً من هذا ، أى : لها حسك ، ثم فسره فقال : سهم وقوس ومرهد ، وهكذا في الأصل بالراء وكسر الميم فيحتمل أن يكون مقلوباً من مرهد : مفعول من زهد الثوب إذا مزقه ، ويعنى به ربحاً أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرى من ادم ، وفي بعض النسخ : مزهد بفتح الميم والزاى ، فان صحت الرواية به ، فعناه : مزهد في الحياة وحرص على المات ، والله أعلم : وقوله فيها : إذا جعلت أيدى المقيضين ترعد . يعنى : أيدى المقيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي ، ويسمون من لا يدخل معهم في ذلك : البرم . وقالت امرأة لبعها - وكان برماً بخيلاً ، ورأته يضقرن بعين في الأكل : أبرماً قرونأ ويسمونه أيضاً : الحصور : يريد أبو طالب إنهم يطعمون إذا تخيل الناس . والميسر : هى الجزور التى تقسم ، يقال : يسرت إذا قسمت ، هكذا فسره القتي وأشد :

أقول لهم بالشعب إذ يسرونى ألم بياسوا أنى ابن فارس زهدم

قال : يسرونى أى : يقتسمون مالى ، ويروى : ويأسرونى من الأسر .

وقوله : رفرف الدرع أجرد ، رفرف الدرع : فضوطها : وقيل فى معنى : رفرف خضر : فضول الفرش والهبط ، وهو قول ابن عباس ، وعن على أنها : المرافق ، وعن سعيد بن جبير : الرفارف : رياض الجنة والأجرد الذى فى مشيه تناقل ، وهو من ، الجرد وهو : عيب فى الرجل . وفيه : هم رجعو أسهل بن بيضاء راضياً . سهل هذا هو : ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر يعرف : بابن البيضاء ، وهى أمه ، واسمها : دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر ، وهم ثلاثة إخوة : سهل وسهيل وصفوان بنو البيضاء . وقوله .

ولانى ولياهم كما قال قائل لديك البيان لوتكلمت أسود

أسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً .

قول حسان فى مطعم وهشام بن عمرو : فصل : وذكر قول حسان فى مطعم بن عدى ، ويذكر جواره للنبي - عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقياه فى أمر الصحيفة :

فلو كان مجد يتخذ الدهر واحداً من الناس أبى مجده اليوم مطماً

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة بما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً ليلاً - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعض بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً .

قال : فوالله ما زالوا حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع . قال : فغدوت المسجد ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي عند الكعبة . قال : فقامت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . قال .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلاً لتقدم ذكر مطعم ، فكأنه قال : أبتى مجد هذا المذكور المتقدم ذكره مطعماً . ووضع الظاهر موضع المضمرة ، كإلو قلت : إن زيدا ضربت جاريتك زيدا ، أي : ضربت جاريتك زيدا ، ولا بأس بمثل هذا ، ولا سيما إذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر المدوح ، كما قال الشاعر :

ومال أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهر الأثواب بر

ويجوز نصبه عندي على البدل من قوله : وبكى عظيم المشعرين ، ويكون المفعول من قوله : أبتى مجده محذوفاً ، فكأنه قال : أبقاه مجده أبداً ، والمفعول لا قبح في حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حبيب بن سخام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حبيب بالتخفيف تصغير حب ، وجعله حسان تصغير حبيب ، فشده ، وليس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ أن يقال في فليس : فليس ، ولا في كليب : كليب في شعر ولا غيره ، ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حسن في الشعر ، وسائغ في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤلفات قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلاً فيما ذكروا .

وقوله : ابن سخام ، هو : أمم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سخام بشين معجمة ، وألفيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النسابة وعوانه يقولون فيه : سخام بسين وحاء مهملتين والذي في الأصل من قول ابن هشام : سخام بسين مهملة ، وحاء معجمة ولفظ سخام من سخيم الطعام ، وخشم إذا تعبرت رأيتته ، قاله أبو حنيفة .

فسدت كلاما حسنا . قال : فقلت في نفسي : وائسكل أمي ! والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من الفتيح ، فما بمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .

قال : فكثت حتى انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأنبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا كذا وكذا - للذى قالوا - فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعتة قولاً حسناً ، فأعرض على أمرك . قال : فأعرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم ، وداعيتهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوم لىه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بشذية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى ، أن يظنوا أنها مثلة وقعت فى وجهى لفرأق دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى . قال : فجعل الحاضر يترأون ذلك النور فى سوطى كالتنديل المعاق وأنا أهبط إليهم من الثنية ، قال : حتى جنتهم فأصبحت فيهم .

إسلام والد الطقيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخاً كبيراً ، قال : فقلت : إليك عنى يا أبت ، فلست منك ، ولست منى ، قال : ولم يابنى ؟ قال : قلت أسلمت ، وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أى بنى ، فدينى دينك ، قال : فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعليك ما عابت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلست منك ولست منى ، قالت لم ؟ بأبى أنت وأمى ، قال : قلت : قد فرق بينى وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فدينى دينك ، قال : قلت : فاذهبى إلى حنا ذى الشرى - قال ابن هشام : ويقال : حى ذى الشرى - فظهرى منه .

ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الهى حى حموه له ، به وشل من ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئاً ، قال : قلت : لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام ، فأبطئوا على ، ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فقلت له : يا نبى الله ، إنه قد غلبنى على دوس الزنا ، فادع الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم

وارفق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح الله عليه مكة ، قال : قلت : يا رسول الله ، ابغثنى إلى ذي الكفين ، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :

ياذا الكفين - لست من عبادكا ميلادنا أقدم مر ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

قال : ثم رجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان معه بالمدينة ، حتى قبض الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة - ومعه ابنه عمرو بن الطفيل - فرأى وؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فأعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فم طائر ، وأنه لقيتني امرأة ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيت حبس عني ، قالوا : خيرا . قال : أما أنا والله ، فقد أوتيتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه : وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحى ، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تحفر لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني لإيائي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شدة ، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا .

قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل ، خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ألم تفتن عيناك ليلة أرمدا
وما ذلك من عشق النساء ، وإنما
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن
كهولا وشبانا فقدت وثروة
ومازلت أبغى المال مذ أنا يافع
وأبتذل العيس المراقيل تهتلي
ألا أيهذا السائل أين يمت
فإن تسألني عني ، فيارب سائل
أجدت برجليها النجاء ، وراجعت
وفيها - إذا ما هجرت - عجرية

وبت كما بات السليم مسهدا
تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
إذا أصلحت كفاي عاد ، فأفسدا
فله هذا الدهر كيف ترددا
وليدأ وكهلا حين شبت وأمردا
مسافة ما بين النجير فصرخدا
فإن لها في أهل يثرب موعدا
حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
بداها خنفاً لنا غير أحردا
إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا

ولا من حتى حتى تلاقى محمدا
تراحي وتلني من فواضله ندى
أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
نبي الإله حيت أوصى ، وأشهدا
ولا فيت بعد الموت من قد تزودا
فترصد الأمر الذي كان أرصدا
ولا تأخذن سها حديدا ، لتفصدا
ولا تعبد الأوثان ، والله فاعبدا
عليك حراما فانكحن أو تأبدا
لعافية ولا الأسير المقيدا
ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تحسبن المال البرء مخلدا

وآيت لا آوى لها من كلاله
مق ماتناحى عند باب ابن هاشم
نينا يرى مالا ترون وذكره
له صدقات مانغب ونائل
أجدك لم تتمع وصاة محمد
إذا أنت لم ترحل بزد من التقي
ندمت على أن لا تكون كمثل
فاياك والميتات لا تقربنها
وذا النصب المنسوب لا تنسكنه
ولا تقربن حرة كان سرها
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
وسبح على حين العشيات والضحى
ولا تسخرن من بائس ذى ضرارة

نهاية الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى النفس منها لعلالات ، ولكنى منصرف فانزوى منها عامى هذا ثم آتته فأسلم . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة ابى جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبغضه إياه ، وشدة عليه ، يذله الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من إراش - قال ابن هشام : ويقال : لإراشة - بإيل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فخطله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد من قريش ، ورسوله الله - صلى الله عليه وسلم - فى ناحية المسجد جالس ، فقال : يا معشر قريش ، من رجل يؤدبني على أبي الحكم بن هشام ، فإننى رجل غريب ، ابن سبيل ، وقد غلبني على حتى ؟ فقال له أهل

ذلك المجلس : أتى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يهزءون به ، لما يملون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه ، فإيه يؤدبك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدبني عليه ، يأخذ لي حقى منه ، فأشاروا لي إليك فخذ لي حقى منه ، يرحمك الله ، قال : انطلق إليه ، وقام معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه قالوا لرجل من معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فأخرج إلى ، فخرج إليه ، وما في وجهه من رائحة ، قد انتقع لونه ، فقال : أعط هذا الرجل حقته ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشي : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه ومامعه روحه ، فقال له : أعط هذا حقته ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقته فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويحك ! مالك والله مارأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحك ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابي ، وسمعت صوته ، فلثت رعباً ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ، مارأيت مثل هامته ، ولا فصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطالب بن عبد مناف أشد قريش ، فخلاً يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض شعاب مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياركانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعثك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أفرايت إن صرعتك ، أنعلم أن ما أقول حق ؟ قال نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أضجمه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال يا محمد : والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ، إن أتقيت الله واتبعته امرى ، قال : ما هو ؟ قال : أدعوك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ، قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فقال لها : ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب ركانة إلى قومه ، فقال : يا بنى عبد مناف ، ساحروا بضاجكم أهل الارض ، فوالله مارأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى ، والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة - عشرون رجلاً ، أو قريب من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عز وجل - وتلا عليهم القرآن ، فما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدموع . ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جيل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيكم الله من ركبنا بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم ، لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه بما قال ، ما تعلم ركبنا أحق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لانجهاكم ، لنا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيراً .

ويقال : إن نفر من النصارى من أهل نجران ، فإله أعلم أى ذلك كان . فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء ، الآيات : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين » . . . إلى قوله : « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا بفتنة من الجاهلين » .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب ازهرى عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لى ما سمعته من علمائنا أنهم أنزلن في النجاشى وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون » . . . إلى قوله : « فاكتمنا مع الشاهدين » .

قال ابن إسحاق وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - إذا جلس في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيمة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباهم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء لإنيه وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردوهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : هؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل : سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر ، عبد لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمد أكثر مما يأتي به لإلجبر النصراني ، غلام بنى الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما نعبده بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

قال ابن هشام : يلحدون إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق .
قال روثبة بن العجاج :

إذا تبع الضحاك كل ملحد

ابن هشام : يعنى الضحاك الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له

حديث طفيل الدوسى : فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسى ، وهو طفيل بن عمرو بن طريف ابن العاصى بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن دوس إلى آخره وليس فيه إشكال إلا قوله : حنا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموه لصنمهم ذى الشرى ، فإن صححت رواية ابن إسحاق ، فالتون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجدى ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن حنية الوادى ، وهو ما انحنى منه .

حديث ذى الكفين : وقوله : يا إذا الكفين لست من عبادك . أراد : الكفين بالتشديد ، فخنيف للضرورة ، غير أن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وخنيف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف فى غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كفاء ، ومن كفات الإناء ، أو إذا كفاء بمعنى كفاء ؟ ثم سهلت الهجزة ، وألقت حركتها على الفاء ، كما يقال : الخبء والخب ، وفى الحديث : أن أهل الحاضر من دوس كانوا يتراءونه فى الثانية ، وفى سوطه كالفنديل المعلق ، وذكره المبرد فقال فى لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو ازناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن دوسا غلب عليها ازنى والربا ، قادم الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا .

قصيدة الأعشى وحمزة والشرف : فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان قريباً من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنا ، وقول الأعشى : أما الخمر فى النفس منها علالات وقال غير ابن هشام : كان القائل الأعشى هذه المقالة أبو جهل . قالها فى دار عتية بن ربيعة ، وكان نازلاً عنده ، قال المؤلف : وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن قال بقوله : فإن الناس يجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ، وحرمت فى سورة المائدة ، وهى من آخر ما نزل ، وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنته القيتان : ألا يا حمز ، للشرف النواء فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتها .

وقوله للنبي عليه السلام : هل أتمم إلا عبيد لآبائى ، وهو ثمل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له فى الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فأنه أعلم . وفى القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها فى أهل يثرب موعدا ، وقد ألفت للقالى رواية عن أبى حاتم عن أبى عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لا يخرج من الكفر باجماع ، قال الإسفرائينى فى عقيدته : إذا قال

المؤمن سأ كفر : غداً أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأومن غداً ، أو بعد فهو على كفره ، لا يخرج عن حكم الكفر إلا إيمانه إذا آمن ، ولا خلاف في هذا والله المستعان .

وقوله : ألم تتعمض عينك ليلة أرمدنا ، لم ينصب ليلة على الظرف ، لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر تخزفه ، والمعنى : اغتمض ليلة أرمد ، فحذف المضاعف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه ، وقد روى هذا البيت : ليلى بالكاف ، ومعناه غمض أرمد ، وقيل : بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلى ساهر .

وقوله : تناسبت قبل اليوم خلة مهدداً . فعل من المهد ؛ ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحسبنا بأنه مفعول ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميماً أو همزة ، حملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ؛ والدليل على هذه الكلمة ظهور التضمين في الدال ، إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ، ولقلت فيه : مهد كما تقول : مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعول من المضاعف ، وإنما الدال في مهدد ضعفت ليلحق ببناء جعفر .

وقوله : إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا . والأصيد : المائل العنق ، ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال ، كالأصيد . وذلك أحر ما تكون الرمضاء . يصف ناقته بالنشاط . وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله : خنافاً إلينا . في العين : خنفت الناقة تخنفت بيديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً . وناقته خنوف قال الراجز :

إن الشواء والنميل والرغف والقينة الحسناء ، والكأس الأنف

للظاعنين الخيل ، والخيل خنفت

وقوله : ليناً غير أحرداً أى . تفعل ذلك من غير حرد في يديها . أى اعوجاج . والنجير وصرخه بدل ان . وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبى بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصروهم حذيفة بن أسيد . وحاصر أهل النجير زياد بن ليلى بأمر أبى بكر . حتى نزلوا على حكمه . وأما صرخه قبله طيب الاعتاب . وإليه تنسب الخمر الصرخدية . وفي الأمالى . ولذ كطعم الصرخدى تركته .

وقوله : وآليت لا آوى لها من كلاله ، ولا من وجى ، أى : لأرق لها ، يقال : آويت للضعيف إية وماوية إذا رقت له كبكك .

وقوله : أغار لعمري في البلاد وأنجدا ، المعروف في اللغة : غار وأنجد ، وقد أشدوا هذا البيت : لعمري غار في البلاد وأنجدا . والنور : ما انخفض من الأرض ، والنجو : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس في النور ،

(١٨ م - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

ولم يأت على أفعال إلا قليلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد ، وأتهم ، لانه من أم الغور ، فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار الماء ، ونحو ذلك ، فإن أردت : أشرف على الغور ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس .

وقول : وليس عطاء اليوم مانعه غذا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعا له غذا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على الممدوح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز للضمير الفاعل ، لأن الصلة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيانه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك لإظهاره ، لانه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقوله : فانكحن أو تأبدا . يريد : أو ترهب ، لأن الراهب أبدأ عزب فقيل له : متأبدا اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالتة فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالالف ، وكذلك فانكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت فى الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالالف ، وقد قيل فى مثل هذا : لانه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف فى كلام العرب ، وأنشدوا فى ذلك :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أزدجر

ولإن تدعانى أحم عرضاً ممنعا

وأنشدا أيضا فى هذا المعنى :

وقلت لصاحبى : لا تحبسانا

بنزع أصولها واجتث شيحا

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة فى هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ، إلا فى الوقف ؛ وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير ؛ وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ، وقد قيل فى قوله سبحانه : « ألقيا فى جهنم » ، إن الخطاب للمالك وحده حملا على هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : « سائق وشهيد » ، وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة :

فأما إذا ما أدلجت ، فترى لها

رقيبين نجماً لا يغيب وفرقدا

وقع هذا البيت بعد قوله : لينا غير أحردا .

وقوله فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وبعده :

به أنقذ الله الأنام من العمى

وما كان فيهم من يربع إلى هدى

حديث الأراشى : فصل : وذكر حديث الأراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .

قال ابن إسحاق : هو من لإراش وهو ابن العوث أو بن عمرو بن العوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أمار الذى ولد بجيلة وخشم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بطن من خشم ، وإراشة مذكورة فى

العالم في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بلي أيضاً بنو اراشة ، وقوله : من رجل يؤديني على أبي الحكم أي : يعينني على أخذ حتى منه ، وهو من الأداة التي توصل الإنسان الى ما يريد ، كأداة الحرب ، وأداة الصانع ، فالحاكم يؤدى الخصم ، أي يوصله الى مطلبه ، وقد قيل : ان الهمزة بدل من عين ، وؤدى ويعدى بمعنى واحد ، أي : يزيل العدوان ، والعداء وهو : الظلم ، كما تقول : يشكيك أي : يزيل شكوكك ، وفي حديث خباب : شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حر الرمضاء ، فلم يشكنا معناه على أحد القولين : لم يرفع شكوانا ولم يزلها .

وقوله : فخرج اليه ، وما في وجهه رائحة ، أي : بقية روح ، فكان معناه : روح باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعله ، والدليل على أنه أراد معنى الروح وإن جاء به على بناء فاعله قول الإراشي في آخر الحديث : خرج لي ، وما عنده روحه .

مصارعة ركائة : فصل : وذكر حديث ركائة ومصارعتة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجمحي ، ولعلمنا أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين ، وباسمه ونسبه ، وركائة هذا هو : ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مسلبة الفتح وتوفي في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبتة ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته فقال : انما أردت واحدة ، فردها عليه ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل دين خلقاً ، وخلق هذا الدين الحياء ، ولابنه يزيد بن ركائة صحبة أيضاً ، ويروى عن يزيد بن ركائة ابنه علي ، وكان علي قد أعطى من الأيد والقوة ما لم يعط أحد ، نزع في ذلك إلى جده ركائة ، وله في ذلك أخبار ذكرها الفاكهي ، منها : خبره مع يزيد ابن معاوية ، وكان يزيد بن معاوية أشد العرب ، فصارعه يوماً ، فصارعه على صرعة لم يسمع بمثلها ، ثم حمله بعد ذلك على فرس جموح لا يطلق ، فعلم على ما يراى به ، فلما جمع به الفرس ضم عليه نخذه ضمة نفق منها الفرس ، وذكر عنه أيضاً تأبط رجلين أيدين ، ثم جرى بهما ، وهما تحت لإبطيه حتى صاحوا : الموت الموت ، فأطلقهما .

وفد نصارى الحبشة : فصل : وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم ، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : « الذين قالوا إنا نصارى » ، ولم يقل : من النصارى ولا سماهم هو سبحانه بهذا الاسم ، وإنما حكى قولهم الذي قالوه حين عرفوا بأنفسهم ، ثم شهد لهم بالإيمان ، وذكر أنه أتاهم الجنة ، وإذا كانوا هكذا فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام ، فاشتق اسمهم منها ، كما اشتق اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودي . اسم الإسلام أولى بهم جميعاً من ذلك النسب .

عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة : فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مبيعة غلام . المبيعة : مفعلة مثل المبيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخصش ، وأما قولهم : ساعة مبيعة فمفعلة ، حذف الواو منها في قول سيويوه حين سكنوا الباء استئثالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخصش إن الباء بدل من الواو الزائدة في مبيوعة ، ووزنها عنده : مفعولة بحذف العين ، وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا ،

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن اسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبت ، لا عقب له ، لو مات لا تقطع ذكره ، واسترحم منه ، فأنزل الله في ذلك : إنا أعطيناك الكوثر . ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، والكوثر : العظيم .

معنى الكوثر

قال ابن اسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :

وصاحب ملحوب فجئنا بيومه وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب ملحوب : عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . وقوله : عند الرداع بيت آخر كوثر : يعني شريح بن الاحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بالرداع . وكوثر : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال السكيت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك ابن مروان .

وأنت كثير يابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثر

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمار وحش :

يحامى الحقيق إذا ما احتد من وحمحن في كوثر كالجلال

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرة عليه بالجلال . وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن اسحاق : حدثني جعفر بن عمرو - قال بن هشام : هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمري - عبيد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنماء إلى أيلة ، آيته كمدد نجوم السماء ، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل . قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لنا همة . قال : أكلها أنعم منها .

قال ابن اسحاق : وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال - صلى الله عليه وسلم - : من شرب منه لا يظلم أبداً .

وذكر صهيبا وأبا فكيهة ، وسند ذكر اسم أبي فكيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بدرى ، وكذلك صهيب ابن سنان ، وتقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو يسار مولى عبد الدار .

لولا أنزل عليه ملك

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى الإسلام ، وكلمهم ، فأبلغ لإيهم ، فقال له زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبى بن خلف ، والعاص بن وائل : لوجعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون . »

ولقد استهزىء برسلك من قبلك

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيها بلغنى - بالوليد بن المغيرة ، وأمىة بن خلف ، وبأبى جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه ، واستهزءوا به ، فغاظه ذلك : فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم : « ولقد استهزىء برسلك من قبلك : فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . »

الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها .

قال ابن إسحاق ، كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه - صلى الله عليه وسلم - عن عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانئ بنت أبى طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ؛ كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به - صلى الله عليه وسلم - وكان في مسراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأمرى به كيف شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

رواية ابن مسعود

فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغنى - عنه - يقول :

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، توضع حافرهما في منتهى طرفها - فحمل عليها ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ،

فوجد فيه ابن ابراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له ، فصلى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعت قائلاً يقول حين عرضت على : إن أخذ الماء ، غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى ، وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى ، وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هديت وهديت أمتك يا محمد .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحدث عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحجر ، إذ جاءني جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدى ، فقامت معه فخرج إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض ، بين البغل - والمار - في فخذه جناحان يحفز بهما رجله ، يضع يده في منتهى طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحدث عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوت منه ، لأركبه شمس ، فوضع جبريل يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحي يا براق بما تصنع ، فوالله ما ركبت عبد الله قبل محمد أكرم على الله منه . قال : فاستحيا حتى ارفض عرقاً ، ثم قر حتى ركبته .

حديث الحسن

قال الحسن في حديثه : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى بهم ، ثم أتى بإناءين ، في أحدهما : خمر ، وفي الآخر : لبن . قال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لإناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال له جبريل : هديت للأفطرة ، وهديت أمتك يا محمد ، وحرمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة ، فلما أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله : الأمر البين ، والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيزهد ذلك محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير من كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ، فضفه لي ، فإنني قد جنته - قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لي حتى نظرت إليه - فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي بكر : ويقول أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة في القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً . »

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دخل فيه من حديث قتادة .

الاسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أسرى بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم ينكر ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذا قال لابنه : « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك » . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظاً ونياماً .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناى ، وقلبي يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعان فيه ماعان ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائماً ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أفتى كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحر ، بين القصير والطويل ، سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما - ذكر عمر مولى عفرة عن إبراهيم بن

محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام . اذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال - : لم يكن بالطويل المنمط ، ولا القصير المتردد . وكان ربة من القوم . ولم يكن بالجمعد القلطي ولا السبط ، كان جمداً رجلاً . ولم يكن بالمطهم ولا المكائم وكان أبيض مشرباً ، أدعج العينين ، أهدب الاشفار ، جليل المشاش الكتد ، دقيق المسربة أجرد ، شثن الكفين والقدمين ؛ اذا مشى تعلق ، كأنما يمشى في صلب ، واذا التفت التفت معاً ، بين كفيه خاتم النبوة ، وهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، أجود الناس كفاً وأجراً الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهته هابه ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما بلغني - عن أم هانئ بنت أبي طالب رضی الله عنها - واسمها : هند - في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أمرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصليتنا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي .

ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف رداءه ، فمكشفت عن بطنه كأنه قبطية سطوية ، فقلت له : يا نبي الله ، لا تحدث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لي حبشية : ويحك اتبعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تسمعي ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فمجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإننا لم نسمع بمثله هذا قط ، قال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فند لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا موجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فمكشفت غطاءه وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ، ثنية التعيم يقدمها جبل أورق ، عليه غرار تان ، لإحدهما سوداء ، والآخرى بقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية ، فلم يلقيهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه بماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرتنا في الوادي الذي ذكره ، وندلنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والسكوثر : فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمد أبتر إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة السكوثر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب بن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة السكوثر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي ، قال : كان القائم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجبية ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه

صلى الله عليه وسلم : « إنا أعطيناك الكوثر ، عوضاً يا محمد من مصيبتك بالقاسم ، فصل لربك وانحر ، إن شئت إنك هو الأبر ، ولم يقل : إن شئت أتر يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصاً بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمناه : هو الفاسق الذي زعمت ، فدل على أن الجحزة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره في تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قالوا في قوله سبحانه : « وأنه هو أغنى وأغنى ، لما كان العباد يتوهمون أن غير الله قد يغنى ، قال : هو أغنى وأغنى ، لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأجيا ، إذ كانوا قد يتوهمون في الإحياء والإماتة ما توهمه التمرود حين قال : أنا أحيى وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأستحيى من شئت ، فقال عز وجل : « وأنه هو أمات وأجيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو رب الشعرى ، أى : هو الرب لا غيره ، إذا كانوا قد اتخذوا أرباباً من دونه ، منها : الشعرى ، فلما قال : « وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعل لم يده أحد ، وإذا ثبت هذا : فكذلك قوله : إن شئت هو الأبر أى : لا أنت . والأبر : الذى لا عقب له يتبعه ، فقدمه كالبر الذى هو عدم الذنب ، فإذا ما قلت هذا ، ونظرت إلى العاصى ، وكان ذا ولد وعقب ، وولده عمرو وهشام ابنا العاصى بن وائل ، فكيف يثبت له البر وانقطاع الولد ، وهو ذو ولد ونسل ، ونفيه عن نبيه ، وهو يقول : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، فالجواب : أن العاصى - وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم ، فليسوا بأتباع له ، لأن الإسلام قد حجزهم عنه ، فلا يرثهم ولا يرثونه ، وهم من أتباع محمد عليه السلام ، وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم كما قرأ : أنى بن كعب : « وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، والنبي أولى بهم ، كما قال الله سبحانه ، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي في الدنيا ، وأتباعه في الآخرة إلى حوضه ، وهذا معنى الكوثر ، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها ، ليغذى أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليسقيم من حوضه ما فيه الحياة الباقية ، وعدو الله العاصى على هذا هو الأبر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه ، وصاروا تبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قول بل تعبيره للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالبر بما هو ضده من الكوثر ؛ فإن الكثرة تضاد معنى القلة ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مشاكلاً لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ، والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البر ، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : « أصحابى كالنجوم ، وهم يروون العلم عنه ، ويؤدونه إلى من بعدهم ، كما ترى الآية في الحوض ، وتسقى الواردة عليه : تقول : رويت الماء ، أى : استقيته ، كما تقول : رويت العلم ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بالمزادة أو الدابة التى يحمل عليها الماء ، وليس من باب علامة ونسابة ، وفى حديث أبى برزة فى صفة الحوض أنها تزو فى أكف المؤمنين ، معنى الآية ، وحسب الحوض : اللؤلؤ والياقوت ، ويقابلها فى الدنيا الحكم الماثورة عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤ فى علم التعبير حكم وفوائد علم ، وفى صفة الحوض له المسك ، أى : حماه ويقابله فى الدنيا . طيب الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الاتقياء كما أن المسك فى علم التعبير : ثناء حسن ،

وعلم التعبير من علم النبوة مقتبس . و ذكر في صفة الحوض الطير التي ترده كأعناق البخت ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم وانتيابهم إياها في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، محسوسة في الآخرة مدركة بالعيان - هنالك بين لك إعجاز التزيل ومطابقة السورة - لسبب - نزولها ، ولذلك قال فضيل : « فصل لربك وانحر ، أى : تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له ، فإن الكثرة في الدنيا تقتضي في أكثر الخلق الكبر : وتحدو إلى الفخر والمخيرية فذلك كان عليه السلام طائراً رأسه عام الفتح حين رأى كثرة أتباعه ، وهو على الراحلة حتى ألصق عثونه بالرحل امثالاً لأمر ربه ، وكذلك أمره بالنحر شكرآ له ، ورفع اليدين إلى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة التي عندها ينحر ، وإليها يهدى معناه : الجمع بين الفعلين . النحر المأمور به يوم الأضحى ، والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النحر ، كما أن القبلة محجوجة مصلى إليها ، فكذلك ينحر عندهما ، ويشار إلى النحر عند استقبالها ، وإلى هذا التفت عليه السلام حين قل : « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، ونسك نسكنا فهو مسلم » ، وقد قال الله سبحانه : « قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » فقرن بين الصلاة إلى الكعبة ، والنسك إليها ، كما قرن بينهما حين قال : « فصل لربك وانحر ، وذكر في صفة الحوض : كما بين صنعاء وأيلة وقد جاء فيه أيضاً في الصحيح « كما بين جرباء وأذرح ، وبينهما مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عدن أبين إلى عمان ، وقد تقدم ذكر أبين ، وأنه ابن زهير بن أيمن بن حمير ، وأن عدن سميت برجل من حمير عدن بها ، أى : أقام : وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد ، وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بعمان بن لوط بن هاران كان سكنها - فيما ذكروا - وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم - فهو باليمن سميت بعمان بن سنان ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكروا - وفيه نظر إذ لا يعرف في ولد إبراهيم لصاحبه من اسمه سنان . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين السكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني . وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظننا أكبادنا في الآخرة إليه . وما جاء في معنى الكوثر ما رواه ابن أبي نجيح عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يدخل أحد إصبعيه في أدنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ؛ وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ؛ وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خرير ذلك الكوثر إلا سمعه ؛ فقلت : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدخل أصبعيك في أذنك وشدي ، فالذي تسمع فيهما من خرير الكوثر ، ويدوي الدارقطني من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي : « والذي نفسي بيده إنك لذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كفار الأمم ، كما تزداد الإبل الضالة عن الماء بمصا من عوسج ، إلا أن هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن ابني جابر ؛ وقد سئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول وأما قوله - عليه السلام - : « ومنبري على حوضي ، فقد قيل في معناه أقوال ، ويفسره عند الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو على المنبر ، « لاني لا أنظر إلى حوضي الآن من مقامى هذا ، فتأمله .

استشهد ابن هشام على معنى السكوثر : وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى السكوثر قول لبيد بن ربيعة :
 وصاحب ملحوب فجعلنا بيومه وعند الرذاع بيت آخر كوثر
 وبالنفورة الحراب ذو الفضل عامر فذعم ضياء الطارق التنتور

يعنى عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وهو عم لبيد ، وسند ذكر : لم سمي ملاعب الاسنة إذا جاء ذكره إن شاء الله تعالى . وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص ، وقد ذكره ابن هشام . والذي عند الرذاع : شريح بن الاحوص في قوله ، وقال غيره : هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب . والرذاع : من أرض النمامة . وملحوب : مفعول من لحبت العود ، إذا قشرته ، فكان هذا الموضع سمي ملحوبا ؛ لأنه لا أكف فيه ولا شجر .

حديث المستهزئين : وذكر حديث المستهزئين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : « ولقد استهزىء برسول من قبلك » فقال فيها : استهزىء برسول ثم قال : لحاق بالذين سخروا منهم ، ولم يقل : استهزوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يستخرون . ولا بد في حكمة في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل ، فقوله : استهزىء برسول ، أى : أسمعوا من الكلام الذى يسمى استهزاء ما ساءهم تأديسا له ، ليتأذى بمن قبله من الرسل ، وإنما سمي استهزاء إذا كان مسموعا ، وهو من فعل الجاهلين : قال الله تعالى : « أتتخذنا هزواً قال : أعود بالله أن أكون من الجاهلين » ، وأما السخر والسخرى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ، ولذلك تقول : سخرت منه ، كما تقول : عجبت منه إلا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم ، كما يختص السخر ، وفي التنزيل خبراً عن نوح : « إن تسخروا منا ، فإننا نسخر منكم » ، كما تسخرون ، ولم يقل : نستهزىء بكم كما تستهزئون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، قال النبي يسخر : أى ، يعجب من كفر من يسخر به ، ومن سخر عقولهم . فإن قلت : فقد قال الله تعالى : « والله يستهزىء بهم » قلنا : العرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل كما قال الله تعالى : « نسوا الله فأنسىهم » وهو مجاز حسن وأما الاستهزاء الذى كنا بهدده ، فهو المسمى استهزاء حقيقة ، ولا يرضى به إلا جهول : ثم قال سبحانه : « ولحق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » أى حاق بهم من الوعيد المبلغ لهم على أسنة الرسل ما كانوا يستهزئون به بألسنتهم فنزلت كل كلمة منزلها ، ويحسن في حكم البلاغة وضع واحدة مكان الأخرى . وذكر أيضاً قوله سبحانه : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ، أى : لو جعلنا الرسول لإيهم من الملائكة لم يكن إلا على صورة رجل ، ولدخل عليهم من اللبس فيه ما دخل في أمر محمد وقوله : لبسنا يدل على أن الأمر كله منه سبحانه ، فهو يعمى من شاء عن الحق ، ويفتح بصيرة من شاء ، وقوله : ما يلبسون على غيرهم ، لأن أكثرهم قد عرفوا أنه الحق ، ولكن جحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ، فجعلوا ، يلبسون أى يلبس ، بعضهم على بعض ويلبسون على أهلهم وأتباعهم ، أى : يخلطون عليهم بالباطل ، تقول العرب : لبست عليهم الأمر البسه ، أى : سترته وخططته ، ومن لبس الثياب : لبست أبس ، لأنه في معنى كسيت ، وفي مقابلة عربيت ، فجاء على وزنه ، والآخر في معنى : خلطت أو سترت فجاء على وزنه .

شرح ما في حديث الإسراء

اتفقت الرواة على تسميته إسمراء ، ولم يسمه أحد منهم : سري ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى وأسرى

بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا في التلاوة من قوله : « سبحان الذى أسرى بعبده » ولم يقل : سرى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يسرى ، فدل على أن السرى من سريت إذا سرت ليلا ، وهى مؤنثة تقول : طالت سراك الليلة ، والإسراء متعد فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، لما رأوهما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أسرى بعبده ، أى : جعل البراق يسرى ، كما تقول : أمضيته ، أى : جعلته يمضى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر النابتة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام ، أن يقال له : فأسر بأهلك : أى فأسر بهم ، وإن يقرأ فأسر بأهلك بالقطع ، أى : فأسر بهم ما يتحملون عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه ، فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد فى هذه القصة فتدبره . وكذلك تسامح النحويون أيضاً فى الباء والهمزة ، وجعلوهما بمعنى واحد فى حجم التعدية ، ولو كان ما قالوه أصلاً لجاز فى : أمرضته أن تقول . مرضت به ، وفى أسقمته : أن تقول : سقمت به ، وفى أعميته أن تقول : عميت به قياساً على : أذهبت وأذهبت به ويأبى الله ذلك والعالمون ، وإنما الباء تعطى مع التعدية طرفاً من المشاركة فى الفعل ، ولا تعطيه الهمزة ، فإذا قلت : أقعدته ، فعناه : جعلته يقعد ، ولكنك شاركته فى القعود ، فجذبت بيدك إلى الأرض ، أو نحو ذلك ، فلا بد من طرف من المشاركة إذا فعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبت .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم ، ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، أو يضاف إليه طرف منه ، وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : فى الجواب عن هذا أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير الذى بيده ، وإذا كان بيده بخائر أن يقال ذهب به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كأنناً ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبئ ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقة ، ألا ترى أنه لما ذكر الرجس كيف قال : « ليذهب عنكم الرجس » ولم يقل يذهب به ، وكذلك قال : « ويذهب عنكم رجس الشيطان » تعلياً لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى القدوس سبحانه - لفظاً ومعنى شيئاً من الأرجاس ، وإن كانت خلقاً له وملكا فلا يقال : هى بيده على الخصوص ، تحسيناً للعبارة وتزيهاً له ، وفى مثل النور والسمع والبصر يحسن أن يقال : هى بيده ، فحسن على هذا أن يقال : ذهب به . وأما أسرى بعبده . فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى مفعول ، وذلك المفعول المسرى هو الذى سرى بالعبء فشاركه بالسرى . كما قدمنا فى فعدت به أنه يعطى المشاركة فى الفعل . أو فى طرف منه . فتأمل .

أ كان الإسراء يقظة أم مناماً : فصل : وتقدم بين يدي الكلام فى هذا الباب : هل كان الإسراء فى يقظة بجسده ، أو كان فى نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها » وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حية ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جعلنا الرؤيا التى أرى لك إلا فتنة للناس » . ولم يقل : الرؤية ، وإنما يسمى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البخارى عن أنس بن مالك

قال : ليلة أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل . الحديث بطوله ، وقال في آخره : « واستيقظ ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا ، وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلائله

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ، ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال السكندر : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليأمنه ، والعير تطرد إليها شهراً متعبلة وشهراً مدبرة ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحد منهم هذا ، فنعلم أن النائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضا بشربه الماء من الإناء الذي كان مغطى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لاما فيه ، وبارشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حس الدابة ، وهو البراق حتى دلم عليه ، فأخبر أهل مكة بأماره ذلك ، حتى ذكر الغرارين السوداء والبرقاء كما في هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعد قريش بقدم العير التي أرشدتهم إلى البعير ، وشرب إناهم ، وأنهم سيقدمون ويخبرون بذلك ، فقالوا : يا محمد متى يقدمون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يقدموا ، حتى كربت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمس إلا له ذلك اليوم ، وليوشع بن نون وهذا كله لا يكون إلا يقظة ، وذهبت طائفة ثالثة ، منهم : شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقاتلين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، لإحداها : كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا ، لأن هوله عظيم ، فجاءه في اليقظة على توطئة وتقديم ، رفقا من الله بعبده وتسهلا عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرة في نومه ، ومرة في يقظته ببذنه - صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وهذا القول هو الذي يصح ، وبه تتفق معاني الأخبار ، ألا ترى أنه قال في حديث أنس الذي قدمنا ذكره : أتاه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فرضت الصلاة كما قدمنا في الجزء قبل هذا : وقبل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال في الحديث : فارتد كثير من كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حناظ فلا يستقيم الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر في حديث أنس : أنه لقي إبراهيم في السماء السادسة وموسى في السابعة ، وفي أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ، ولقي موسى في السادسة ، وفي رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة آنية ، أحدها ماء فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفي إحدى روايات البخاري في الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء

والرواة أثبات ، ولا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن في حالتين ووقتتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى » ثم قال : « ما كذب الفؤاد ما رأى » فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله : فيما يراه قلبه ، وعينه نائمة والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أفتبارونه على ما يرى » ولم يقل : ما قدر رأى ، فدل على أن ثم رؤية أخرى بعد هذه ، ثم قال : « ولقد رآه نزلة أخرى » أى : في نزلة نزلها جبريل إليه مرة ، فرآه في صورته التي هو عليها « عند سدرة المنتهى إذ يغشى السدرة ما يغشى » قال : يغشاها فراش من ذهب ، وفي رواية : ينتثر منها الياقوت ، وثمرها مثل قلال هجر ثم قال : « ما زاغ البصر » ولم يقل : الفؤاد ، كما قال في التي قبل هذه ، فدل على أنها رؤية عين وبصر في النزلة الأخرى ، ثم قال : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ، وإذا كانت رؤية عين ، فهي من الآيات الكبرى ، ومن أعظم البراهين والعبر ، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبرى ؛ لأن ما يراه العبد في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالة . وكذلك قال في أكثر الأحاديث انه رأى عند سدرة المنتهى نهريين ظاهرين ونهريين باطنين ، وأخبره جبريل أن الظاهرين : النيل والفرات ، وذكر في حديث أنس أنه رأى هذين النهريين في السماء الدنيا ، وقال له الملك : هما النيل والفرات ، أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظة منبعمهما ، ورأى في المرة الأولى النهريين دون أن يرى أصلهما والله أعلم . فقد جاء في تفسير قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض » ، أنهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال . ثم إن الله سبحانه سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : « وإنا على ذهاب به لقادرون » ، وفي حديث مسند ذكره النحاس في المعاني بآتم من هذا فاخترته ، ووقع في كتاب المعلم للمازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بحسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شنع الكفار قوله : وأثبت المقدس في ليلتي هذه ، ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك .

شماس البراق : فصل وما يسأل عنه في هذا الحديث شماس البراق حين ركبته النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحي يا براق ، فما ركبتك عبد الله قبل محمد هو أكرم عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بطال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعث عهد البرق بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سببا آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق : لعلك يا محمد مسست الصغراء اليوم فأخبرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامسها إلا أنه مر بها ، فقال : تبأ لمن يعبدك من دون الله ، وما مسها إلا لذلك ، وذكر هذا الرواية أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى ، فأنه أعلم ، وقد جاء ذكر الصغراء في مسند البزار ، وأنها كانت صنما بمضه من ذهب فكسرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من طريق بريدة الأسلمى أنه - عليه السلام - حين انتهى إلى بيت المقدس ، قال جبريل : يا صبيعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق ، وصلى ، وإن حذيفة أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ، وفي هذا من الفقه على رواية بريدة : التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه - لا يمنع الحازم من توثق الممالك . قال وهب : وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة ، وهذا نحو من قوله

صلى الله عليه وسلم : « قيدها وتوكل ، فأيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سخر له كيأيمانه بقدر الله وعلمه بأنه سبق في علم الكتاب ما سبق ، ومع ذلك كان يتزود في أسفاره ويعد السلاح في حروبه ، حتى لقد ظهر بين درعين في غزوة أحد ، وربطه للبراق في حلقة الباب من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بريدة ووقع في حديث الحارث بن أنس ، غير أن أسامة بن طارق أنس ، ومن طريق أبي سعيد ، وغيرهما أعنى ربطه للبراق في الحلقة التي كانت تربطه فيها الأنبياء ، غير أن الحديث يرويه داود بن المعبر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة في كل سماء : من معك : وما يسأل عنه قول الملائكة في كل سماء لجبريل : من معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أوقد بعث إليه فيقول : نعم ، هكذا لفظ الحديث في الصحاح ، ومعنى سؤالهم عن البعث إليه فيما قال بعض أهل العلم ، أى : قد بعث إليه إلى السماء ، كما قد وجدوا في العلم أنه سيخرج به ، ولو أرادوا بعثه إلى الخلق ، لقالوا : أوقد بعث ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثه إلى الخلق ، فلا يعلنون به إلى ليلة الإسراء ، وفي الحديث الذى تقدم في هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا : من سبحتم حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قضى ربنا في خلقه كذا ، ثم ينتهى الخبر إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفي هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نبي ، وإنما قالت : أوقد بعث إليه ، أى قد بعث إليه بالبراق كما تقدم على أن في حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع في السيرة وليس في أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء في حديث الرؤيا التى رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يوحى إليه كما جاء في الحديث بعينه ، وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ثم كان رؤيا ، ولذلك لم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بعث إليه إلا في ذلك الحديث ، فآله أعلم .

باب الحنظلة : وذكر باب الحنظلة ، وأن عليه ملكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره في مسند الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك ، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث ، وفي رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفي مسند الحارث أيضا .

ر ذكر سدره المنتهى ، فقال : لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأمة لغظتهم ، وفي صفتها من رواية الجميع : فإذا ثمرها كقلال هجر ، وفي حديث القلتين من كتاب الطهارة ، من رواية ابن جريج : إذا كان الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الحثب قالوا : والقتان منها تسعمان خمسمائة رطل ، قال الترمذى : وذلك نحو من خمس قرب ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف : لأنها سميت سدره المنتهى ، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها ، فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون . قال ذلك في تفسير عليين .

آدم والأسودة : فصل : وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودة ، وعن شماله أسودة ، وأن جبريل أعلمه أن الأسودة التى عن يمينه هم : أصحاب اليمين ، وفي رواية ابن إسحاق : تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك ، وقد سئل عن هذا ، فقيل : كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ،

ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نفر قليل ، ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها ثم أعيدت إلى اجسادها . » وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى « إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين » قال ابن عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألو المجرمين : « ما سلككم في سقر » لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : أولاد الكافرين . خرجه البخاري في الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو في الحديث الأول نص ، وفي الثاني عموم ، وقد روى في أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذي رآه عن يمين آدم من نسمة ذريته أرواح هؤلاء ، وفي هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال والاعتراض منه .

حكم من أحكام الماء : وفيه شربه من إناء القوم ، وهو منغى ، والماء وإن كان لا يملك والناس شركاء فيه ، وفي النار والسكلا كما جاء في الحديث ، لسكن المستقى إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شربه وهو ملك لغيره ، وأملك الكفار لم تسكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم .

فالجواب أن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم لإباحة الرسل لابن السبيل فضلا عن الماء ، وكانوا يعبدون بذلك إلى راعائهم ، ويشترطونه عليهم عند عقد إجاتهم : ألا يمنعوا الرسل ، وهو اللبن من أحد مرهم وللحكم في العرف في الشريعة أصول تشهد له ، وقد ترجم البخاري عليه في كتاب البيوع ، وخرج حديث هند بنت عتبة ، وفيه : خذى ما يكفيك وولئك بالمعروف .

بيت المقدس : فصل : وذكر فيه أنه دخل بيت المقدس ، ووجد فيه نفراً من الأنبياء ، فصلى بهم ، وفي حديث الترمذي الذي قدمناه عن حذيفة أنه أنكر أن يكون صلى بهم ، وقال : ما زال من ظهر البراق ، حتى رأى الجنة والنار ، وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من أثبت مقدمة على رواية من نفى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى : كان رأسه يقطر ماء وليس به ماء ، وكأنه خرج من ديماس والديماس : الحمام ، وأصله : دماس ويجمع على دماميس : وقد قيل في جمعه : دياميس : ومثله : قيراط ودينار وديباج ، الأصل فيها كلها : التضخيم ، ثم قلب الحرف المدغم ياء ، فلما جمعوا وصغروا ، ردوه إلى أصله ، فقالوا : قرايط ودينانير ، غير أنهم لم يقولوا : دينانير ولا قياريط ، كما قالوا : دياميس ، وقالوا : دبابيج وديابيج ، وأصل الدمس : التغطية ومنه ليل دامس ، وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرى والحصب الذي يكون في أيامه إذ أهبط إلى الأرض والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدم طوال ، ولوصفه إياه بالأدمة أصل في كتاب الله تعالى ، قال الطبري عند تفسير قوله : « تخرج بيضاء من غير سوء » ، قال : في خروج يده بيضاء آية في أن خرجت بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده وذلك دليل بين على الأدمة التي هي خلاف البياض .

وذكر إبراهيم فقال : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ، يعني : نفسه ، وفي آخر هذا الكلام إشكال من أجل أن أشبه منصوب في الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه ، ثم كرر أشبه تأكيداً فصارت لغواً كالمقحم وصاحبكم معطوف على الضمير الذي في أشبه الأول الذي هو نعت لرجل ، وحسن العطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن في قوله تعالى : « ما أشركننا ولا آبائنا » من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثاني ، لكان حسناً جداً ، ولو أخرج صاحبكم فقال : ولا أشبهه بصاحبكم منه لجاز ، ويكون فاعلاً بأشبه الثانية ، ويكون من باب قولهم : ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل من زيد ، وهي مسألة عذراء لم تفترحها أيدي النحاة بعد ، ولم يشف منها متقدم منهم ، ولا متأخر من رأينا كلامه فيها ، وقد أملينا في غير هذا الكتاب فيها تحقيقاً شافياً .

على يصف النبي صلى الله عليه وسلم فصل : وذكر في صفة النبي صلى الله عليه وسلم - مما نعت به علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل المنط بالعين المعجمة ، وفي غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمى ، والكسائي وأبي عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل المنط أي : ليس بالباين الطويل ، ولا القصير المتردد يعني : الذي تردد خلقه بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفته - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمى : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمى المكلم المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعني الذي أشرب حمرة ، والأدعج العين : التشديد سواد العين قال الأصمى : الدعجة : هي السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرقتين والمنكبين ، وقوله : السكند هو : السكاه ، وما يليه من جسده ، وقوله شين الكفين والقدمين يعني : أنهما إلى الخلف . وقوله : ليس بالسبط ولا الجعد القبط ، فالقبط : الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ، ووقع في غريب الحديث لأبي عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أصح : ليس كذلك ، مخلة بالشرح ، وقد وجدته في رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن هل نص ذكرناه آنفاً عنه عن الأصمى ، والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع في الكتاب ، والله أعلم .

وأما ما رواه الترمذي عن الأصمى في شرح المطهم قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمى وذكر عنه في المنط نحو ما قدمناه ، قال : وختمت أعرايا يقول تمنط في نشابة أي : مدها ، وفي كتاب العين : منط الشيء إذا مددته ، وقال في باب العين المهملة مصط الشيء إذا مددته ، كما قال في العين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيه تمنط ومعط ، ووزنه منفعل ، واندمغت النون في الميم ، كما اندمغت في نحوته فأحى لما أمن

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم عن أبي سعيد الخدري - رضی الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئاً قط أحسن منه - وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك - قال : يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو - فلما دخل بي ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أوفد بك ؟ قال نعم . قال : فدها لي بخير : وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال : تلتفتي الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقني ملك إلا صاحكاً مستبشراً ، يقول خيراً ويدعو به ، حتى لقيني ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل مادعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك لي ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم ؟ قال : فقال لي جبريل : أما إنه لو ضحك لي أحد كان قبلك ، أو كان صاحكاً إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، واسكنه لا يضحك ، هذا مالك خازن النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم و مطاع ثم أمين ، ألا تأمره أن يريني النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمد النار ، قال : فكشفت عنها غطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت : لتأخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مره ، فأيردنا إلى مكانها : قال : فأمره ، فقال لها : اجبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عرضت عليه خيراً وبسر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ، وبعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها : وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها ، وكرهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجلاً لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالآفهار ، بقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً .

التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون في الميم في شاة زنماء ، ولا في غنم لثلا يلبس بالمضاعف ، لو قالوا : أزماء وغما ، وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه الترمذي من تفسير زر الخجلة حيث قال : يقال إنه يبيض له ، حيث تكلمنا على خاتم النبوة وضيقته ، واختلاف الرواية فيه - والحمد لله .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلهما قبل يسير آل فرعون ، يرمون عليهم كالأبل المهيومة حين يهرضون على النار ، يظنونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بشديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدرخن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : اشتد غضب الله على امرأة أدرخت على قوم من ليس منهم ، فأكل حراتهم ، وأطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدري : ثم رجعت إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال : ثم أضعذني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أضعذني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أضعذني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس - قال : يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليا - قال : ثم أضعذني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العشرون ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبب في قومه هارون ابن عمران ، قال : ثم أضعذني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل ألقى كأنه من رجال شنوءة ، فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعذني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبهه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبهه به منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أوقد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقول : حياها الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصحاب كان ليكم ، سألتني كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع

عنى عشرا . ثم انصرفت فررت على موسى فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربي ، فوضع عنى عشراً ، ثم انصرفت ، فررت على موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألته فوضع عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاسأل ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت إلى موسى فقال لي مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحييت منه ، فأنا بفاعل رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وابن جرير وابن أبي حاتم .

فن أداهن منكم إيماناً بهن ، واحتساباً لهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة . رواه . وفي الحديث غرابة ونكارة .

مبحث في رؤية النبي ربه : فصل : وقد تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ، فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمداً رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب الأبحار أنه رآه ، قال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قلت ؟ يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نوراً ، وفي حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى أراه ؟ وليس في هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبي الحسن الأشعري أنه قال : رآه بعيني رأسه ، وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل : هل رأى محمد ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاماً كرهت ان أوردته بلفظه لما يوم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه لأعلى أكل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يومى قوله : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدنو والتدلى فهما خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضاً ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدلى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للعقلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ، لأن حديث الإسراء إن كان رؤياً رآها بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كفيه ، حتى وجد بردها بين شديدها رواه الترمذي من طريق معاذ بن حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤياً لم ينكرها أحد من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا أننا أن حديث الإسراء كان رؤياً ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبار في المرة التي كان فيها غير تأم ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعد منه في باب التأويل ، فلا نكارة فيه كان في نوم أو يقظة ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قاب قوسين

في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبجمده ، تضمن لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأملينا أيضاً في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عرصات القيامة مسألة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفة فن أرادفهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هنالك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التمدل إلى الرب سبحانه كما في حديث البخارى مارواه ابن سنجر مسنداً إلى شرح بن عبيد ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى فلما أحس جبريل بدنو الرب خسر ساجداً ، فلم يزل يتسبح سبحان رب الجبروت والملوك والكبرياء والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأيت في خلقه الذي خلق عليه منظوماً أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت ، فخيّل إلى أن ما بين عينيه قد سد الأفقين ، وكنت لأراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة ، وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان أحياناً لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى صاحبه من وراء الغراب .

لِقَاؤُهُ لِلنَّبِيِّينَ : فصل : وبما سئل عنه من حديث الإمراء ، وتكلم فيه لقاءه لآدم في السماء الدنيا ، ولإبراهيم في السماء السابعة ، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين ، والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها ، وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياء كلهم ، فالحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخارى على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذي أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدمه عليهم ابتدروا إلى لقاءه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ، فمتهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يرد عليه ، والذي أقول في هذا : إن ما أخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبياً بعينه في المنام ، فإن رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أورشاه أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن ، والحديث ، الإسراء كان بمكة وهي حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله ، لأن فيها بيته ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذي كان في أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوه إبليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكربه ذلك وغمه . وأشبعت قصته في هذا قصة آدم ، مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم ، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهود وأذته ، وهموا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ، أذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الضخرة عليه ، ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجي عيسى منهم ، ثم سموه في الشاة ، فلم تزل تلك الأكلة تعاوده ، حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت ، وهسكذا فعلوا بابني الخالة : عيسى ويحيى ، لأن أم يحيى أشياح بنت عمران أخت مريم ، أمهما ، حنة ، وأما لقاءه ليرسف في السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظفر بإخوته بعد ما أخرجه من بين ظهرانيهم فصصح عنهم ، وقال لا تريب عليكم الآية ، وكذلك نبينا - عليه السلام - أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجه فيهم عمه العباس ، وابن عمه عقيل ، فتمهم من أطلق ، ومنهم من قبل فداءه ، ثم ظفر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخى يوسف لا تريب عليكم اليوم ، ثم لقاءه لإدريس في السماء الرابعة ، فكان ذلك مؤذنا

بحالة رابعة ، وهي علو شأنه - عليه السلام - حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ، ورأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، حتى أصبح يخافه ملك بني الأصغر ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي ، وملك عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه ، فأظهره الله عليه ، فهذا مقام علي ، وخط بالقلم كنعو ما أوتى إدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة ثم ارون المحبب في قومه يؤذن بحب قریش ، وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبرك من أرض الشام ، وظهر علي صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - الحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مستنداً ظهره إليه والبيت المعمور حمال مكة ، وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وجهه إلى البيت الحرام ، وحج معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة ، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر : السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزم ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نص عن السلف ، ولكن عارض هذا الفرض ما يجب من التفسير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقول الله تعالى : **« إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** ، وقد روى أي تفكر ساعة خير من عبادة سنة مالم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ، ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله - تعالى - من ذلك ، وجعلنا من الممثلين لامره حيث يقول : فاعتبروا يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، ولولا إسراع الناس إلى إنكار ما جهلوه ، وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لا بدينا من سر هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا .

البيت المعمور : فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيت المعمور بيت في السماء السابعة يقال له : الضراح ، واسم السماء السابعة : عريبا ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وهب بن منبه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نور يملأ ما بين عريبا وجريبا وجريبا ، وهي الأرض السابعة ، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التياح . قال أبو سلمة : قلت ما الدحية ؟ قال : الرئيس . وروى ابن سنجر أيضاً من طريق أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في السماء السابعة بيت يقال له : المعمور بحمال مكة وفي السماء السابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة ، يخرج عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة ملكاً ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً . يسبحون الله إلى أن تقوم الساعة .

فرض الصلاة في الحضرة المقدسة فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تفرض إلا في الحضرة المقدسة ، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول : حمدني عبدي ، أثني على عبدي إلى آخر السورة ، وهذا مشا كل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يخرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بما زمر كما يتطهر المصلي للصلاة ، وأخرج عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ، ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا في البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه .

فرض الصلوات خمسين فصل : وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشراً بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضاً أنها حطت خمساً بعد خمس ، ويمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا النقص من الريضة : أهو نسخ أم لا ؟ على قولين ، فقال قوم : هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين ، أحدهما البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لأن ذلك عنده من البداء ، والبداء محال على الله سبحانه . والثاني : أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك ، فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين . قال : وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعية عن محمد وأمه القاشاني ، ليصح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر ، ثم قال أبو جعفر : إنما هي شفاعة شفيعها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ، ولا يسمى مثل هذا نسخاً .

قال المؤلف : أما مذهبه في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها ، وأن ذلك بداء فليس بصحيح ، لأن حقيقة البداء أن يبدو للأمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبيينه ، وهذا محال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم ، وليس النسخ من هذا في شيء إنما النسخ تبديل حكم بحكم ، والكل في سابق عليه ومقتضى حكمته ، كنسخه المرض بالصحة ، والصحة بالمرض ، ونحو ذلك ، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات : الفعل الذي أمر به ، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر ، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نسخ الحكم قبل الفعل ، فقد حصلت فائدتان : العزم واعتقاد الوجوب . وعلم الله ذلك منه ، فصح امتحانه له واختباره لإياه ، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته ، وإنما الذي لا يجوز ، نسخ الأمر قبل نزوله ، وقبل علم المخاطب به ، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ، فليس هو حقيقة النسخ ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت ، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها ، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعية عن محمد وأمه أحد وجهين ، إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب ، وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة ، ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ما أمر به ، وقول أبي جعفر : إنما كان شافعاً ومراجعاً يبنى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم ، فشفاعته عليه السلام لامته كانت سبباً للنسخ لا مبطله لحقيقته ، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبراً لم يدخله النسخ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة، ومعناه: أنها خمسون في اللوح المحفوظ، وكذلك قال في آخر الحديث: هي خمس وهي خمسون، والحسنة بعشر أمثالها فتأول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنها خمسون بالفعل، فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل. فإن قيل: فما معنى نفسها عشرًا بعد عشر؟ قلنا: ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها، وأن العبد يصلي الصلاة، فيكتب له نصفها ربهما حتى انتهى إلى عشرها، ووقف، فهي خمس في حق من كتب له عشرها، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكالسجودها وركوعها.

من أوصاف الملائكة فصل: وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكاً مستبشراً إلا مالكاً خازن جحيم، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله، ولا هو ضاحك لأحد، ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: وعليها ملائكة خلاص شداد، وهم موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لا يزالهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في وصفه ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جحيم، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة، فلما انصرف سئل عن ذلك، فقال: رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم، على جناحيه الغبار فضحك إلى فتبسمت إليه، وإذا صح الحديثان، فوجه الجمع بينهما: أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديث عاماً يراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه إليه، والله أعلم. ولم ير مالكاً على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه.

جزاء أكلة الربا: وذكر أكلة الربا وأنهم يسبيل آل فرعون يرون عليهم كالإبل المهيومة، وهي العطاش، والهيام: شدة العطش، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة، كما لا يقل معطوثة، وإنما يقال هائم وهيان، وقد يقال: هيوم ويجمع على هيم، ووزنه فعل بالضم لكن كسر من أجل الياء كما قال تعالى: وشاربون شرب الهيم، ولكن جاء في الحديث مهيومة، كأنه شيء فعل بها كالمهومة والمجنونة وكلهنوم، وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل، فيقال: مهيمة، كما يقال: مبيعة في معنى مبيوعة، ولكن صحت الياء، لأنها في معنى الهيومه كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور، كما صحت في اجتور والأنة في معنى: تجاوروا، وإنما رآهم منتفخة بطونهم؛ لأن العقوبة مشاكلة للذنب، فأكل الربا يربو بطنه، كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حرم عليه، فحقت البركة من ماله، وجعلت نفخاً في بطنه، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإنما جعلوا بطريق آل فرعون يرون عليهم غدواً وعشيا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، كما قال سبحانه: و أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، فخصوا بسبيلهم، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذاباً يطنونهم فضلاً عن غيرهم من الكفار، وهم لا يستطيعون القيام، ومعنى كونهم في طريق جحيم بحيث يمر بالكفار عليهم، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا، فيكون خير لهم، وبين أن يعودوا ويصروا، فيدخلهم النار، وهذه صفة من هو في طريق النار قال الله تعالى: و فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت، يعني: أكلة الربا، وفيها حيات ترى خارج البطون. فإن قيل: هذه الأحوال

التي وصفها عن أكلة الربا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ،فأل فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب ، وإنما يعرضون على النار غدواً وعشيا في البرزخ ، وإن كانت هذه الحال التي رأهم عليها في البرزخ ، فأى بطون لهم ، وقد صاروا عظاما ورفاتا ، ومزقوا كل ممزق فالجواب أنه إنما رأهم في البرزخ ، لأنه حديث عما رأى ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت . وفيها تصحيح لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالأفدام ، ولا يستطيع من قيام ، وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد عذابا من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنهم يطؤون آل فرعون ، وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ثم ينادى منادى الله « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بشدبين يجوز أن يكون رأى أرواحهن ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ، ويحتمل أيضا أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي اللوطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة ترد بداء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج ، وقد مهدنا الأدلة على هذه المسألة مفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والمحمد لله .

نسب الولد لغير رشدة : وقوله : فأكل حرائبهم : الحربية : المال ، وهو من الحرب ، وهو السلب ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نسب إلى الذي ولد على فراشه ، فإيا كل من ماله صغيرا ، وينظرا إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولسن بعثت له ، وإلى أمه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدم ذكر الأكل من حريبتة وماله قبل الاطلاع على عوراته ، وإن كان الاطلاع على العورات اشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته ، أولا يبلغ ، فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أبأله من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفي ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصبي ، وتابت الأم ، وأعلنته أنه لغير رشدة ليستعف عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عوراتهم ، أو علم ذلك بقريته حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا ، وقد توول حديث شر الثلاثة على وجوه ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم ، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس . وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل ، وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحيتهما والابن في عمل خبيث ، من منشئه إلى وفاته ، فعله شر عمل .

حكم الحاكم لايجل حراما : وفي هذا الحديث من الفقه أيضا أن حكم الحاكم لايجل حراما ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراس إلا أن ينفي باللعان ، فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يجز له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا رذيل مذهب أبي حنيفة من قوله : إن حكم الحاكم قد يجز ما يعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق ، وهما

يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضى شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانث منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول فى الأموال لقول النبي عليه السلام « إنما أنا بشر ولأنكم تختصمون إلى ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ، ففى هذا الحديث مع الذى تقدم رد لمذهبه ، ولا حجة له فى أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثانى : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعسدى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله فى طلاق المكره ، فإنه عنده لازم فإذا أكره الرجل على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق فى هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز فى طلاق المكره ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض فى هذه المسألة يصدنا عما نحن بسبيله .

ورفعناه مكانا عليا . فى قصة إدريس : فصل : وذكره لإدريس فى السماء الرابعة مع قوله تعالى : « ورفعناه مكاناً عليا ، ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم فى مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الاحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع ملك كان صديقاً له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر ، وكان لإدريس سأله أن يريه الجنة ، فأذن له الله فى ذلك ، فلما كان فى السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة فى السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلى خاص له دون الأنبياء .

ترحيب الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم : فصل : وذكر من قول الأنبياء له فى كل سماء بمرحبا بالأخ الصالح ، وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حجة لمن قال : إن إدريس ليس بجده لنوح ، ولا هو من آباء رسول الله - صلى الله عليه وسلم لأنه قال مرحباً بالأخ الصالح ، ولم يقل : بالابن الصالح .

موسى يطلب أن يكون من أمة محمد : وأما اعتناء موسى - عليه السلام - بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع لها ، ويسأل التخفيف عنها ، فلقوله - والله أعلم - حين قضى إليه الأمر بجانب الغربى ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الألواح ، وجعل يقول : لئن أجدنى الألواح أمة صفتمهم كذا ، اللهم اجعلهم أمتى ، فيقال له : تلك أمة أحمد ، وهو حديث مشهور ، فكان لإشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعنى بالقوم من هو منهم ، لقوله : اللهم اجعلنى منهم ، والله أعلم .

عصمة الله : وما جاء فى حديث الإمراء بما لم يذكره ابن اسحاق فى مسند الحارث ابن أبى أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر البراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه بآخر يا محمد يا محمد ثلاثاً ، فلم يعرج عليه ، ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تغشته ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما المنادى الأول فداعى اليهود لآبائهم ، وأما الآخر فداعى النصراني ، ولوأجبتهم لتنصرت أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فانها الدنيا لوالأجبتهم لآبائهم الدنيا على الآخرة .

المستهنئون وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهنئين - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومهم وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم .

من بنى أسد بن عبد العزى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة ، وكان رسوا لله - فيما بلغني - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعم بصره وأثكله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام . قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سهم .

ومن بنى خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤى بن ملكان .

فلما تبادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله لها آخر فسوف يعلمون » .

قال ابن إسحاق لحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت ، فقام ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فربه الأسود ابن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ؛ ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه جينا . ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجر سبله ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتفض به ، فقتله . ومر به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخص رجله ؛ وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شبارقة ، فدخلت في أخص رجله شوكة ، فقتلته ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه ، فامتخص قيحا فقتله .

وصاة الوليد لأولاده : قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أي بنى ، أو صيكم بثلاث ، فلا تضيعوا فيهن : دمي في خزاعة فلا تظلمن ، والله إنى لأعلم أنهم منه برآء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ، ورباى في ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبى أزيهر ، فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات .

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثب بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سهم

صاحبكم - وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب بن هاشم - فأبت عليهم خزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ،
وغلظ بينهم الأمر - وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خزاعة - فقال عبدالله بن أبي
أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

لاني زعيم أن تسيروا ، فتهربوا وأن تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا وأن تسألوا : أي الأراك أطايبه
فإننا أناس لا نعطل دماؤنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب ، من خزاعة . فأجابه الجون بن أبي الجون : أخو بني كعب بن عمرو
الخرزاعي ، فقال :

والله لا نؤتى الوليد ظلامه ولما قروا يوماً تزول كواكبه
ويصرع منكم مسمن بعد مسمن وتفتح بعد الموت قسراً مشاربه
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم فكلكم باكي الوليد وناديه
ثم إن الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السبة ، فأعطتهم خزاعة بعض العقل ، وانصرفوا عن بعض .
فلما اصطالح القوم قال الجون بن أبي الجون :

وقائلة لما اصطالحنا تعجبا لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامه ولما تروا يوماً كثير البلابل
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت فأم هواه آمنة كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلاً . فلحق بالوليد
وبولده وقومه من ذلك ما حذرته ، فقال الجون بن أبي الجون :

ألا زعم المغيرة أن كعبا بمكة منهم قدر كثير
فلا تفخر مغيرة أن تراها بها يمشى المعلمج والمهبر
بها آباؤنا ، وبها ولدنا كما أرمى بمثبته ثبير
وما قال المغيرة ذاك إلا ليعلم شأننا أو يستشير
فإن دم الوليد يطل لنا نطل دماء أنت بها خير
كساه الفاتك المميمون سها زعافا وهو يمتلىء بهير
فخر بيطن مكة مسلحبا كأنه عند وجبته بهير
سيكفني مطال أبي هشام صغار جمدة الأوبار خور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً أقذع فيه .

ثورة بني عبد مناف لقتل أبي أزيهر : قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق

ذى المجاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بعقر الوليد الذى كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من أشرف قريش من المشركين ، فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بنى عبد مناف ، وأبو سفيان بنى المجاز ، فقال الناس أخفر أبو سفيان في صهره فهو ثائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذى صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكرآ ، يحب قومه حباً شديداً - انحط سريراً إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديديد ، في قومه من بنى عبد مناف والمطيين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له ، قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضهم ببعض في رجل من دوس . سنؤتيهم العقل إن قبلوه ، وأطفاً ذلك الأمر .

فأبعت حسان بن ثابت يحرص في دم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان خفته ويجهته ، فقال :

غدا أهل زوجى ذى المجاز كليهما	وجار ابن حرب بالمنمس ما يغدو
ولم يمنع العير الظروف ذماره	وما منعت مخزاة والدها هند
كسكك هشام بن الوليد ثيابه	فأبل وأخلف مثلها جددأ بعد
قضى وطراً منه فأصبح ماجدأ	وأصبحت رخوآ ما تخب وما تعدو
فلو أن أشياخا يبدر تشاهدوا	لبل نعال القوم معتبط ورد

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ! بش والله ماظن !

تحريم الربا : ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربا الوليد ، الذى كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد الربا : « يا أيها الذين آمنوا اتوا الله ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » ، إلى آخر القصة فيها .

دوس تحاول الثأر لأبى أزيهر : ولم يكن فى أبى أزيهر ثأر نعله ، حتى حجز الإسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الفهري خرج فى نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبى أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب فى ذلك :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا	ونسوتها إذ هن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه	وقد برزت للثأرين المقاتل
دعت دعوة دوسا فسالت شعابها	بعز وأدتها الشراج القوابل
وعمرآ جزاء الله خيرا فما ونى	وما بردت منه لدى المفاصل
فجردت سبى ثم قتت بنصله	وعن أى نفس بعد نفسى أفائل

أم غيلان وأم جميل : قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دون ضرار أم جميل ، ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أتمته أم جميل ، وهي ترى أنه أخوه : فلما انتسبت له عرف القصة ، فقال : لاني لست بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفت منك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ، ويقول : انج يا بن الخطاب لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

من كان يؤذى رسول الله (ص) قال بن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن حمران الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحداً إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له . حتى اتخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجراً يستتر به منهم إذا صلى . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طر حوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمر ابن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أى جوار هذا اثم يلقى في الطريق .

وفاة ابي طالب وخديجة وماعاناة الرسول بعدهما

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فمتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو اليها ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وناصر على قومه ، وذلك قبل مهاجرة الى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفينة من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفينة على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل وفاة أبي طالب : قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريش نقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبي طالب فكلموه ، وهم أشراف قومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأممية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت . وقد حضرك ما نرى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ،

وليدعنا وديننا ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا بن أخي : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة لها واحدا ، إن أمرك لعجب : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون فانطلقوا ، وامضوا هلى دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

رجاء الرسول في إسلام أبي طالب : فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، مارأيتك سألتهم شططاً ؛ فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه ، فجعل يقول له : أى عم فأنت قلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا بن أخي ، والله لولا مخافة السبة عليك ، وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش إنى قتلها جزعا من الموت لقلتها ، لأقولها إلا لاسرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباس إليه يحرك شفثيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال فقال يا بن أخي ، والله لقد قال أخى ، الكلمة التى أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

مانزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب : قال : وأنزل الله تعالى فى الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ما ردوا : دص . والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق . . . لى قوله تعالى : « جعل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجاب . . . وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم . إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، يعنون النصارى ، لقولهم : « إن الله ثالث ثلاثة ، « إن هذا إلا اختلاق ، ثم هلك أبو طالب .

شرح حديث المستهزين

فصل : وذكر حديث المستهزين الذين أنزل الله فيهم : « إنا كفييناك المستهزين ذكر فيهم الحارث بن الطلاطة ، والطلاطة : أمه ، قاله أبو الوليد الوقشى ، والطلاطة فى اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كل داء عضال فهو : طلاطة وذكر فى نسبه عبد عمرو بن ملكان بالضبطين جميعا ، وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بجر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيب النحوى أن الناس ليس فيهم ملكان بفتح الميم واللام إلا ملكان بن جرم بن زبان بن حلون بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وملكان بن عباد بن عياض بن عقبه بن السكون بن أشرس ، وإخوة عدى هم : تجيب عرفوا بأهم تجيب بنت دهم بن ثوبان ، وهم من كندة وكل من فى الناس وغيرهما ملكان مكسور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : فى خزاعة ملكان بفتح الميم ، قال القاضى : يعنى ابن حبيب : ملكان بن أفصى بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : « إن الذى فى خزاعة إنما هو ملكان ابن أفصى مثل ملكان بن عدى بن عبدمناة من الرباب الذين منهم ذو الرمة الشاعر ، ومثل ملكان بن عبدمناة من الرباب أيضاً رهط سفيان بن سعيد الثورى . وذكر فى المستهزين الأسود بن عبد يغوث الزهرى روى أنه لما أنزل الله تعالى « إنا كفييناك المستهزين ، نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى ، فقال له جبريل : نخل عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدارقطنى .

حديث الوليد بن المغيرة فصل : وذكر وفاة الوليد بن المغيرة ، وقوله لبنيه : وعقرى عند أبي أزيهر الدومى لاتدعوه . العقر : دية الفرج المغصوب ، وأصله فى البكر من أجل التدمية ، ومنة عقر السرج الفرس : إذا أدماه ، وبيضة العقر منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عقر بضم العين ، لأنه بمعنى بضع .

مقتل أبي أزيهر وهو وقف دوس : وذكر قتل هشام بن الوليد لأبى أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دوسا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدومى ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بجير بن العوام أخا أزيهر وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، قال ضرار : لقد أدخلتني بين درعها وبدنها ، حتى لآنى لأجد تسبيد ركبتها ، والتسبيد : موضع الخاق من الشعر ، وكان الذى قتل بجيرا أصبغ بن سعد أو مليح بن سعد جد أبي هريرة لأمه ، لأن أمه أميمة بنت مليح أو صبيح .

تفسير ألفاظ وقعت فى شعر عبد الله بن أبي أمية : فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا

والجزعة والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابى : هو ما انثنى منه ، وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر للثنين ، فهو محكى لا يعرب ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطرقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرقا ، والله أعلم . وذكر شعر الجون بن أبي الجون ، وفيه :

ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامه

أراد : أن تؤتوا ، ومعنا : ان لا تؤتوا كما جاء فى التنزيل : « بين الله لكم أن تضلوا ، فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تضلوا ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز ، والرفع جائز أيضا ، كما أنشدوا :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

بنصب : أحضر ورفعه ، وأنشد سيبويه :

وهنبت نفسى بعدما كمدت أفعله

يريد : أن أفعله ، وإذا رفعت فى هذا الموضع لم يذهب الرفع معنى أن فقد حكى سيبويه : مره يحفرها ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريد الحال أى : مره حافراً لها ، والثانى : أن يريد : مره أن يحفرها ، وارتفع الفعل لما ذهب أن من اللفظ ، وبين ابن جنى الفرق بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن فالفعل مستقبل ، وإذا لم تنوها فالفعل حاضر ، وههنا مسألة من العرب ذكرها الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ماذا ؟ على تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ، إذ لا يستقيم أن تقول : تريد أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تراد .

شرح شعر الجون : وذكر شعر الجون أيضا ، وفيه :

بها يمشى المملوح والمير

المير : ابن المهورة الحرة ، والمملوح : المتردد في الإمام كأنه منحوت من أصلين : من الملعج لأن الأمة : علة ، ومن اللهج ، كان وأطيه الأمة قد لهج بها ، فذمت لفظ المملوح من هذين اللفظين .

وفيه :

كما أرمى بمثبته ثبير

كذاهجت الرواية في أرمى بالتنخيف وهو زحاف داخل على زحاف ، لأن تسكين اللام من مفاعلتين في الوافر زحاف ، ولكنه حسن كثير ، فلما كثر شبهه هذا الشاعر بمفاعيل ، لأنه على وزنه ، ومفاعيلين يحسن حذف الياء منها في الطويل ، فيصير فعولن مناعن فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على مفاعلتين لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلين التي تحذف ياؤها حذفاً مستحسنًا ، فتدبره ، فإنه مليح في علم العروض .

شرح شعر حسان : فصل : وأشد لحسان بن ثابت :

غدا أهل ضوحي ذى المجاز بسحرة

ضوح الوادي : جانبه ، وذو المجاز : سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخر ، فسميت عكاظ لذلك .

وذكر :

بل نعال القوم معشبط ورد

يعنى : الدم العيبط [الطرى]

ما أنزل الله في الربا : فصل : وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم : لانتفقوا فيها رباً ولا مهر بغي ، وأن في ذلك دليلاً على قدم تحريره عليهم في شرع إبراهيم عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنه من أقبح الاعمال لما فيه من هدم جانب المروءة ، وإيثار الحرص مع بعد الأمل ، ونسيان بقتة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القرض ، وما فيه ، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، غضباً منه على أهله ، ولهذا النسكبة قالت عائشة لام حبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغني زيداً تعنى زيد بن أرقم أن قد أبطل جهاده مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكرت لها عنه مسألة من البيوع تشبه الربا ، (م ٢٢ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

فقلت : أبطل جهاده ، ولم تقل صلاته ولا صيامه ، لأن السيئات لا تحبط الحسنات ولكن خصت الجهاد بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله وآكل الربا قد أذن بحرب من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان . وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطلال في شرح الجامع ، وتلك المسألة المذكورة في المدونة ، لكن إسنادها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم ؛ لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع لأن عدم السماع يحتمل أسبابا بمنعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الأثر ، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، وثبت فى الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته فى غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح ، وفى الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد ، أنه - عليه السلام - قال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه » وفى رواية أخرى : كما يغلى الرجل بالمقعم ، وهى مشكلة ، وقال بعض أهل العلم : المقعم : هو البسر الأخضر يطبخ فى الرجل استعجالا لتوضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ؛ وفى رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة وهى أنه قال : يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه ؛ ومن باب النظر فى حكمة الله ، ومشكلة الجزاء للعمل أن أباطال كان مع رسول الله بجملة متحزبا له إلا أنه مثبت لقدميه على ملة عبدالمطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على ملة عبدالمطلب فسلاط العذاب على قدميه خاصة لتثبيتته إياهما على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » وقد استغفر عليه السلام يوم أحد فقال اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون ، وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه . وكثيرا من أصحابه ، ولا يصح أن تكون الآية نزلت فى عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد ، لأن وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولا ينسخ المتقدم المتأخر ، وقد أجيبت عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويقوى هذا القول رواية من روى : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ، ونحو ذلك ، ووجه ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخرا ، لاسيما وهى فى سورة براءة وبراءة ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخة للاستغفارين جميعا ، وفى الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغب عن ملة عبدالمطلب ، فقال : أنا على ملة عبدالمطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبدالمطلب مات على الشرك ، ووجدت فى بعض كتب السعدى

اختلافاً في عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -
وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ، فأنه أعلم ، غير أن في مسند الزوار ، وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمر
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة ، وقد عزت قوماً من الانصار عن ميتهم : لعلك بلغت معهم
السكدي ، ويروي السكري بالراء ، يعني : القبور فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم السكدي أو كما قال ، ما رأيت
الجنة ، حتى يراها جد أبيك ، وقد أخرجه أبو داود ، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك ، كذلك لم يذكر
فيه : ما دخلت الجنة ، وفي قوله : جد أبيك ، ولم يقل : جدك يعني : أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا
ذكره أن الله أحيا أمه وأباه ، وآمنا به ، فأنه أعلم ، ويحتمل أن يكون أراد تخويها بقوله ، حتى يدخلها جد أبيك
فتتوهم أنه الجد الكافر ، ومن جدوده عليه السلام : إسماعيل وإبراهيم ، لأن قوله عليه السلام حق ، وبلوغها
معهم السكدي لا يوجب خلوداً في النار فهذا من لطيف الكناية فافهمه ، وحكى عن هشام بن السائب أو ابنه أنه
قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم ، فقال : يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ،
وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر
نصيياً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلكم على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ،
والناس لكم حزب ، وعلى حربكم ألب ، ولاني أوصيكم بتعظيم هذه البنية [الكعبة] ، فإن فيها مرضاة للرب ،
وقوام العاش ، وثباتا للوطاة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل ، وسعة في العدد ،
واتركوا البغي والعقوق ، ففيهما هلكة القرون قبلكم ، أجيوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف
الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام ، ولاني
أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء
بأمر قبله الجنان ، وأتكره اللسان مخافة الثنآن ، وإيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب ، وأهل البر في
الأطراف والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات
الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانها ودورها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ، وإذا أعظمهم عليه ،
أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه : أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ،
دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم ، كونوا له ولاة لحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا لارشده ، ولا
يأخذ أحد بهديه إلا لاسمعه ، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلى تأخير ؛ لكففت عنه الهزاهز ، ولدافعت عنه
الدواهي ، ثم هلك .

تفسير المشى في سورة ص : فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم : « أن امشوا ، واصبروا على آهنتكم ،
وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا من المشاء ، لامن المشى والمشاء : نماء المال وزيادته ، يقال مشى
الرجل ؛ وأمشى : إذا نما ماله قال الشاعر :

وكل فتى وإن أمشى وأثرى ستخيلجه عن الدنيا منون

وقال الراجز :

والشاة لاتمشى على المملع

الرسول يسعى إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً . إن كنت رسولا من الله كما تقول ، لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئروهم ذلك عليه . قال ابن هشام قال عبيد بن الأبرص :

ولقد أتاني عن تميم أنهم ذرروا لقتلي عامر وتمصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء سقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلته من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعه يظران إليه ، ويريان مالتي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحائك ؟

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فيما ، ذكر لي : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟

أى : لا تكثر ، والهملع : الذئب ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلهتهم ، وحملها على المشى أظهر في اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة وأبي طالب : وذكر تتابع المصائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال : تسكرهين ما أرى منك يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلن أنه سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون فقالت . آله أعلم بك بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضاً في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعم خديجة من عنب الجنة ؟ .

أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، ومالتي ، تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس فقالا له : خذ قطفا من العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عداس ؛ ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخى ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس ، قال له : ويملك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قال له : ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وفد جن نصيبين : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي ، فسر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلواته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، إلى قوله تعالى : « ويحرك من عذب أليم » ، وقال تبارك وتعالى : « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن » ، إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل : قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفرار دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواضع ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الديلي أو من حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام : ربيعة بن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لعلام شاب مع أبي بنمي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إني رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . قال : وخلفه رجل

أحول وضوء ، له غدیرتان عليه حلّة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو هلب :
قال ابن هشام : قال النابغة :

كأنك من جمال بنى أقيش يتعقع خلف رجله يشن

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهري : أنه أتى كندة في منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كلبا في منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم - يقال له : ببحرة بن فراس . قال ابن هشام : فراس بن عبد الله بن سلبه بن قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش ، لا كلت به العرب ، ثم قال : رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ، قال : فقال له : أنهدف نحو رنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافق معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبي ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذنا باها من مطلب ، والذى نفس فلان بيده ، ما تقولها لإسماعيل قط ، ولإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟

عرض نفسه في المواسم . قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف ، إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت . قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ، ثم الظفري عن أشياخ من قومه قالوا :

قدم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجا أو معتمرا ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى	مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهداً	وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه	نيمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم	من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني	وخير الموالي من يرش ولا يبري

وهو الذي يقول : ونافر رجلا من بني سليم ، ثم أحد بني زعب بن مالك مائة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له فأنصرف عنها هو والسليبي ليس معهما غيرهما ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أخا بني سليم قال : أبعث لي إليك به ، قال : فمن لي بذلك إذا فتني به ؟ قال : أنا ، قال : كلا ، والذي نفس سويد بيده ، لا تفارقني حتى أوتى بمالي ، فاتخذنا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذي له ، فقال في ذلك :

لا تحسبني يا بن زعب بن مالك	كن كنت تردى بالغيوب وتحفل
تحولت قرنا إذ صرعت بعزة	كذلك إن الحازم المتحول
ضربت به لإبط الشمال فلم يزل	على كل حال خده هو أسفل

في أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها على فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى على ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعده منه ، وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بعث .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل

لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وماذا ؟ قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل على الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاما حدثا : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعون نهيال الله تعالى ويكبره ويحمده ، ويسبحه حتى مات ، فأ كانوا يشكون أن قد مات مسلما ، لقد كان استنصر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع .

اسلام الأنصار

قال ابن إسحاق : فما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلبوا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسيبنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أهر منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

اسماء من التقوا به صلى الله عليه وسلم من الخزرج : قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفرأ .

قال ابن هشام : وعفرأ بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج :
رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بني سلة بن سعد بن علي بن ساودة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بني سواد
ابن كعب بن سلة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلة : عقبة بن عامر بن زيد بن حرام .

ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلة : جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان
ابن عبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ،
فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسند ذكر السبب في تسميتها بالطائف ، وأن الدمون رجل من الصدف من حضرموت نزلها ، فقال لاهلها .
ألا ابن لكم حائطاً يطيف ببلدتكم فبناء ، فهيت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سند كره .

وقوله : فيذكرها عليه ، قد فسره ابن هشام ، وأنشد :

ذروا لقتلي عامر وتخصيوا

وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال ذمير النساء على أزواجهن ، وفسره
أبو عبيد بالنشوز على الأزواج ، وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر ما لقي من أشرف ثقيف ، وذكر موسى بن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم ، قال : وكان
يمشي بين سباطين منهم ، فكلموا نفلوا قدما ، رجوا عراقيه بالحجارة ، حتى اختضب نغلاه بالدماء ، وذكر التيمي
كما ذكر ابن عقبة ، وزاد قال : كان إذا أذلقته الحجارة ، قعد إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه ، فيقيمونه فإذا
مشى رجوه ، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عتبة وشيبة .

قال ابن إسحاق : جلس إلى ظل حجلة ، والحيلة الكرمة ، اشتق اسمها من الحبل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح
حمل الشجرة والنخلة ، فقبل ، حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة ، وقد يقال فيه : حمل بالكسر تشبيها
بالحمل الذي على الظهر ، ومن قال في السكرمة حجلة بسكون الباء ، فليس بالمعروف ، وقد قال أبو الحسن بن كيسان

(م ٢٣ الروح والآنف ، والسيرة . ٢٠)

في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع جبل الحبلية ، لأنه يبيع العنب قبل أن يطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها - فقال : والله لا دعنها حتى يجاهد بها جبل الحبلية ، يريد : أولادها في البطون . ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال ، والقول الذي ذكره أبو الحسن في جبل الحبلية وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخول الماء في الحبلية ، حتى قالوا فيه أقوالا كلها هباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحبلية لأنها بهيمة أو جنيمة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمباغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : جبل الحبلية ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإنما النسبة في ذلك أن الحبل مادام جبلا لا يدري : أذكر هو أم أنثى ، لم يسم جبلا ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه ، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فغير عنه بالحبلية ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع جبل الجنيمة التي كانت جبلا لا يعرف ماهى ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الآدميين ، فإذا لا يقال لها : حبلية إلا بعد المعرفة بأنها أنثى ، وعند ذكر الحبل الثاني لأن هذه أنثى قبل أن تحبل ، وهي صغيرة : رخلى ، وتسمى أيضاً حائلًا وأشبه ذلك ، وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع حاله الأولى التي كانت فيها جبلا فرق بين اللفظين بتاء التأنيث ، وخص اللفظ الذي هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذي لا يدري ماهو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم في تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذي لا يقدر قدره في البلاغة إلا عالم بجزهر الكلام .

وجه الله : وذكر دعاءه - عليه السلام - عند الشدة ، وقوله : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت به الظلمات ، وصاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويسأك عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ؛ أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة ، فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واستراضاء بعمل ؛ كقوله تعالى : « يريدون وجهه » وكقوله : « إلا اتقاء وجه ربه الأهل » فالمطلوب في هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ؛ وأقبله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يرك وجهه ، فأفاد قوله : بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصله في الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لا تنفيذ إلا تأكيذاً للكلام ، وهذا قول من غلظ طبعه وبعد بالعجمة عن فهم البلاغة قلبه وكذلك قال هو ومن قلده في قوله تعالى : « وبيتي وجه ربك ، أي بيتي ربك ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، أي : إياه ، فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حكمة ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم .

ولكن هذا هو الموطن الثاني من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به مظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة مظهر من الشيء معقولا كان أو محسوسا ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أي : الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب مظهر إلى بصرك منه ، والبصائر لا تحيط بأوصاف جلاله ، وما يظن لها من ذلك أقل مما يعيب عنها ، وهو الظاهر والباطن - تعالى وجل - وكذلك في الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يرون من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب دونهم ، ومالا يدركون من ذلك أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه ، كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، لمساكنت السموات والأرض ، قد أظهرت من قدرته وسلطانه ، ما أظهرت ، أخبر تعالى أن فناها لا يغير ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها ، وهو باق بعد فناها كما كان في القدم ، فهو ذو الجلال والإكرام ، قال الحسن : معناه : تجال بالهواء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعري فذهب في معنى الوجه إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد وأنها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة العقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عجمة أيضاً فإنه نزل بلسان عربي مبين ، فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها ، وليس في لغتها أن الوجه صفة ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي احتج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكاً ولا تشديداً ، فلم يستفسر أحد منهم رسول الله عليه السلام ، ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس ، ولا الكافر في ذلك الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا في قوله تعالى : **ولأنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ، ولا قال أحد منهم : يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه ، ثم يثبت له وجهاً ويدين إلى غير ذلك فدل على أنهم لم يروا في الآية إشكالا ، وتلقوا معانيها على غير التشبيه ، وعرفوا من سمانه الكلام ، وملاحة الاستعارة أنه معجز ، فلم يتعاطوا له معارضة ، ولا توهموا فيه مناقضة ، وقد أملينا في معنى اليدين والعين مسألة بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النور فعبرة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت الظلمات ، أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك ، فاستنارت القلوب بنور الله ، وقد قال المفسرون في قوله تعالى : **مثل نوره** ، أي : مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة ، فهو إذا نور الإيمان والمعرفة ، المجلى لكل ظلمة وشك ، قال كعب : المشكاة مثل لفهمه ، والمصباح مثل لسانه ، والزجاجة : مثل لصدره ، أو لقلبه أي قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أعود بنور وجهك ، ولو قال : بنورك لحسن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فضله ورحمته ، بنضله ورحمته وقد تكون الظلمات هنا أيضاً الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالها على خالقها ، كذلك الأنوار المحسوسة ، السكل دال عليه فهو نور النور ، أي : مظهر من نور الظلمات ، أي جاعلها نوراً في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى .

عداس غلام ابني ربيعة : فصل : وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة حين جاء بالقطف من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبول هدية المشرك ، وأن لا يتورع عن طعامه ، وسيأتي استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التيمى فيها أن عداساً حين سمعه يذكر يونس بن متى قال : والله لقد خرجت منها يعني : نينوى ، وما فيها عشرة يعرفون : مامتى ، فمن أين عرفت أنت متى ، وأنت أمى ، وفي أمة أمية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : هو أخى ، كان نبياً ، وأنا نبى ، وذكروا أيضاً أن عداساً لما أراد سيدها الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معها فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذي رأيته بجائطكما تريدان ، والله ما تقوم له الجبال ، فقال له : ويحك يا عداس قد سحرك بلسانه ، وعند مالقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل الطائف ، مالقى ، ودعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما روى البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن بونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني عروة أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنبي عليه السلام : هل أتى عليك يوم

كان أشد عليك من أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي، وأنا مهموم، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال، فسلم على فقال: يا محمد ذلك لك، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً. هكذا قال في الحديث: ابن عبد كلال، وهو خلاف ما نسبته ابن إسحاق.

وفدجن نصيبين: وذكر حديث وفدجن نصيبين، وما أنزل الله فيهم، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفاً من أخبارهم وبيننا هنالك أسماءهم، ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه قال: رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها. وينضّر شجرها، ويطيب ثمرها أو قال: ويكثر ثمرها، وتقدم في أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال: هم منشى وماشى وناصر وماصر والاحقب، ولم يزد على تسمية هؤلاء، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالجن ليلة الجن شجرة، وأنهم سألوه الزاد، فقال: كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يدا أحدكم. أوفر ما يكون لحماً، وكل بعير علف لدوابهم. زاد ابن سلام في تفسيره أن البعير يعود خضراً لدوابهم، ثم نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يستنجى بالعظم والروث، وقال: إنه زاد لإخوانكم من الجن، وانظروا الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه: وكل عظم ذكر اسم الله عليه، ولفظه في كتاب أبي داود: وكل عظم لم يذكر اسم الله عليه، وأكثر الأحاديث تدل على رواية أبي داود، وقال بعض العلماء رواية مسلم في الجن المؤمنين، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة، وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب، وتأولوا قوله - عليه السلام إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر: صنّف على صور الحيات، وصنّف على صور السكّاب سود وصنّف ريح طيارة أو قال: هفاقة ذرو اجنحة، وزاد بعض الرواة في الحديث: وصنّف يحلون ويظعنون، وهم السعالى، ولعل هذا الصنف الطيار هو الذى لا يأكل ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله اعلم. وروينا في حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى إذ جاءت حية، فقامت إلى جنبه، وأذنت فأها من أذنه، وكانت تناجيه، أو نحو هذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم فانصرفت، قال جابر: فسألته، فأخبرني: أنه رجل من الجن، وأنه قال له: مر أمتك لا يستنجوا بالروث، ولا بالرمة، فإن الله جعل لنا في ذلك رزقاً.

عرض نفسه على القبائل: فصل: وذكر عرضه نفسه - صلى الله عليه وسلم - على القبائل، ليؤمنوا به، ولينصروه قبيلة قبيلة، فذكر بنى حنيفة، واسم حنيفة: أثال بن لجيم، ولجيم: تصغير اللجم، وهى دويبة، قال قطرب، وأنشد:

لها ذنب مثل ذيل العرو من إلى سبة مثل جحر اللجم

ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وسمى حنيفة لحنف كان في رجليه، وقيل: بل حنيفة أمهم، وهى بنت

كاهل بن أسد عرفوا بها ، وهم أهل اليمامة ، وأصحاب مسيامة الكذاب ، وقد أمينا في أول الكتاب سبب نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم .

وذكر بيحجرة بن فراس العامري ، وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفهدفت نخورتا للعرب دونك نهدف أي : نجعلها هدفا لسهامهم ؛ والهدف : الغرض .

وذكر قول الشيخ : هل لها من تلاف ، أي : تدارك ، وهو تفاعل من : تلافيتهم ، وهل لذنا باها من مطلب : مثل ضرب لما فاته منها ، وأصله : من ذنابي الطائر : اذا أفلت من الحباله ، فطلبت الاخذ بذناياه ، وفاق : مات قولها لإسماعيلي قط أي : ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بني اسماعيل

فصل : و ذكر عرضه نفسه على كندة ، وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن ميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ على أحد الافوال بين النسابين في كندة وسمى كندة لأنه كند أباه ، أي عقه وسمى ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً ، فهم بنو مرتع بن ثور ، وقيل ان ثوراً هو مرتع ، وكندة أبوه .

فصل : و ذكر غير ابن اسحاق ما لم يذكر ابن اسحاق بما رأيت املاء بعضه في هذا الكتاب تمة لفائدته . ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضه نفسه على بني ذهل بن ثعلبة ، ثم على بني شيبان بن ثعلبة ، فذكر الخطابي وقاسم جميعاً ما كان كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد قاسم تكلمة الحديث فرأينا ان نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال : ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم ابو بكر ، فسلم قال علي : وكان ابو بكر مقدماً في كل خير ، فقال من القوم فقالوا ، من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت ابو بكر الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي انت وأمي ، هؤلاء غرر في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ . ابن قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق بن عمر قد غلبهم جمالاً ولساناً وكانت له غدیرتان تسقطان على تربيتيه (١) ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مفروق إنا لنزيد على الألف ، وإن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجهد ، ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً لحين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يدينا مارة ويديل علينا ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله ، فهاهو ذا فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلى ما تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤووني ، وتنصروني ، فإن قريشاً قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد ، فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوادين إحساناً ، ولا تعتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .

فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ، فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، والله لقد أفك قوم كذبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانىء بن قبيصة ، فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هانىء : قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأى ، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة من العجلة ، ومن ورائنا قوم نكروه أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع وتنتظر وننتظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني ، فقال : وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثني قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ، والجواب : هو جواب هانىء بن قبيصة في تركنا ديننا ، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صربان اليمامة والسمائة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ما هذان الصربان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبيه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، وإني أرى هذا الأمر الذى يدعوننا إليه هو بما تكرهه الماوك ، فإن أحببت أن تؤويك وتنعرك بما يلي مياه العرب ، فعلنا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسأتم في الرد ، إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقدسونه ، فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ، فتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ثم نهض النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخذ يدي ، فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ، ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، ربهما يتحاجزون فيما بينهما قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقاء صبراء ، وروى في حديث مسند إلى طارق ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : رأيت بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل ، يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تغلحوا ، وخلفه رجل له غديرتان يرحمه بالحجارة ، حتى أدمى كعبه ، يقول : يا أيها الناس لا تسرعوا منه ، فإنه كذاب ، فسألت عنه ، فقيل : هو غلام عبد المطلب ، قات ومن الرجل يرحمه ، فقيل لى : هو عمه عبد العزى أبر لهب ، وذكر الحديث بطوله . خرجه الدارقطنى ، ووقع أيضاً في السيرة من رواية يونس .

حديث سويد بن صامت : فصل : ذكر حديث سويد بن صامت وشعره ، وفي الشعر :

وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

يعنى السيف ، ومأثور من الأثر وهو : فرند السيف ، ويقال فيه : أثر وإثر . قال الشاعر :

جلاها الصيغولون فأخلصوها خفافاً كلها يتقى بأثر

أراد : يتقى ، وسويد هو : الكامل ، وهو ابن الصلت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو والنجارية أخت سلمة بنت عمرو بن غنم بن عدى بن النجار أم عبد المطلب بن هاشم

فسويد هذا ابن خالة عبد المطالب ، وبنت سويد هي أم عاتكة أخت سعيد بن زيد بن نضيل امرأة عمر بن الخطاب فهو جدّها لأمها واسم أمها : زينب وقيل جليسة بنت سويد ، هكذا ذكر الزبير بن أبي بكر .

مجلة لقمان : فصل : وذكر مجلة لقمان ، وهي الصحيفة ، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فن صفة المخلوق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد :

فلاذا جلال هبته لجلالة ولاذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري .

قدوم أبي الحديسر : فصل : وذكر قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع يطلب الحلف ، وذلك بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وهي حرب بعات المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرفهم ، وبعات اسم أرض بها عرفت .

إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسمهم في الجاهلية ، حتى سماهم الله به في الإسلام ، وهم : بنو الأوس والخزرج ، والخزرج الربيع الباردة وقال بعضهم : وهي الجنوب خاصة ، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التيم جمع : تيم وهو من باب : رومي وروم ، لأن الأوس هي العطية أو العوض ، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره وكذلك ، أوس وأويس : الذئب قال الراجز :

باليث شمري عنه والأمر عجم ما فعل لليوم أويس بالعلم

وأبوم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً : والدخزاعة على أحد القولين ، وأمهم قبيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هي بنت جفنة واسمها غلبة بن عمرو بن عامر ، وقيل : بنت سبيع بن الهون بن خزيمه بن مدركة ، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة .

والأنصار : جمع لأناصر على غير قياس في جمع فاعل وسكن على تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالاسم على تقدير حذفها : ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للنفر من الأنصار : أمن موالي يهود أتم أي من حلفائهم ، والمولى يجمع : الحليف وابن العم والمعتم والمعتق لأنه مفعل من الولاية ، وجاء على وزن مفعول ، لأنه مفعول ومليجاً لوليه فجاء على وزن ما هو في معناه .

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بيعة النساء ، وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال : «يا أيها الذين آمنوا لا يشرك بالله شيئاً ، الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال ، وكانت مبايعته

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تقترض عليهم الحرب .

منهم من بنى النجار ، ثم بنى مالك بن النجار : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمانة ، وعوف ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار ، وهما ابنا عفراء .

ومن بنى زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وذكوان بن عبد قيس ابن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجرى أنصارى .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ، وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزيمه بن أصرم بن عمرو بن عماره ، من بنى غصينة ، من بنى حليفهم .

قال ابن هشام وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له قواقل به يثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوقلة : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : العباس بن نضلة بن مالك بن العجلان .

ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بالسنتين قال : قد بايعتكن ، وما مسمت يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة ، وقد روى أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب ، وهو قول عامر والشعبي ، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره ، والاول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ النقاش في صفة بيعة النساء وجهها ثالثاً وأورد فيه آثاراً ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده في إناء وتمس المرأة يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وليس هذا بالمشهور ، ولا هو عند أهل الحديث بالثابت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره في رواية عن يونس بن أبان بن أبي صالح ، وذكر أنساب الذين بايعوه ، وسنعيده في بيعة العقبة وغزاة بدر ، وهناك يصح التنبيه على ما يحتاج إليه يعون الله .

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن مالك بن الأوس : أبو الهيم بن التيهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التيهان : يخفف ويثقل ، كقوله ميت وميت .

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة .

نص البيعة : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرثد بن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن الصامت ، قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلستم الجنة . وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .

قال ابن إسحاق وذكر ابن شهاب الزهري ، عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلستم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك ، فأخذتم بعهده في الدنيا ، فهو كفارة له ؛ وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

الرسول يبعث مصعب بن عمير مع وفد العقبة : قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة : مصعب . وكان منزله على أسعد بن زرارة ابن عدس ، أبي أمامة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن قتادة : أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبي أمامة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائداً أبي ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة ، أسعد بن زرارة . قال : فكنت حيناً على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال ، أي بني ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبي ، من حرة بني بياضة ، يقال له : نقيع النخضات ، قال قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

الإسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : قال ابن إسحاق : وحدثني عميد الله بن معيقب ، وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زرارَةَ خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارَةَ فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر .

قال ابن هشام : واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - قالوا : على بثريقال لها : بترمق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال من أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير : لا بالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفهاضعفاءنا ، فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارَةَ منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدما ، قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارَةَ ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ، قال مصعب إن يجلس أكلمه . قال : فوقف عليهما متشبا ، فقال ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرأ قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما نذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في لإشراقه وتسبله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ! قال كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارَةَ ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك قال : فقام سعد مغضبا مبادرا ، نخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج إليهما ، فلما رأها سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ، ثم قال لاسعد ابن زرارَةَ يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أتغشانا في دارينا بما نكره - وقد قال أسعد بن زرارَةَ لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه قومه ، إن يتبعك لا يتخلص عنك منهم اثنان - قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرأ ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد . أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالوا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسبله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، قال . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامدا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيية ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أسمى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلية ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس ابن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسات ، وهو صيفي ، وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أرب الناس أشياء أمت	ياف الصعب منها بالنلول
أرب الناس أما إذ ضللنا	فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهوداً	وما دين اليهود بنى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى	مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا	حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات	مكشفة المناكب في الجلول

قال ابن هشام : أنشدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الانصار ، أو من خزاعة .

امر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الانصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومه من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فراعدهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبيه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور يصل إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلية ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الانصار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حجاج قومتنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، لئنى قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدري ، أتوافقوني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه لبنية مني بظهر ، يعنى : الكعبة ، وأن أصلى إليها . قال : فقلنا ، والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصل

إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إني لمصل إليها قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل . قال فكننا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عينا عليه ما صنع ، وأنى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعت في سفرى هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسى منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياى فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، قال : قال : فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . قال : وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجد فوهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فجلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : آ لشاعر ؟ قال : نعم . فقال البراء بن معرور : يابن الله ، إني خرجت في سفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفنى أصحابى في ذلك ، حتى وقع في نفسى شيء ، فإذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عون بن أيوب الأنصارى :

ومنا المصل أول الناس مقبلا على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعنى البراء بن معرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثنى معبد بن كعب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلّمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، ولنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ، ثم دعونا إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقييا .

امراتان فى البيعة

قال : فمئنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتسلل تسلل القضا مستخفين ، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا

امراتان من نساتنا نسيية بنت كعب ، أم عمارة ، احدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسما بنت عمرو بن عدى بن نابي ، احدى نساء بنى سلمة ، وهى أم منيع .

العباس والانصار

قال : فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج - قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحى من الانصار ، الخزرج ، خزرجها وأوسها - : ان محمدآ منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، من هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللاحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعوه من مخالفه ، فأنتم وما تحملمتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده : قال ، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الانصار

قال ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، قال ، أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم . قال ، فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال ، نعم ، والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع منه أزرننا فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابرآ عن كابر . قال فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

قال ابن هشام . ويقال : الهدم الهدم : أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

اسماء النقباء الاثنى عشر

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى - : أبو أمية أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار ، وهو : تيم الله بن ثعلبة عمر بن الخزرج

ابن حارثة ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج
ابن الحارث بن رواحة ، بن ثعلبة بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج
ابن الحارث بن الخزرج ، ورج افح بن مالك بن العجلان بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب
ابن جشم بن الخزرج ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن أسد
بن ساردة بن يزيد بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة
ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن ثعلبة
ابن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج :

قال ابن إسحاق : وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن
كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس حارثة بن لوزان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن
ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام : ويقال : بن خنيس .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم
ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وسعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب
ابن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن
الأوس بن حارثة ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو
ابن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك في النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم،
فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أبلغ أيبا أنه قال رأيه	وكان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما منتك نفسك لأنه	بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد قد بدا لنا	بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغين في حشد أمر تريده	وألب وجمع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم أن نقض عهدنا	أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما	وأسعد ياباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدي ومنذر	لأنفك إن حاولت ذلك جادع

وما ابن ربيع إن تناولت عهده
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة
وفاء به والقوقلى بن صامت
أبو هيثم أيضاً وفى بمثلها
وما ابن حضير إن أردت بمطعم
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه
أولاك نجوم لا يغبك منهم
بمسلبه لا يطمعن ثم طامع
وإخفاره من دونه السم نافع
بمخدوحة عما تحاول يافع
وفاء بما أعطى من العهد خانع
فهل أنت عن أحقوة الغى نازع؟
ضروح لما حاولت م الأمر مانع
عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولم يذكر رفاعه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي - يعنى المسلمين - قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عباد للخزرج

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرفكم قتلاً أسلبتموه ، فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذوه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليثمد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله ابن أبي بن سلول ، فيكون أفوى لأمر القوم . فالثمة أعلم أى ذلك كان .

قال ابن هشام : سلول : امرأة من خزاعة ، وهى أم أبى بن مالك بن الحارث .

أول من ضرب على يد الرسول فى بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زرارة ، كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : حدثني معبد بن كعب بن مالك ، لحدثني في حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم .

الشیطان یصرخ بعد یبعه العقبه

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبه بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابب - والجبابب : المنازل - هل لكم في مذمم والصبابة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أذب العقبه ، هذا ابن أذب - قال ابن هشام : ويقال ابن أذب استمع أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك .

الأنصار تطلب الحرب والرسول لا يستجيب

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكم . قال فقال له العباس بن عباد بن فضالة والله الذى بعثك بالحق : إن شئت لتميلان على أهل منى غدأ بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمنا عليها حتى أصبحنا .

مجادلة قريش للأنصار

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك عن مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علينا . قال : وقد صدقوا ، لم يعلوه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان له جديدان . قال : فقلت له كلمة - كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - : يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسممها الحارث ، فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلى ، وقال : والله لتنتعلنهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفتى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت لا : والله لأردهما ، فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لاسلبنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

قریش تاسر سعد بن عبادة

قال : ونفر الناس من منى ، فتنطس القوم الخبر ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بحمته ، وكان ذا شعر كثير .

خلاص سعد

قال سعد : فوالله إنى لنى أيديهم إذ طلع على نفر من قریش ، فيهم رجل وضى أبيض ، شعشاع ، حلو من الرجال . قال ابن هشام : الطويل الحسن قال روبة : يطوه من شعشاع غير مودن . يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى : ناقص اليد يطوه من السير شعشاع : حلو من الرجال .

قال : قلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ، قال فلما دنا منى رفع يده فأسكنى لكمة شديدة . قال : قلت فى نفسى ، لا والله ما عندهم بعد هذا من خير . قال : فوالله إنى لنى أيديهم يسحبونى إذ أوى لى رجل من كان معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قریش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى ، والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم من أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، وأذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدتهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالإبطح ليهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ، جوارآ ، قالا . من هو ؟ قال سعد بن عبادة ، قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا خلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعداً ، سهيل بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذى أوى إليه ، أبا البخترى بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين ، قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه وكانت حريا أن يهان ويهدرا
قال ابن هشام : ويروى .

وكان حقيقا أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

لست إلى سعد ولا المرء منذر
فلولا أبو وهب لمرت قصائد
أتفخر بالكتان لما لبسته
فلا تك كالوسنان يحلم أنه
ولاتك كالشكلي وكانت بمعزل
ولاتك كالشاة التي كان حتفها
ولاتك كالعاوي فأقبل نحره
فإنا ومن يهدي القصائد نحونا
إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
على شرف البرقاء يهوين حسرا
وقد تلبس الألباط ريطا مقصرا
بقرية كسرى أو بقرية قيصر
عن الشكل لو كان الفؤاد تفكرا
بحفر ذراعيتها فلم ترض محفرا
ولم يخشيه سهماً من النبل مضمرا
كستبضع تمرأ إلى أهل خيرنا

وذكر في أنساب المبايعين له في العقبة الأولى في بني سامة منهم : سادرة بن يزيد بن جشم ، وتزيد بن ماء منقوطة بانثتين من فوق ، ولا يعرف في العرب يزيد إلا هذا ، وتزيد بن الحاف بن قضاة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب الزيدية ، وأما سامة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمي بالسلمة واحدة السلام ، وهي الحجارة ، قال الشاعر :

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمى ورائي بالسهم والسلمة

وفي جمعي : سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جمعي ، وفي جهينة سلمة بن نصر بن غطفان قاله بن حبيب النسابة وفي الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرمي الذي أم قومه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرواة عبد الله ابن سلمة وينسب إلى بني سلمة هؤلاء سلمى بالفتح ، كما ينسب إلى بني سلمة ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم : السلوات ، يقال لأحدهم سلمه الخير ، والآخر سلمة الشر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سلمية بياض في دوس ، وهم بنو سلمية بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وسلمية هذا هو أخو جذيمة الأبرش ، وهو الذي قتل أخاه مالك بسهم قتل خطأ ، ويقال في النسب إليه : سلمى أيضا وهو القياس ، وقد قيل : سلمى كما قيل في عميرة عميري .

وذكر بني جدارة من بني النجار ، وجدارة : وجدارة : أخوان ، وغيره يقول في جدارة : جدارة بالخاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وهو أشبه بالصواب لأنه أخو خدرة ، وكثيرا ما يحملون أسماء الإخوة مشتقة بعضها من بعض .

وذكر القواقل وهم بنو عمرو بن غنم بزمالك ، وذكر تسميتهم القواقل ، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا : قوقل حيث شئت ، وفي الأنصار : القواقل والجعادر وهما بطنان من الأوس ، وسبب تسميتهما واحد في المعنى ، أما الجعادر فكانوا إذا أجاروا أحد أعطره سهما ، وقالوا له : جعدر به حيث شئت ، كما كانت القواقل تفعل ، وهم بنو زيد ، بن عمرو بن مالك بن ضبيعة يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعاً من الأوس . قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدة

مق تدع في الزيد بن مالك

وذكر فيهم أبا الهيثم بن النيهان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ، ولا في غزوة بدر ، وهو مالك

ابن التيهان ، واسم التيهان أيضاً مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون ، بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأنصاري حليف بني عبد الأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، ثم شهيد بدر ، واختلف في وقت وفاته ، فأصح ما قيل فيه إنه شهيد مع علي صفين ، وقتل فيها رحمه الله ، وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا اختلاف فيه ، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رواحة حين أضاف أبو الهيثم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عناقاً وأتاهم بقنور من رطب الحديث بطوله ، فقال ابن رواحة في ذلك :
فلم أر كالإسلام عزاً لأهله ولا مثل أضياف الأراشى معشرا

فجعله إرشيًا كما ترى ، والأراشى منسوب إلى إراشة في خزاعة ، أو إلى إراش بن لحيان بن الغوث فأنه أعلم :
أهو أنصاري بالخلف أم بالنسب المذكور . قبل هذا ، ونقلته من قول أبي عمر في الاستيعاب ، وقد قيل : إنه بلوى من بني إراشة بن فاران بن عمرو بن بلي ، والهيثم في اللثة : فرخ النسر ، أو العقاب ، والهيثم أيضاً ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة (١) ، وبه سمى الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :
رعت بقران الحزن روضاً منوراً
عميما من الظلاع والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ألا يسرقوا ، ولا ينزوا إلى آخر الآية ، وقيل في قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء : « ولا يأتين بهتان » أنه الولد تنسبه إلى بعها ، وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الولاء كالقبلة والحجسة ونحوها ، والأول يشبهه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : « ولا يعصينك في معروف » أنه النوح ، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بالحق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهم يعني : الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم ، وأرجلهم يعني : المشى في معصية ، ولا يعصينك في معروف ، أي : في خير تأمرهن به ، والمعروف : اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف حسنة ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال : ولا تغششن أزواجكن ، قالت : لإحداهن وماغش أزواجنا فقال : أن تأخذني من ماله فتحاني به غيره .

هجرة مصعب بن عمير : فصل : وذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المقرئ . وهو أول من سمى بهذا ، أعنى المقرئ . يكنى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعظمهم ، وكانت أمه شديدة الكفاف به ، وكان يبيت وقب الحيس عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ، وعليه فروة قد رفعها ، فيسكن لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حق يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مخشياً عليها ، وكان بنوها يحشون فاهما بشجار ، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت ، وسنذكر اسمها ونسبها عند ذكره في البدرين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكره ، فيقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي . وذكر أيضاً بإسناد له ، قال : كان مصعب بن عمير فتى مكة شاباً وجمالاً وسناً وكان أبواه يهبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال .

(١) هو أبو حنيفة الدينوري .

وذكر أن منزله كان على أسعد بن زرارة ، منزل بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب من منزل فلان على فلان ، فهو بالفتح ، لأنه أراد المصدر ، ولم يرد المسكان ، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاي ، وأما أم قيس بنت محسن المذكورة في هجرة بني أسد ، فاسمها آمنة وهي أخت عكاشة ، وهي التي ذكرت في الموطأ وأنها أتت بآبن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أول جمعة بالمدينة : فصل : وذكر أول من جمع بالمدينة ، وهو أبو أمامة ، وذكر غيره أن أول من جمع بهم مصعب بن عمير ، لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين ، ثم قدم بعده ابن أم مكتوم ، وقد ذكرنا في أول الكتاب من جمع في الجاهلية بكلمة فخطب وذكر وبشر بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وحض على اتباعه ، وهو كعب بن لؤي ويقال : إنه أول من سمى العروبة الجمعة ، ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم ، وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار ، فيقول : أما بعد فاعلموا وتعلموا إنما الأرض لله مهاد ، والجبال أوتاد ، والسماء بناء ، والنجوم سملات ، ثم يأمرهم بصلوة الرحم ، ويبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول : حرمكم يا قوم عظموه ، فسيكون له نبأ عظيم ، ويخرج منه نبي كريم ، ثم يقول في شعر ذكره :

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

صروف رأيناها تقلب أهلها لها عقد ما يستحيل مريها

ثم يقول :

ياليتمنى شاهد فواء دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلانا

وأما أول من جمع في الإسلام فهو من ذكرنا .

بقيع الخضعات : وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هزم النبيت في بقيع يقال له بقيع الخضعات . بقيع بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر ، وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقيع أنه بقيع بالنون ، ذكره في باب النون والقاف وقال : هزم النبيت : جبل على بريد من المدينة ، وفي غريب الحديث : أنه عليه السلام حمى غرز النقيع قال الخطابي : النقيع : القاع ، والغرز شبه النمام وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ومعنى الخضعات من الخضم ، وهو الأكل بالقم كنه ، والخضم بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والخضم : أكل الرطب ، فكأنه جمع خضمة ، وهي الماشية التي تخضم ، فكأنه سمي بذلك لخضب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الخبجبة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره في سنن أبي داود : والخبجبة : شجرة عرف بها .

أصل الجمعة : فصل : وتجميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العروبة - كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أضلته اليهود والنصارى ، وهذا كالم الله إليه .

ذكر الكشي ، وهو عبد بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي - صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموا الجمعة ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فسلم ، فلنجعل يوماً يجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العروبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ، فصلى بهم يومئذ ركعتين فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة ، وذلك لقلبتهم ، فأُنزل الله - عز وجل - في ذلك : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه فيبعد أن يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم فقد روى الدارقطني عن عثمان بن أحمد بن السهك ، قال : نا أحمد بن غالب الباهلي ، قال : نا محمد بن عبد الله أبو يزيد المدني ، قال : نا المغيرة بن عبد الرحمن ، قال : حدثني مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ، ولا يبدى لهم ، فكتب إلى مصعب بن عمير : أما بعد : فانظر اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسببتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى الله بركعتين قال : فأول من جمع : مصعب بن عمير ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فجمع عبد الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أضلته اليهود والنصارى ، وهذا لم الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الأسبوع ، يعظمون الله فيه ، ويتفرغون لعبادته ، فاختروا من قبل أنفسهم السبت فأزموه في شرعهم ، كذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع ، فاختروا من قبل أنفسهم الأحد ، فأزموه شرعاً لهم .

قال المؤلف : وكان اليهود إنما اختاروا السبت ، لأنهم اعتقدوه اليوم السابع ، ثم زادوا لكفرهم أن الله استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأن بدء الخلق عندهم الأحد ، وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو أيضاً مذهب النصارى ، فاختروا الأحد لأنه أول الأيام في زعمهم ، وقد شهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للفريقين بإضلال اليوم ، وقال في صحيح مسلم إن الله خلق التربة يوم السبت ، فبين أن أول الأيام التي خلق الله فيها الخلق السبت ، وآخر الأيام الستة إذا الخميس ، وكذلك قال ابن إسحاق فيما ذكر عنه الطبري ، وفي الأثر أن يوم الجمعة سمي الجمعة ، لأنه جمع فيه خلق آدم ، روى ذلك عن سلمان وغيره ، وقد قدمنا في حديث الكشي أن الأنصار سموه جمعة لاجتماعهم فيه ، فهداهم الله إلى التسمية ، وهداهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خلق أدينا آدم ، وجعل فيه بدء هذا الجنس ، وهو البشر ، وجعل فيه أيضاً فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعة ، وجب أن يكون يوم ذكر وعبادة ، لأنه تذكرة بالمبدأ وتذكرة بالمعاد ، وانظر إلى قوله تعالى : فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، وخص البيع لأنه يوم يذكر باليوم الذي لا يبيع فيه ولا خلة مع أنه وتر للأيام التي قبله في الاصح من القول ، والله يحب الوتر ، لأنه من أسمائه فكان من هدى الله لهذه الامة أن أموا إليه ثم أقروا عليه لما وافقوا الحكمة فيه ، فهم الآخرون السابقون يوم القيامة ، كما قال عليه السلام ، كما أن أن اليوم الذي اختاروه سابق لما اختارته اليهود والنصارى ، ومتقدم عليه ، ولذلك كان يقرأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة في صبح يوم الجمعة رواه سعيد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلاهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه عن سعيد ابن جبير أيضاً عروة بن عبد الرحمن ذكره البزار، ورواه الترمذى في كتاب العليل له عن الأحوص، ورواه أيضاً عن أبي الأحوص، وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين، وذلك في يوم الجمعة تنبيهها منه عليه السلام على الحكمة، وتذكروا لقلوب هذه الموعظة .

وأما قراءته ، هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، في الركعة الثانية ، فلما فيها من ذكر السعى وشكر الله لهم عليه يقول : « وكان سعيكم مشكوراً ، مع ما في أولها من ذكر بدء خلق الإنسان ، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، وقد قال في يوم الجمعة « فاسعوا إلى ذكر الله ، فنتبه بقراءته إياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضاً بهل أتاك حديث الغاشية ، وذلك أن فيها : « لسعيا راضية ، كما في سورة الجمعة ، « فاسعوا إلى ذكر الله ، ناستحب عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به في السورة الأولى .

معنى الجمعة : ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فعلة وفعلة لأنه في معنى قرينة وقرينة والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ماهو في معناها ، وقالوا : عمرة ، فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام ، وبنو على فعلة لأنها وصلة وقرينة إلى الله ، ولهذا الأصل فروع في كلام العرب ، ونظائر لهذين الإسمين يفيتنا تتبعه عما نحن بسعيه ، وفيما قدمناه ماهو أكثر من لمحة داله ، وقالوا في الجمعة جمع بتشديد الميم كما قالوا عيد إذا شهد العيد ، وعرف إذا شهد عرفة ، ولا يقال في غير الجمعة إلا جمع بالتخفيف ، وفي البخاري : أول من عرف بالبصرة ابن عباس ، والتعريف إنما هو بعرفات ، فكيف بالبحرة ، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عرفة أخذ في الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس ، كما يفعل أهل عرفة .

أيام الأسبوع وأسمائها : وليس في تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع الأحد وسابعتها السبت ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماءها في اللغة القديمة شيار وأول وأهون وجبار ودبار ومونس والعروبة ، وأسمائها بالسريانية قبل هذا أبو جاد هوز حطى إلى آخرها ، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد ، لقلنا : هي تسمية صادقة على المسمى بها ، ولكنه لم يذكر منها إلا الجمعة والسبت ، وليس من المشتقة من العدد ، ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرهما إلا حاكياً للغة قومه لا مبتدئاً لتسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم ، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعاً لهم ، وإلا فقد قدمنا ما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام : إن الله خلق التربة يوم السبت والجمال يوم الأحد ، الحديث ، والعجب من الطبرى على تبخره في العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث . وأعنى في الرد على ابن إسحاق وغيره ، ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لا وتر وإنما الوتر في قوهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام : أضلته اليهود والنصارى ، وهذا كم الله إليه ، وما احتج به بالطبرى من حديث آخر ، فليس في الصحة كالذى قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل

أيضاً ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ولما فيه أيضاً من التذكرة بأحادية الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإنك إذا كنت في الجمعة ، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهمك إلى الجمعة التي خلق فيها أبوك آدم ثم فكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة وجدت في كل يوم منها جنساً من المخلوقات موجوداً إلى السبت ، ثم انقطع وهمك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبت وجوداً إلا للواحد الصمد الوتر ، فقد ذكرت الجمعة من تفكر بوحداية الله وأوليته ، فوجب أن يؤكّد في هذا اليوم اليوم توحيد القلب للرب بالذكر له ، كما قال تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » . وأن يتأكد ذلك الذكر بالعمل ، وذلك بأن يكون العمل مشاكلة للمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع في مسجد واحد من المساجد ، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكر بوحداية الله تعالى وبلقائه ، فيشأ كل الفعل القول ، والقول المعتد ، فتأمل هذه الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرة بالحق ، وقد زدنا على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا أنه يريد بالسعدين : القبيلتين سعد هذيم من قضاة ، وسعد بن زيد مائة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا
ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى ، وتمنيا
على الله في الفردوس منية عارف

فعلبوا حينئذ أنه يريد سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

هل يغتسل الكافر إذا أسلم : وذكر فيه اغتسالهما بأمر مصعب بن عمير لها بذلك ، فذلك السنة في كل كافر يسلم ، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله ، فقال بعضهم ينوي به رفع الجنابة عن نفسه ، وقال بعضهم : ينوي التعبد ، ولا حكم للجنابة في حقه ، لأن معنى الأمر به استباحة الصلاة ، والكافر لا يصلي ، وإن كان مخاطباً في أصح القولين ، ولكنه أمر مشروط بالإيمان ، فإذا لم يكن الإيمان - وهو الشرط الأول - فأجدر بأن يكون الشرط الثاني - وهو الغسل من الجنابة غير مقيد بشيء ، فإذا أسلم مدم الإسلام ما كان قبله ، فلم يجب عليه إعادة صلاة مضت ، وإذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها ، واستأنف الأحكام الشرعية ، فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أداها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا أجنب بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سنة لا فريضة وليس عندي بالبين لأن الله سبحانه يقول : « إنما المشركون نجس ، وحكم النجاسة إنما يرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك والحكم المعلل بالصفة مرتبط بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جنباً ، ثم بال فالطهور من الجنابة ، يرفع عنه حكم الحدث الأصغر ، وهو حدث الوضوء ، لأن

الطهارة الصغرى داخلة في الكبرى ، وتطهره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغي أن تكون مغنية عنها ، كما كانت الطهارة من الجنابة مغنية عن الطهارة من الحدث ، إذ ليست واحدة من هذه الطهارات من يلة لهين نجاسة فيها ، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبد ، والحكم بأنه غير فرض تحمك والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ويغسل ثيابه ، فقال : يستحبون ، وجعلها مسألة استحباب .

شرح شعر ابن الأسلات : فصل : وذكر شعر أبي قيس بن الأسلات ، وفيه قوله :

ولولا ربنا كنا يهودا وما دين اليهود بنى شكول

أراد جمع : شكل ، وشكل الشيء - بالفتح - هو مثله ، والشكل بالكسر الدل والحسن ، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أى : ليس له نظير في الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائى :

وقلت : أخى قالوا : أخ من قرابة
قرىبي في رأى ودينى ومذهبي
فقلت لهم : إن الشكول أقارب
وإن باعدتنا في الخطوب المناسب

وقال فيه : مع الرهبان في جبل الجليل . الجليل بالجيم الثمام ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم .

البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعب بن مالك حين حج في نفر من قومه مع البراء بن معرور ، فكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وكان البراء يصل إلى الكعبة الحديث - إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما فدى صلى ؛ لأنه كان متأولاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم : وفي الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصل بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً ، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نسخ سنة بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبال بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم بين توجهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : د ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، أى : من أى جهة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس ، أو لم تكن ، لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : د ومن حيث خرجت فول وجهك ، وقال لأمته : د وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ،

ولم يقل : حينما خرجتم ، وذلك أنه كان عليه السلام لإمام المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلي بهم ، وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدى به فأفاد ذكر الخروج في خاصته في هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هكذا ، يقتضى الخروج ، ولا سيما النساء ، ومن لاجتماعه عليه ، وكرر البارى تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات ، لأن المنكرين لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصناف من الناس اليهود ، لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم ، وأهل الرب المتناقش اشتد إنكارهم له أنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قريش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا ، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبلة إبراهيم وإسماعيل وآثر عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » على الاستثناء المنقطع ، أى : أسكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ، من الذين شكوا وامتروا ، ومعنى : الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فلا تترفى ذلك وقال : « وإن الذين أتوا الكتاب ليعلون أنه الحق » وقال : « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق ، وهم يعلمون » يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء ، وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الناسخ والنسخ له وهو فى روايتنا عنه بتمند رفيع حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال : أنا أبو على ابن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجار أحمد بن سليمان عنه ، قال : نا أحمد بن صالح ، قال : نا عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال : كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم لإلياء كما يعظمها أهل بيته ، قال : فسرت معه ، وهو ولى عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان : وهو جالس فيه : والله إن فى هذه القبلة التى صلى إليها المسلمون والنصارى لعجبا ، قال خالد بن يزيد : أما والله لئنى لأقرأ الكتاب الذى أنزله الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأقرأ التوراة ، فلم يجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزله الله عليهم ، وأسكن تابوت السكينة كان على الصخرة ، فلما غضب الله تعالى على بنى إسرائيل رفعه ، فكانت صلاتهم إلى الصخرة عن مشاورة منهم ، وروى أبو داود أيضاً أن يهوديا خاصم أبا العالية فى القبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة ، ويستقبل البيت الحرام ، فكانت الكعبة قبلة ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودى : بينى وبينك مسجد صالح النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو العالية : فإنى صليت فى مسجد صالح وقبلته الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجد ذى القرنين وقبلته الكعبة ، وروى أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقول لجبريل : وددت أن الله حولنى عن قبلة اليهود ، فيقول له جبريل : إنما أنا عبد مأمور ، وروى غيره أنه كان يتبعه بصره إذا عرج إلى السماء حرصاً على أن يأمره بالتوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » .

نسبية وأسماء فى بيعة العقبة الثانية : وذكر بيعة العقبة ، وذكر عدة أصحاب بيعة العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عمارة وهى نسبية بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلة ، فقطعت يدها ، وجرحت اثنا عشر جرحا ، ثم عاشت بعد ذلك دهراً ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لتستشفى لهم ، فتمسح بيدها الشلاء على العليل . وتدعو له ، فقل ماسحت بيدها ذا عاهة إلا برى .

والأخرى : أسماء بنت عمرو أم منيع ، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويروى أن أم عمارة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئاً ، فأنزل الله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات ، الآية . »

البراء بن معرور : وذكر قول البراء بن معرور ، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا ، أواد : نساءنا ، والعرب تكنى عن المرأة بالإزار وتكنى أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسها كما قال :

رموها بأثواب خفاف فلاترى لها شيئاً إلا النعام المنفرا

أى : بأبدان خفاف ، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جمعياً ، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذى كتب إلى عمر من الغزو يذكره بأهله :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

قال : الإزار : كناية عن الأهل ، وهو في موضع نصب بالإغراء أى : احفظ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه قدأ لك نفسى ، وهذا القول هو المرضى في العربية ، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب ، لأنه أضرر المبتدأ ، وأضرر الفعل الناصب للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت ما يبدل على صحة القول المختار وهو :

فلائصنا هداك الله مهلاً شغلنا عنكم زمن الحصار

فنصب فلائصنا بالإضمار الذى جعله الفارسي ناصباً للإزار .

والبراء بن معرور يكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء وهو الذى أكل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشاة المسمومة ، فمات ومعرور اسم أبيه ، معناه : مقصود يقال : عره واعتراه اذ قصد ، والبراء هذا من صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قبره بعد موته وكبر أربعاً ، وفي هذا الحديث الصلاة على القبر ، وقدرويت من ست طرق عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله أحمد بن حنبل ، وذكرها كلها أبو عمر في التمهيد ، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل ، فهى لإذن تروى من - تسع طرق أعنى أن - تسعة من الصحابة روى صلواته عليه السلام على القبر ، فمنهم ابن عباس ، وأنس بن مالك وبريدة وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعامر بن فهيرة وأبو قتادة الأنصاري وسهل بن حنيف ، وعبادة بن الصامت ، وحديثه مرسل ، وأصحها إسناداً حديث ابن عباس وأبي هريرة .

الهدم : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - البيايعين له : بل اندم الدم والهدم الهدم ، وقال ابن هشام : الهدم بفتح الدال . قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دى دمك وهدمى هدمك ، أى : ما هدمت من الدماء هدمته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد :

ثم الحق بهدمى ولدمى

فالدّم : جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدره : إذا ضربته . والهدم قال ابن هشام : الحرمة ، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم ، لأنهم كانوا أهل نجمة وارتحلوا ، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها ، والهدم بمعنى المهذوم كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهذوم عبارة عما حوى ، ثم قال : هدمى هدمك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظن وأدعك وأنشد يعقوب :

تمضى إذا زجرت عن سوءة فدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

النجباء : فصل : وذكر الاثنى عشر نقيباً ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى « وبعشنا منهم اثني عشر نقيباً » وقد سميتمنا أولئك بأسمائهم في كتاب التعريف والإعلام ، فليُنظر هنالك .

وروى عن الزهري أنه قال : قال النبي عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء : لا يغضبني أحدكم فإني أفعل ما أؤمر ، وجبريل عليه السلام إلى جنبه يشير إليهم واحداً بعد واحد ، وروى في المعيطى عن ابن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار ، قال مالك : وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلاً من قبيلة ، ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث ، وأن جبريل هو الذي ولاهم ، وأشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - بم .

صراخ الشيطان : وذكر أن الشيطان صرخ من رأس العقبة بأنفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع في الأمهات ، وأصلحناه عن القاضي أبي الوليد . بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى في حديث عمر مع الكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتاً ما سمعت أنفذ منه ، وفي الصحيح : أن الله تعالى يحشر الخلق يوم القيامة في صردح واحد ، فينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ، وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان في الأصل .

الجبابج : وقوله : بأهل الجبابج ، يعنى : منازل منى ، وأصله : أن الأوعية من الأدم كانزيبيل ونحوه يسمى : جبجبة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجبابج ، هذا أذب العقبة ، هذا ابن أذيب . قال ابن هشام : ويقال : ابن أذيب كذا تنقيد في هذا الموضع أذب العقبة وقال ابن ماكولا : أم كرز بنت الأذب بن عمرو بن بكيل من همدان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، لا يعرف الأذب في الأسماء إلا هذا وأذب العقبة ، وهو أمم شيطان ، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحد أذب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلاً طوله شبران على بردعة رحله فأخذ سوطه فأتاه ، فقال : ما أنت فقال أذب قال وما أذب ؟ قال : رجل من الجن ، فضربه على رأسه بعود السوط ، حتى باص ، أى هرب ، وقال يعقوب في الالفاظ الأذب : القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبي في الغريب ، فأنه أعلم أى اللفظين أصح ؟ وابن أذيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعلاً من الإذب أيضاً والأذب : البخيل ، وأذيب : اسم ريح من الرياح الأربع ، والأذب الفزع أيضاً ، والأذب : الرجل المتقارب المشي ، وهو على وزن أفعال ، قاله صاحب العين ، ويحتمل

أن يكون ابن أزيب من هذا أيضاً ، وأما البخيل فأزيب على وزن فعيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ : امرأة أزيبة ولو كان على وزن أفعال في المذكر لقليل في المؤنث زبها إلا أن فعيلاً في أبنية الأسماء عن زب ، وقد قالوا في ضهباء ، وهي التي لا تحيض عن النساء ، فعل جموا الهمنة زائدة وهي عندي فعيل لأن الهمنة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله تعالى (يضاهون) والضحياً من هذا لأنها تضاهى الرجل أى : تشبهه ويقال فيه : ضهباء بالمد ، فلا إشكال فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضاهيت بالياء ، وقد يجوز أن يكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلاً وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويح لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنى صرخ الشيطان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبو لبيني قد أئذركم ، فتنفروا .

تذكير فعيل وتأنيثها فصل : وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعله إلى جابر : قال : وكان عليه نعلان جديدان والنعل : مؤنثة ، ولكن لا يقال : جديدة في الفصيح من الكلام وإنما يقال : ملحفة جديد لأنها في معنى مجدودة أى مقطوعة فهي من باب كف خصيب ، وامرأة فتميل ، قال سيديويه : ومن قال جديدة ، فإنما أراد معنى حديثه ، أراد سيديويه أن حديثه بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء في المؤنث .

من معاني الطويل : وذكر قول سعد حين أسرته قريش : فأنا نرجل وضى شعشعاع . والشعشع والشعشعاني والشعشعان : الطويل من الرجال ، وكذلك السالمب والصقعب والشوقب والشرجن والخبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيره .

وقوله أوى إليه رجل أى رقه له ، يقال أوى إية مأوية .

وقوله فتنطس القوم الخبر أى أكرهوا البحث عنه ، والتنطس ، تدقيق النظر . قال رؤبة بن العجاج

وقد أكون عندها نقريسا طبا بأدواء النساء نطيسا

وذكر قول ضرار بن الخطاب :

وكان شفاء وتداركت منذرا

وضرار بن الخطاب : وضرار كان شاعر قريش وفارسها ، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبير بن قيس بن عدى ، وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالرباع ، وهو ربع الغنيمة ، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح .

قصيدة حسان : وذكر قول حسان يجيبه :

لست لى عمرو ولا المرء منذر إذ ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

يعنى بعمر و عمرو بن حنيس والد المنذر . يقول لست لى له ولا لى ابنه المنذر أى : أنت أقل من ذلك ، والمنذر ابن عمرو هذا يقال له : أعنق ليموت ، هو أحد النقباء كما ذكر ابن إسحاق في المواخاة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخى بينه ، وبين أبى ذر الغفارى ، وأنكر ذلك الواقدي محمد بن عمر ، وقال : إنما أخى بينه وبين طليب بن عمرو قال : وكيف يواخى بينه وبين أبى ذر ، والمواخاة كانت قبل بدر ، وأبو ذر كان إذ ذلك

قصة صنم عمرو بن الجحوح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو ابن الجحوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلبية ، وكان ابنه معاذ بن عمرو وشهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجحوح سيداً من سادات بني سلبية ، وشريفاً من أشرفهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب ، يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذها إلهاً تعظمه وتظهره ، فلما أسلم فتيان بني سلبية : معاذ بن جبل ، وابن عمه معاذ بن عمرو ، في فتیان منهم من أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيجملونه فيطرحونه في بعض حفرة بني سلبية ، وفيها عذر الناس ، منكسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزبته . فإذا أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويظهره ويطيبه ، ثم يغدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه ، استخرجوه من حيث ألقوه يوماً ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار سلبية ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجحوح فلم يجد في مكانه الذي كان به .

- إسلام عمرو وما قاله من الشعر : فخرج يتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكسا مقروءاً بكتبت ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه . فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلهاً لم تكن
أف للملك إلهاً مستدن
الحمد لله العلي ذى المن
هو الذى أنقذنى من قبل أن
أنت وكلب وسط بئر في قرن
الآن فتشناك عن سوء الغين
الواهب الرزاق ديان الدين
أكون في ظلمة قبر مرتين

بأحمد المهدي النبي المرتين

غائبا عن المدينة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » والمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس له غيره ، يرويه عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم ، وعبد المهيم ضعيف . وقول حسان :

ولانتك كالشاة التي كان حتفها
بحفر ذراعها ، من فلم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدينة وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر

وكان يجير الناس من سيف مالك
وكان كعز السوء قامت بظلفها
فأصبح يبغى نفسه من يجيرها
إلى مدينة تحت التراب تثيرها

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكان في بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : لحدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عباد بن الصامت وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب - وكان عباد من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء - على السمع والطاعة ، في عسرتنا ويسرنا ومشظتنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا تنازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

اسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس أسيد بن حمير بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرأ . وأبو الهيثم بن التيهان ، وأسمه مالك ، شهد بدرأ . ومعدة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء ابن عبد الأشهل ، شهد بدرأ ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زعوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بني حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة . وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن دهن بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، حليف لهم ، شهد بدرأ ونهير بن الهيثم ، من بني نابي بن مجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب ابن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدرأ ، فقتل به مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف ، وهو من بني غنم بن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم فينسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعه بن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدرآ . وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك - واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرآ ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ، ويقال : أمية بن البرك ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحاق : ومعن بن عدى بن الجند بن العجلان بن ضبيعة لهم من بلى شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه . وعويم ابن ساعدة ، شهد بدرآ والخندق . خمسة نفر .
فجميع من شهد العبة من الأوس أحد عشر رجلاً .

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن عبد بن عوف بن مالك بن النجار شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان . ومعاذ بن الحارث ابن رفاعه بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عفراء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدرآ وقتل به شهيداً ، وهو الذى قتل أباجهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء - ويقال : رفاعه بن الحارث بن سواد ، فيما قال ابن هشام - وعمارة بن حزم بن زيد بن لوزان ابن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار . شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وأسعد بن زرارة بن غنم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى ، وهو أبو أمامة . ستة نفر .

ومن بني عمرو بن مبذول - ومبذول : عامر بن مالك بن النجار : سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك ابن عمرو ، شهد بدرآ . رجل .

ومن بني عمرو ابن مالك بن النجار ، وهم بنو حديلة - قال ابن هشام : حديلة : بنت مالك بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج - أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ابن عدى بن عمرو بن مالك ، شهد بدرآ : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ، شهد بدرآ . رجلاً .

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن أبي صعصعة ، واسم أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن هوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، شهد بدرآ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو ابن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن . رجلاً . فجميع من شهد العبة من بني النجار أحد عشر رجلاً .

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزية بن عطية بن خنساء .

قال ابن إسحاق : وهن بلحارث بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزوج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرأ وقتل يوم أحد شهيداً . وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزوج بن الحارث ، شهد بدرأ وقتل يوم أحد شهيداً وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزوج ابن الحارث ، نقيب ، شهد بدرأ وأحدأ والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح وما بعده ، وقتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد ابن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزوج بن الحارث ، أبو النعمان بن بشير شهد بدرأ . وعبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه بن زيد بن الحارث بن الخزوج شهد بدرأ ، وهو الذي أرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزوج بن الحارث شهد بدرأ وأحدأ والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيداً ، طرح عليه رحى من أطم من أطامها فشدخته شدخاً شديداً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرن - إن له لأجر شهيدين . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحارث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنأ ، مات في أيام معاوية ، لم يشهد بدرأ . سبعة نفر .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزوج : زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، شهد بدرأ . وفروة بن عمرو بن وذقة بن عبيد ابن عامر بن بياضة ، شهد بدرأ . قال ابن هشام : ويقال وذقة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، شهد بدرأ . ثلاثة نفر .

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزوج : رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، نقيب : وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصاري ، شهد بدرأ وقتل يوم أحد شهيداً . وعباد بن قيس ابن عامر بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، شهد بدرأ : والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر ابن زريق ، وهو أبو خالد شهد بدرأ . أربعة نفر .

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزوج ، ثم من بني عبيد بن عدى ابن غم بن كعب بن سلمة . البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غم ، نقيب ، وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرأ وأحدأ والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سم فيها - وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأله بنو سلمة من سيدكم يا بني سلمة ؟ فقالوا : الجعد بن قيس ، على نخله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأي داء أكبر من البخل ! سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن

معرور . و سنان بن صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرآ ، وقتل يوم الخندق شهيدآ . ومقل بن المنذر بن مروح بن خناس بن عبيد ، شهد بدرآ .
ويزيد بن المنذر بن مروح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرآ ، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن
سنان بن عبيد . والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرآ ، وي زيد بن خدام أو ابن سبيع بن خنساء
ابن سنان بن عبيد . وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرآ .

قال ابن هشام : ويقال : جبار بن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرآ . أحد عشر رجلا . ومن
بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثم من بني كعب بن سواد : كعب مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب . رجل .
ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . وقطبة بن عامر
ابن حديده بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . وي زيد بن عامر بن حديدة بن غنم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدرآ .
وأبو اليسر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . وصيفى بن سواد بن عباد بن عمرو
ابن غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صيفى بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : ثعلبة بن غنمة بن عدى بن
نابي ، شهد بدرآ ، وقتل بالخندق شهيدآ . وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابي ، وعيش بن عامر بن عدى بن نابي ،
شهد بدرآ . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاة . وخالد بن عمرو بن عدى بن نابي . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عبد الله بن عمرو بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ،
شهد بدرآ ، وقتل يوم أحد ، شهيدآ ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذ بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام ،
شهد بدرآ . وثابت بن الجذع - والجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام - شهد بدرآ ، وقتل بالطائف شهيدآ .
وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدرآ . قال ابن هشام : عمير بن الحارث بن لبدة
ابن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرافر حليف لهم من بني ومعاذ بن جبل بن عمرو
ابن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن أدى بن سعد بن على بن أسد ، ويقال أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن
الخرج ، وكان في بني سلمة شهد بدرآ ، والمشاهد كلها ومات بعمواس ، عام الطاعون بالشام ، في خلافة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجند بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان
ابن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى ابن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بني عوف بن الخرج ، ثم من بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخرج : عبادة
ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرآ والمشاهد كلها

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .
قال ابن إسحاق : والعباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن
خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى وقتل
يوم أحد شهيداً . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزامة بن أصرم بن عمرو بن عمار ، حليف لهم من بنى
غصينة من بلى . وعمرو بن الحارث بن لبد بن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القوافل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحبلى - قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف
ولأماسمى : الحبلى - لعظم بطنه : رفاع بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرآ ،
وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاع : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن جشم بن مالك
ابن سالم .

قال ابن إسحاق : وعقبة بن وهب بن كلفة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدى بن جشم بن
عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدرآ ، وكان ممن خرج إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة
ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوزان بن عبد ود
ابن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرآ وأحدآ ، وقتل يوم بدر معونة أميراً لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن إسحاق : لجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم ، بزعمون
أنهما قد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصفح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال :
اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجار : نسبية بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن ، وهى
أم عمار ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن
عاصم بن كعب ، وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ، وابنها حبيب الذى أخذه مسيلة الكذاب الحنفى ،
صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أفأشهد أنى رسول الله ؟
فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لا يزيد على ذلك ، إذا ذكر له رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مسيلة قال لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت
الحرب بنفسها - حتى قتل الله مسيلة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ، من بين طعنه وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة .
ومن بنى سلة : أم منيع ، واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابت بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطليبي : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوفن له في الحرب ولم تحمل له الدماء إنما يؤمر بالداء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من السكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار من ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى وأذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق لإلا أنه يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرون الله من ينصروه ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور ، أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعني النبي - صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة : أي : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون الدين لله ، أي حتى يعبد الله لا يعبد منه غيره .

الأذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب وبإيعة هذا الحى من الانتصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من بني مخزوم . أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يقود بي بعيره ، فلما رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة .

فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسبى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، قرأى ما بي فرحمي فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي : الحق بزوجك إن شئت . قالت : ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحد من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو مامعك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبني هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخظام البعير ، فانطلق معي يهوى بي ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تمنى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الروح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبي . فاذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخظامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمت المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبنا قط . كان أكرم من عثمان بن طلحة .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب معه امرأته ليل بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلا ضيرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب . وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ففلقت دار بني جحش هجرة ، فر بها عتبة بن ربيعة . والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالردم ، وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عقبة بن ربيعة تخفق أبوابها يباباً ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ، ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتها
يوما ستدركها النكباء والحبوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادى فى قصيدة له . والحبوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال هتبه : أصبحت : دار بني جحش خلاء من أهلها ! فقال أبو جهل : وما تيكي عليه من قل بن قل .

قال ابن هشام القتل : الواحد . قال لبيد بن ربيعة :

كل بنى حرة مصيرهم
قل وإن أكثرت من العدد

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبى سلمة بن عبد الأسد ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه أبى أحمد بن جحش ، على مبشر بن عبد المنذر ابن زبير بقاء ، فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون لإرسالا ، وكان بنو غنم بن دودان أهل لإسلام ، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالمهم ونساؤهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبى أحمد بن جحش ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ، أبنا وهب ، وأربد بن حميرة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة .

قال ابن إسحاق : ومنقذ بن نباته ، وسعيد بن رقيش ، وحرز بن فضلة ، ويزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيعه بن أكرم ، وانزبير بن عبيد وتمام بن عبيدة ، وسخيرة بن عبيدة ، ومحمد بن جحش .

ومن نساءهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخيرة بنت تميم ، وحمنة بنت جحش .

وقال أبى أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بنى أسد ابن خزيمه من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم فى ذلك حين دعوا إلى الهجرة :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد
لنحن الالى كنا بها ، ثم لم نزل
بها خيمت غنم ابن دودان وابتنت
إلى الله تغدو بين مشى وواحد

ومروتها بالله برت يمينها
بمكة حتى عاد غثا سمينا
وما إن غدت غنم وخف قطينها
ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبى أحمد بن جحش أيضا :

لما رأتنى أم أحمد غاديا
تقول : فأما كنت لا بد فاعلا
فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهننا
إلى الله وجهى والرسول ومن يقم
فكم قد تركنا من حيم مناصح
ترى أن وترأ ناينا عن بلادنا
دعوت بنى غنم لحقن دماهم
أجابوا بحمد الله لما دعاهم
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
كفوجين : أما منهدا ففوق
طغوا وتمنوا كذبة وأزطم
ورعنا إلى قول النبي محمد
نمت بأرحام لايهم قريبة
فأى ابن أخت بعدنا يامننكم
ستعلم يوما أيننا إذ تزيلوا

بذمة من أخشى بغيب وأرهب
فيمم بنا أبلدان ولتنا يثرب
وما يشاء الرحمن فالعبد يركب
إلى الله يوما وجهه لا يخيب
وناصحة تبسكى بدمع وتندب
ونحن نرى أن الرغائب نطلب
وللحق لما لاح للناس ما حجب
إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
على الحق مهدى ، وفوج معذب
عن الحق لإبليس نخابوا وخيبوا
فظاب ولالة الحق منا وطيبوا
ولا قرب بالأرحام إذ لا نقرب
وأية صهر بعد صهرى ترقب
وزيل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن هشام : قوله « ولتنا يثرب » ، وقوله « إذلا تقرب » ، عن غير ابن إسحاق قال ابن هشام : يريد بقوله : « إذ ، إذا ، كقول الله عز وجل : « إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » قال أبو النجم العجلي : ثم جزاه الله عنا إذ جرى جنات عدن في العلالى والبالا

اسلام عمرو بن الجموح وصنمه

فصل في إسلام عمرو بن الجموح : وذكر صنمه الذي كان يعبده ، واسمه مناة ، وزنه فعله من منبت الدم وغيره إذا صببته ، لأن الدماء كانت تمنى عنده تقربا إليه ، ومنه سميت الأصنام الدمى ، وفي الحديث : لاوالدى لا أرى بما تقول بأسا ، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقديد والحظ من هذا المطالع ما في قوله تعالى « ومناة الثالثة الأخرى » ، من الفائدة جعلها ثلاثة اللات والعزى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وذيره من قومه ، فهما منانان ، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبها .

الآن فتشناك عن سوء الغبن

وقوله :

الغبن في الرأى يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه ، فنصبوا ، لأن المعنى : خسر نفسه ، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا .

وقوله لها مستدن ، من السدانة ، وهى خدمة البيت وتعظيمه .

وقوله ديان الدين : الدين جمع دينه ، وهى العادة ، ويقال لها دين أيضا ، وقال ابن الطبرية ، واسمه يزيد :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمى بينهم حين أوخشوا فما صار لى فى القسم إلا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان أى هو ديان أهل الأديان ، وليسكن جمعها على الدين ، لأنها مال ونخل ، كما قالوا فى جمع : الحرة : حرائر ، لاهن فى معنى الكرائم والعقائل ، وكذلك مرائر الشجر : وإن كانت الواحدة مرة ، ولسكنها فى معنى فميلة : لأنها عسيرة فى الذوق ، وشديدة على الأكل ، وكرهية إليه .

تسمية بعض من شاهد العقبة : فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حضر العقبة ، وذكر أنسابهم إلا أبا الهيثم بن التيهان ، وقد ذكرنا اسمه واسم أبيه ، وما قيل فى نسبه فى ذكر العقبة الأولى .

وذكر قطبة بن عامر ، والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب ، وهى شوكة مدرجة فيها ثلاث شويكات ، وهى تشبه حسك السعدان ، وقد بان بنعت أبي حنيفة له أنه الذى نسميه ببلادنا حمص الأمير . والقطبة : طرف النصل .

وذكر ذكوان بن عبد قيس ، ونسبه إلى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن راحة بن غضب بن جشم ، والغضب فى اللغة : الشديد الحرارة ، وجشم معدول عن جاشم ، وهو من جشمت الأمر كما عدلوا عمر عن عامر وقد أملىنا جزءا فى أسرار ما ينصرف ، ومالا ينصرف شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فعل ، وما حقيقة العدل والمقصود به ، ولم لم يعدل عن أسماء الاجناس ، ولم لم يكن من الصفات إلا فى مثل عامر

وزافر وقائم ، ولم يكن في مالك وصالح وسالم ، ولم خص فعل هذا البناء بالعدل لإليه ، وهل عدل إلى بناء غيره أم لا ولم منع الخفض والتنوين إذا كان معدولا إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسماء فليُنظرها هنالك ، فإن ابن جنى قد حام في كتاب الخصائص على بعضها ، فما ورد ، وصاصاً فما فتح .

وذكر في بني بياضة عمرو بن وذقة بذال معجمة . وقال ابن هشام : ودقة بدال مهملة : وهو الأصح ، والودقة : الروضة الناعمة سميت بذلك ، لأنها تظفر ماء من نعمتها ، والأداف الذكر وأصله : وداف سمي بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه ، ويقال للروضة الناعمة : الدفري ، وعمرو بن وذقة هذا هو البياضي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة ، ولم يسمه ، وفي الأنصار بنو النجار ، وهم تيم الله بن ثعلبة ، سمي النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدم وقيل : كان نجاراً ، وثلعة في العرب كثير في الرجال ، وقيل ما يسمون بثعلب ، وإن كان ذلك هو القياس كما يسمون بتمر وسبع وذئب ، والسكن الثعلب اسم مشترك ، إذ يقال ثعلب الرمح ، وثلعب الحوض ، وهو مخرج الماء منه ، وفي الحديث حتى قام أو لبابة يسد ثعلب مر بده بردائه ، فكانهم عدلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثعلبة أسمى لأدراصها وأغبر على أجزائها من الثعلب .

وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنى سلة من سيدكم ؟ فقالوا جد بن قيس على بخل فيه ، فقال : وأى داء أكبر من البخل ؟ بل سيدكم الأبييض الجعد : بشر بن البراء ، وروى عن الزهري وعامر الشعبي أنها قالا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام : بل سيدكم عمرو بن الجموح ، وقال شاعر الأنصار في ذلك :

وقال رسول الله ، والحق قوله لمن قال منا من تعدون سيدا

فقالوا له : جد بن قيس على التي نبخله فيها ، وما كان أسودا

فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو عندنا أن يسودا

فصل : وذكر خديج بن سلامة البلوي ، وهو : خديج بنخاء منقولة مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطني وغيره ، وذكره الطبري ، وقال : شهد بدرًا ، وقال يكنى أبا رشيد :

وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أدى بن سعد بن علي أخى سلة ، وقد انفرض عقب أدى ، وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل ، وقد يقال في أدى أيضا : أذن في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن معاذ بن جبل مات في طاعون عمواس ، هكذا تقييد في النسخة عمواس بسكون الميم ، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع : عمواس بفتح الميم والعين ، وهي قرية بالشام عرف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل : إنما سمي : طاعون عمواس لأنه عم وآسى أى جعل بعض الناس أسوة بعض .

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبي ، وقال الطبري فيه خزيمة بتحريك الزاي ، وهو بلوى من بني عمار بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عمار في العرب إلا هذا ، كما لا يعرف عمار بكمس العين إلا أنى بن عمار الذي يروي حديثا في المسح على الخفين ، وقد قيل فيه عمار بضم العين ، وأما سوى هذين فعمار بالضم ، غير أن الدارقطني ذكر عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي في نسب قضاة : قال مدرك بن عبد الله القمقام بن عمار بن زويد بن مالك . وفي النساء عمار بنت نافع ، وهي أم محمد ابن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفي الأنصار خزيمة سوى هذا المذكور بفتح الزاي كثير .

وذكر بنى الحبلى والنسب إليه حبلى بضم الحاء والباء قاله سيويوه على غير قياس النسب ، وتوهم بعض ألف في العربية أن سيويوه قال فيه : حبلى بفتح الباء لما ذكره مع جذمى في النسب إلى جذيمة ولم يذكره سيويوه معه ، لأنه على وزنه ، ولكن لأنه شاذ مثله في القياس الذى ذكرناه عن سيويوه من تقييده بالضم ، ذكره أبو نوح القالى في البارح ، وقال هكذا تقييد في النسخ الصحيحة من سيويوه ، وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحبلى بضمين ، لا يختلفون في ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيويوه أنه بفتح الباء .

هجرة أم سلمة وعثمان بن أبي طلحة : فصل : وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طانة لها ، ومرومئذ على كفره ، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، وقتل يوم أحد لإخوته مسافع ، وكلاب والحارث ، وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرأ ويده كان مفاتيح الكعبة ودفنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شيبه بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بنى شيبه حجة الكعبة ، واسم أبي طلحة جدم : عبد الله بن عبد العزيز وقتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر .

هجرة بنى جحش : وذكر هجرة بنى جحش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوه عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزات فيه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجها كها ، وأم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوز وحمته بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت تستحاض أيضا ، وقد روى أن زينب استحيضت . أيضا ، ووقع في الموطن أن زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد ، والغلط لا يسلم بشر منه ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاش أخبرنى أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطن وهم ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : برة فسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيته عليه السلام ، كان اسمها برة ، فسمها زينب كأنه كره أن يركب المرأة نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رباب : برة بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو غيرت اسم أنى ، فإن البرة صغيرة ، فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لو أريدت مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكنى سميته جحش والجحش أكبر من البرة . وذكر هذا الحديث مستنداً في كتاب المؤلف والمختار أبو الحسن الدار قطنى .

الشعر الذى تمثل به ، أبو سفيان : فصل : ذكر البيت الذى تمثل به أبو سفيان حين مر بدار بنى جحش تخلف أبوها ، وهو قوله :

وكل بيت وإن طال سلامته يوما ستدركه النكباء والحوب
كل امرئ بقاء الموت مرتين كأنه غرض للوت منصوب

والشعر لأبي دؤاد الإيادى واسمه : حنظلة بن شرفى ، وقيل جارية بن الحجاج دار بنى جحش ، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالردم ؛ والردم حفر ردم بالقتلى في الجاهلية ، فسمى : الردم ؛ وذلك في حرب كانت بين

بن جمع ، وبين بنى الحارث بن فهر ، وكانت الدبرة فيها على بنى الحارث ، ولذلك قال عددهم ، فهم أقل فريش عدداً .
وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جحش وفيه :

إلى الله وجمي والرسول ومن يقيم إلى الله يوماً وجهه لا ينجب

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء ، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره : فلا ينجب
بإختار الفاء في مذهب أبي العباس ، وفي مذهب سيويه : يجوز أيضاً لا على إختار أثناء ، ولكن على نية
التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا :

إنك إن يصرع أخوك تصرع

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إنك تصرع إن يصرع أخوك . وأنشدوا أيضاً :

من يفعل الحسنات الله يشكره

على هذا التقدير ، وفي الصعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا
مع حرف النفي ، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه : « إذ يقول المنافقون ، ولو قلت : سأتيك إذا تقول كذا ،
كان قبيحاً إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما في إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ
الماضي ، يقول : سأتيك إن قام زيد ، ويقبح : سأتيك إن يقيم زيد ، لأن حرف الشرط إذا أخر المضي ، وإذا ألغى
ينفع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه « ينطق كيف يشاء ، وينطقه في الشاء كيف
يشاء ، لسر بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لشفرتنا محزناً ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد القسم كقوله تعالى :
« والليل إذا يسرى ، لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثاني : أن إذ بمعنى إذا غير معروف في
الكلام ، ولا حكاية مثبت ، وما استشهد به من قول ربيعة ليس على ما ظن إنما معناه : ثم جزاء الله ربى إن جرى ،
أي من أجل أن نفعي وجزى هني ، كما قال تعالى : « يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ، ففأعجز جزى : مضمر هاند
على الرجل المدوح ، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيويه في سواد الكتاب ، وشهد له قوله سبحانه : « بعد
إذا أنتم مسلمون ، وعليه يعمل قوله سبحانه « وإن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ، وغفل النسوي عما في الكتاب من هذا ،
وجعل الفعل المستقبل الذي بعد إن عاملاً في الظرف الماضي ، فصار بمنزلة من يقول : سأتيك اليوم أمس ، وهذا
مراء من القول ، وغفلة عما في كتاب سيويه ، وليت شعري ما يقول في قوله سبحانه : « وإذا لم يهدوا به
فيقولون : هذا إلفك قديم ، فإن جوز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد . فكيف يمكن ما بعد
الفاء فيما قبلها لاسيما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سأتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسأتيك . فكيف إن
زدت على هذا وقلت : أمس فسأتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمس ، فهذا فضائح لاضاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه في قوله سبحانه « ولو ترى إذ وقفوا ، وكذلك : « ولو ترى إذ تخرمون
ناكسوا رؤسهم ، أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطي الاستقبال ؟ .

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر . وقد قال سبحانه : « إذ أمرمون

ناكسور وسهم ، وإنما التقدير : ولو ترى ندمهم وحزنهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذا ظرف ماض على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد المعايمة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضياً بالإضافة إلى ما بعده ، والذي بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو ما يتوهم في قوله سبحانه : وفانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ، فيتوهم أن إذا هاهنا بمعنى إذ ، لأنه حديث قد مضى ، وليس كما يتوهم ، بل هي على بابها ، والفعل بعدها مستقبل بالإضافة إلى الانطلاق ، لأنه بعده ، والانطلاق قبله ، ولولا حتى ، ماجاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركبا ، ولكن معنى الغاية في حتى دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق وإذا كان بعده ، فهو مستقبل بالإضافة إليه ، وكذلك مسألتنا الحزن ، وسوء الحال الذي هو مفعول لترى ، وإن كان غير مذكور في اللفظ ، فهو بعد وقت الوقوف ، فوق الوقوف ماض بالإضافة إليه ، وإذ لم يكن بد من حذف ، فكذلك نقدر حذفاً في قوله تعالى : « وإذ لم يهتدوا به » ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن ، فلا بد لها من تعلق ، كأنه قال : جزيتم بهذا من أجل أن ظلمتم ، أو من أجل أن لم يهتدوا به ضلوا .

جدامة - من نساء بني جحش : وذكر في نساء بني جحش : جدامة بنت جندل ، وأحسبه أراد جدامة بنت وهب بن محصن ، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ ، وقال فيها خنف بن هشام البزار : جدامة بالدال المنقوطة هكذا ذكر عنه مسلم بن الحجاج والمعروف : جدامة بالدال ، وقد يقال فيها جدامة بالتشديد ، والجدامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحاق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبي عمر الزاهد المطرز قال : الجدامة : بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة ، وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري وأما جدامة بنت جندل ، فلا تعرف في آل جحش الأسديين ، ولا في غيرهم ، ولعله وهم وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة بن محصن ، كما قدمنا والله أعلم .

ثقف بن عمرو : وذكر في بني أسد ثقف بن عمرو ، ويقال فيه : ثفاف شهد هو وأخوه مدلاج بدرًا وقتل يوم أحد شهيداً وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي

أم حبيب بنت ثمامة : وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة ، وهي بما أخفله أبو عمرو في كتابه ، وأخفله أيضاً ذكر ثمام بن عبيدة ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد .
أربد بن جميرة : وذكر ابن إسحاق في هذه الجملة أربد بن جميرة الأسدي بالجيم ، وقاله ابن هشام : حميرة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكائي وابن هشام ، فقال فيه ابن حمير بتشديد الباء ، كأنه تصغير حمار .

عمر بن فضلة : وذكر فيهم عمر بن فضلة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن فضلة بن عبد الله بن مرة بن غنم بن دودان بن أسد قتل في غزوة ذي قرد شهيداً ، وكان قد شهد بدرًا ، وكان يعرف بالأخرم ، ويلقب : فهيرة ، وقال فيه موسى بن عقبة عمر بن وهب ، ولم يقل ابن فضلة .

يزيد بن رقيش : وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رقيش ، وبعضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ، وهو ابن رثاب بن يعمر بن كبير بن غنم بن دودان وذكر فيهم ربيعة بن أكم ، ولم ينسبه وهو ابن سنخيرة بن عمرو بن نفير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيراً دحداً قتل يوم خيبر بالنظاة قتله الحارث اليهودي .

هجرة عمر عياش

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال . اتعدت ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب من أضاة بنى غفار ، فوق سرف ، وقلنا : أينما لم يصبح عندهما فقد حبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام ، وفتن فافتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقاء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماهم وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك : ففرق لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتتوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت : قال : أبر قسم أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى على إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك ، قال : قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب ، فانج عليها . فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، والله لقد استغلظت بعيرى هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى : قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استروا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً ، ثم قالوا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاكم ، كما فعلنا بسفهيئنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكنا نقول : ما الله بقابل من افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسنا : « قل يا عبادة الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنبيوا إلى ربكم وأسلبوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . »

قال عمر بن الخطاب . فكاتبها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال : فقال هشام بن العاصي : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى ، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فالحقت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة .

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام : قال ابن هشام : فحدثني من أتق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ، وهو بالمدينة : من لى بعباس بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله هما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفياً ، فلقى امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها : أين تريدان يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - تهنئهما - فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لاسقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروة فوضعهما تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعها فكان يقال لسيفه : ذو المروة . لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساقهما ، ففتر قدميت أصبعه ، فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم هما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : وزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سراقه بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي - وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وواقف بن عبدالله التميمي ، حليف لهم ، وخولى بن أبي خولى ، ومالك بن أبي خولى حليقان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى من بنى عجل بن لجم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البكير أربعمتهم : إياس بن البكير ، وعافل ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وغالد ابن البكير ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، على رفاعة بن المنذر بن زنبر ، في بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث ابن الخزرج بالسنع . قال ابن هشام : ويقال : يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق . ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صلوكا حقيراً ، فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم . قال : فإني جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ربيع صهيب ربيع صهيب .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنان بن حصن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حصين - وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وأنة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقباء . ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيشمة ، ويقال . بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار . كل ذلك يقال .

ونزل عميدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ، ومسطح بن أثامه بن عباد بن المطلب ؛ وسويبط بن سعد بن حرملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطاييب بن عمير ، أخو بنى

عبد بن قصي ، وخباب مولى عتبة بن غزوان ، على عبد الله بن سامة ، أخى بلعجلان بقاء .
ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلعارت بن الحزرج ، في دار بلعارت بن الحزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، على منذر بن محمد بن غنبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة ، دار بنى جحجي .

ونزل مصعب بن عمير بن هاشم ، أخو بنتى عبد امدار على سعد بن معاذ بن النعمان . أخى بنى عبد الأشهل ، في دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن حذيفة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي عتبة سائبة ، لثيثة (أو نيتة) بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سيته فاقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فبناه ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة ويقال : كانت ثميثة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الأشهل في دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن ثابت في دار بنى النجار . فذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل .

وكان يقال : نزل الاعزاب من المهاجرين على سعد بن خيصة ، وذلك أنه كان عزبا ، فانه أعلم أى ذلك كان .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يخلفه به بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو قن ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قريش تتشاور في أمره عليه السلام : قال ابن إسحاق : ولما رأيت قريش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صارت له شبيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة - وهى دار قصي بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين خافوه .

قال ابن إسحاق ، فحدثني من لأتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح . عن مجاهد بن جبر أنى الخواج ، وغيره من لأتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، وانعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدوا في اليوم الذى انددوا له ، وكان ذلك اليوم

يسمى يوم الرحمة ، فاعترضهم لإبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بتلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا ، قالوا : أجل ، فأدخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش ، من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كعدة . ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البختری بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطاب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بني جمح : أمية بن خلف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والناطقة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدي لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يتبوا عليكم ، فيزعه من أيديكم ، ثم يكأروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتهم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فندترج منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

استخلافه لعل : فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيأتون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعل بن أبى طالب : نم على فراشى وتسبح ببردى هذا الحضرمى الاخضر ، فتم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تسكره منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرطبي قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تنزلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من ديس ه والقرآن الحكيم ه إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم ، . . . وإلى قوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم أت بمن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمد ، قال : خبيكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ؛ وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون ، فيرون عليا على الفراش متسجياً ببرد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فيقولون والله إن هذا لمحمد نائماً ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على - رضى الله عنه - عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

ما نزل في تربص المشركين بالنبي : قال ابن إسحاق : وكان لما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » ، وقول الله عز وجل : « أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين » .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها . قال أبو ذؤيب الهذلي :

أمن المنون وربها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة .

أبو بكر يطمع في الصحابة : قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلاً ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله يجمع لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين فاحتسبهما في داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

حديث الهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عنى من عندك : فقال : يا رسول الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصحبة يا رسول الله ، قال الصحبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي

يومئذ ، ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بني الدليل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركا - يدلهما على الطريق ، فدفعما إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما للمعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغني ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد . حين خرج ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التي كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

في الغار : قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوذة لآبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لها ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى في الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

من قام بشأن الرسول في الغار : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر رضى الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعنى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما بسفرتهم ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفر ، فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجمله عصاما ، ثم هلقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاقين : فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفر شقت نطاقهما باثنين ، فعلمت السفر بواحد ، وانتظمت بالآخر .

راحلة الرسول : قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فذاك أبي وأمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاني لا أركب بغير أليس لي ، قال : فبني لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاة خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء : قال ابن إسحاق : حدثت أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالتوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثاً ، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى .

الجنى الذي تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم : قالت : ثم انصرفوا . فكنا ثلاث ليال ، وما ندري أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للؤمنين بمرصد

نسب أم معبد : قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بني كعب ، من خزاعة وقوله « حلا خيمتي » و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، و عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أريقط .

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة : قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدي أبو حنيفة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله لاني لأراه قد فجحكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! لأنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقالت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سراقة بن مالك : قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جهم حدثه ، عن أبيه ،

عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينما أنا جالس في نادى قومي إذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفاً ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني أن اسكت ثم قلت قليلاً ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لهـله : ثم سكت . قال ثم مكثت ثم قلت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسى ، فقيدت لي إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لامتى ثم أخرجت قداحى ، فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره ، قال : وكنت أرجو أن أكرهه على قريش ، فأخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره . قال : فأبيت إلا أن أتبعه . قال : فركبت فى أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره ، قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى أثره . فلما بدا لى القوم ورأيتهم ، عثر بى فرسى ، فذهبت يدها فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر . قال : فنناديت القوم : فقلت : أنا سراقة بن جعشم : انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتىكم من شىء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآبى بكر : قل له : وما تبغى منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : فقلت : تسكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لى كتاباً فى عظم ، أو فى رقعة ، أو فى خزفة ، ثم ألقاه لى ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتي ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لآلقاه ، فلقيته بالجرارة . قال : فدخلت فى كتبية من خيل الأنصار : قال : فجعلوا يقرعونى بالرماح ويقولون : لى لى ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لى لى لى أنظر لى سافه فى غرزه كأنها جمارة . قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لى ، أنا سراقة بن جعشم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ، أدنه . قال : فدنوت منه ، فأسألت . ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تمشى حياضى ، وقد ملأها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كل ذات كبد حرى أجر . قال : ثم رجعت لى قومي ، فسقت لى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى . قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .

هجرة عمر وعياش : ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر ، تألفه الجرباء . قال الشاعر :

لانى أتبع له حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا بمسكا سافا

ويقال لثره الممتع وهو فنعلا أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبيويه : أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقويه أن مثله الهندلح ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القسي كما تتخذ من النبع والشوط والشريان والسراء والأشكال ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

وقال الجعدي :

كان الغبار الذي غادرت ضحيا دواخن من تنضب

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه . وقال آخر :

وهل أشهدن خيلا كان غبارها بأسفل عاكسد دواخن تنضب

وأضائة بنى غفار على عشرة أميال من مكة ، والأضائة الغدير ، كأنها مقلوب من وضائة على وزن فعلة ، واشتقاقه من الوضائة بالمد وهي النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأضائة أضواء وقال النابغة :

علين بكديون وأبطن كرة وهن إضاء صافيات الغلائل

وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة في وضاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لا تمزج ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ، ويقال أضواء بالمد ، وقد يجمع أضائة على إضين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

محافر كآسرية الإضينا

الآسرية : جمع سري ، وهو الجدول ، ويقال له أيضا : السعيد .

قل يا عبادى الذين أسرفوا : فصل : وذكر نزول الآية : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، الآية فى المستضعفين بمكة ، وقول هشام بن العاص ، ففما جأنى وأنا بذى طوى . طوى : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكة ، تنتظره بذى طوى ، وأنهم قالوا له : يا آدم مازلنا ننتظرك ها هنا منذ ألفى سنة ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذى طوى ، وأما ذو طواء بالمد ، فوضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكرى ، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور فى التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادى المقدس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التقديس ، أى : المقدس مرتين .

نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف : فصل : وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عنبه ، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما فى قول الواقدي بل تأخر لإسلامه ، حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، قال خبيب : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ، وقتلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهداً لأنشهدده معهم ، فقال : أسلتما ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإننا لا نستعين بمشرك .

وخبيب هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق ، واسمها : حبيبة ، وهى التى يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جاراية وهى : بنت خارجة بن أبى زهير ، والجاراية : أم كلثوم بنت أبى بكر ، مات خبيب فى خلافة عثمان ، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن ، الذى يروى عنه مالك فى موطنه .

أنسة وأبو كبشة : وذكر أنسة وأبا كبشة فى الذين نزلوا على كلثوم بن الهدم ، فأما أنسة مولى رسول الله -

صلى الله عليه وسلم ، فهو من مولدى السراة ، ويكنى : أبا مسروح ، وقيل : أبا مشرح شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات في خلافة أبي بكر ، وأبو كبشة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مولدى أرض دوس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات في خلافة عمر في اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير ، وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبى كبشة وفعل ابن أبى كبشة فقيل فيه أقوال : قيل : لأنها كنية أبيه لأموهب بن عبد مناف ، وقيل : كنية أبيه من الرضاة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد ، وأشهر من هذه الأفعال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه .

وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى المؤلف والمختلف ، فقال : اسمه وجز بن غالب ، وهو خزاعى ، وهو من بنى غبشان .

نزولهم بقباء : وذكر نزولهم بقباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة ، وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ، ويصرف ولا يصرف ، وأنشد أبو حاتم فى صرفه :

ولا بغيضكم قبا وعوارضاً ولا قبلن الخيل لابة ضرغداً

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قبا بضم القاف الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيبويه : قناً وعوارضاً ، لأن قناً جبل عند عوارض يقال له ، ولجبل آخر معه قنوان وبينها وبين قباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قباء الذى عند المدينة مع عوارض وقنوين ، وكذا قال البكرى فى معجم ما استعجم وأنشد :

كانها لما بدا عوارض والليل بين قنوين رابض

وقباء : مأخوذ من القبو ، وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة ، وقال : القوايى هن اللوانى يجمعن العصفير واحدهن : قايبة . قال : وأهل العربية بسمون الضمة من الحركات قبواً ، وأما أفولهم : لا والذى أخرج قوباً من قايبة يعنون : الفرخ من البيضة فن قال فيه : قايبة بتقديم الباء ، فهو القبو الذى يقدم ، ومن قال فيه : قايبة ، فهو من لفظ القوب لأنها تتقوب عنه ، أى تتقشر قال الكهيت يصف النساء :

لهن وللمشيب ومن علاه من الأمثال قايبة وقوب

وفى حديث عمر : فكانت قايبة قوب عامها ، يعنى : العمرة فى أشهر الحج ، وقد ذكر أن قباء اسم بئر عرفت القرية بها .

سالم مولى أبى حذيفة : فصل : وذكر سالم مولى أبى حذيفة الذى كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا ، وكان سائبة أى : لاولاء عليه لأحد ، وذكر المرأة التى أعتقته سائبة ، وهى ثيبثة بنت يعار ، وقد قيل فى اسمها بثينة ذكره أبو عمر ، وذكر عن الزهرى أنه كان يقول فيها : بنت تعار وقال ابن شيبه فى المعارف : اسمها سلمى ويقال فى اسمها أيضاً : عمرة ، وقد أبطل التسييب فى العتق كثير من العلماء ، وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك وجماله على العموم ، ولما روى أيضاً عن مسعود أنه قال : لاسائبة فى الإسلام ، ورأى مالك ميراث السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سببه ، فكان

للتسبب والعق عنده حكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلة بنت سهيل أن ترضعه ليحرم عليها ، فأرضعته وهو ذو لحية .

فإن قيل : كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى في ذلك أنها حلبت له في مسعط وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

قريش تتشاور في أمر النبي : ذكر فيه تمثل إبليس - حين أتاهم - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد . قوله في صورة شيخ جليل يقول : جل الرجل وجلت المرأة إذا أسنت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عزت وجلت

ويقال منه : جللت يارجل بفتح اللام ، وقياسه جللت لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استئقالاته مع التضعيف إلا في لبنت ، فأنت لبين ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل .

ولما قال لهم : إني من أهل نجد فما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدى ، وقد ذكرنا في خبر بذيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدى أيضاً ، حين حكما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الركن : من يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامعشر قريش : أقدر رضيتم أن يليه هذه الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبر فبعض آخر تمثل بنجديا ، وذلك أن نجاها منها بطلع قرن الشيطان ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قيل له : وفي نجدنا يارسول الله ؟ قال : هنالك ارتلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان ، فلم يبارك عليها ، كما برك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وفي حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقال ، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة فهم من الإشارة واختم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صواحب الحجر . والله أعلم .

وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضهم أشار بأن يحبس في بيت ، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ، ولم يسم قائل هذا القول ، وقال ابن سلام ، الذي أشار بحبسه هو أبو البحترى ابن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الاسود ربيعة بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤي ، وقول أبي جهل نسيباً وسيطاً ، هو من السطة في العشيرة ، وقد تقدم في باب تزويجه خديجة معنى الوسيط ، وأين يكون مدحا .

وأما قوله على بابه يتطلعون ، فيرون عليا وعليه برذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنون له إياه . فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا ، فذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقمح عليه في الدار مع قصر الجدار ، وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسببة في العرب أن يتحدث عنا أناتسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذي أفاهمهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج ، وفي قراءة الآيات الأولى من سورة : يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام ، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكره فضل يس أنها إن قرأها خائف أمن ، أو جائع شبع أو عار كسى ، أو عاطش سقى حتى ذكر خلافا كثيرة .

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك ، وشرح ابن هشام ريب المنون ، وأنشد قول أبي ذؤيب :

أمن المنون وريبه تتفجع

والمنون يذكر ويؤنث ، فمن جعلها عبارة عن المنية أو حوادث الدهر أنك ، ومن جعلها عبارة عن الدهر ذكر ، وريب المنون ما يريبك من تغير الأحوال فيه ، سميت المنون لنزعها ممن الأشياء أى : قواها ، وقيل : بل سميت ممنونا لقطعها دون الآمال من قولهم : جبل منين أى : مقطوع ، وفي التنزيل قوله تعالى : فلم أجر غير ممنون ، أى غير مقطوع .

الأذن للنبي بالهجرة : ذكر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى بيت أبي بكر في الظهيرة : قالت عائشة : وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخوج من معك ، فقاوا أبو بكر : إنما هما بنتاي يارسول الله . وقال في جامع البخارى : إنما هم أهلك يا رسول الله ، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، ويقال في اسم أبيها : رومان بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة ، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أريقط ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشتروا بها ظفراً بقديد ، ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة ، وبفاطمة وأم كلثوم . قالت عائشة : وخرجت أمى معهم ومع طامحة بن عبيد الله مصطحبين ، فلما كنا بقديد نفر البعير الذى كنت عليه أنا وأمى : أم رومان في مخفة ، فجملت أمى تنادى : وابنتاه واعروساه !! وفي رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول -- ولا أرى أحداً - ألقى خطامه ، فألقىته من يدي ، فقام البعير يستدير به : كأن إنساناً تحته يسكه ، حتى هبط البعير من الثنية ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو بينى المسجد وأبياتاه ، فنزلت مع أبي بكر ، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تبنى بأهلك يارسول الله ، فقال لولا الصداق ، قالت : فدفع إليه ثنتي عشرة أوقية : ونشأ ، والنش : عشرون درهماً ذكرت الحديث . ورواه ابن الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة .

راحلة ، صلى الله عليه وسلم : وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راكبتين ، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهى أفضلهما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر : هو لك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثن ، فقال أبو بكر : بالثن يارسول الله فركبها ، فستل بعض أهل العلم . لم لم يقبلها إلا بالثن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أمن على فى أهل ومال من أبى بكر ، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشأ ، فلم ياب من ذلك فقال المستشول إنما ذلك لتسكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، وهو قول حسن حدثنى بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

وذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : أن الناقة التى ابتاعها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبى بكر يومئذ هى : نائمه النبى تسمى بالجدعاء ، وهى غير العضباء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - ناقة صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العصابة يا رسول الله ، فقال : لا . ابنتي فاطمة تحشر على العصابة ، وأحشر أنا على البراق ، ويحشر هذا على ناقة من نوق الجنة وأشار إلى بلال .

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن سويد بن عمير ، وعبد الحميد مجهول عندهم . وفي مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العصابة ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : لأنها غير الجدعاء ، وهو الصحيح ، لأنها غنمت ، وأخذ صاحبها العقيل بالمدينة ، فقال : بم أخذتني يا محمد ، وأخذت سابقة الحاج ، يعنى : العصابة ، فقال : أخذتك بجزيرة حلفائك .

بكاء أبي بكر من الفرح : وذكر ابن إسحاق في قول عائشة - رضى الله عنها - ما كنت أرى أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . قالت ذلك لصفى سنها ، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ، فأخذته استحسانا له ، فقال الطائي يصف السحاب :

دم إذا وكفت في روضة طففت عيون أزهارها تبكي من الفرح
وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تنكرن لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل
وقال بعض المحدثين :

ورد الكتاب من الحبيب بأنه سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى إنه من فرط ما قد سرنى أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين فى فرح وفى أحزان

مقارنة بين مكة والمدينة : فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحزورة ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأحب أرض الله لى ، وإنك لأحب أرض الله لى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت . يرويه ازهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن ازهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، وهو من أصح ما يحتج به فى تفضيل مكة على المدينة ، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا : إن صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة ، فكل حسنة تعمل فى الحرام ، فهى بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوحاً من طريق ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة فيه بمائة ألف حسنة أسنده البزار .

حديث الغار : وهو غار فى جبل ثور ، وهو الجبل الذى ذكره فى تحرير المدينة ، وأنها حرام ما بين غير لى ثور ، وهو وهم فى الحديث ، لأن ثورا من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير لى كذا ، كأن المحدث قد نسى اسم المكان ، فكفى عنه بكذا .

وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخله وأبو بكر

معه أنبت الله على باب الرامة : قال قاسم : وهى شجرة معروفة ، فجئبت عن الغار عين الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرامة : من أغلاك الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزهر أبيض تحشى به الحنجد ، فيكون كالريش لحفته ولينه ، لانه كالقطن وأنشد :

ترى ودك الشريف على لحام كمثل الرامة لبده الصقيع

وفي مسند البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوت فانسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين ، فوقعتا على وجه الغار ، وأن ذلك بما صد المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ، وروى أن أبا بكر -رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله- قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليقبه بنفسه ، رأى فيه جحراً فألقمه عقبه ، لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وفي الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر -رضى الله عنه- لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهما في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ، وروى أيضاً أنهم لما عمى عليهم الأثر جاءوا بالقافة ، فجعلوا يقفون الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند ما رأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال : إن قتلت فإنما ، أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تحف ؟ ! لأن حزنه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب ، وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحشة الغربة ، وكان أرق الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشفقهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال ، نظرت إلى قدمي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الغار ، وقد تقطرتا دما ، فاستبكيك وعلت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحفاء والجفوة ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنيبه : ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه ، قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبي بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه ، وقوله : « وأيده بجنود لم تروها ، الهاء في أيده راجعة على النبي ، والجنود : الملائكة أنزلهم عليه في الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيده ذلك ، وقواه على الصبر ، قيل أيده بجنود لم تروها ، يعنى يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهدته ، وقد قيل : الهاء راجعة على النبي عليه السلام في الموضوعين جميعاً وأبو بكر تبع له ، فدخل في حكم السكينة بالمعنى ، وكان في مصحف حفصة . فأنزل الله سكينته عليهما ، وقيل : إن حزن أبي بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الغار ، فأشفق أن يكونوا قد رأوا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحزن فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجه عند البول ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا والله أعلم .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به ، أبا بكر : فصل : وزعمت الرافضة أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لا تحزن غضاً من أبي بكر وذماً له ، فإن حزنه ذلك : إن كان طاعة فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدل : قد قال الله لمحمد عليه السلام : « فلا يحزنك قولهم ، وقال : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ، وقال لموسى : « خذها ولا تحف ، وقالت الملائكة للوط لا تحف ، ولا تحزن ، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم في وجوب المعصية للإمام المعصوم في زعمكم فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون باجماع

ولإنما قوله : لا تحزن ، وقول الله لمحمد : لا يحزنك ، وقوله لانبياؤه مثل هذا تسكين لجأشهم وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهي الذي زعموا ، ولا يمكن كما قال سبحانه : « تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، . وهذا القول إنما يقال لهم عند المعايمة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهي عن الفعل لا يقضى كون المنهى فيه ، فقد نهى الله نبيه عن أشياء ، ونهى عباده المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهي ، لأن فعل النهي فعل مستقبل ، فكذلك قوله : لا يبي بكر : لا تحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أن يبي بكر - رضی الله عنه - ما ادعوا من الغرض ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت المعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للذهاب لاحت الحقائق ، واتضح الطرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه : وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن أمم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ، وإذا دعى فقيل : يا رسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : يا خليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقه : هو سراقه بن مالك بن جعشم الكنانى ثم المدلجى أحد بنى مدلج بن مرة بن تميم بن عبد مناة ابن كنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سراقه استقسم بالآزلام ، فخرج السهم الذى يكره ، وهو الذى كان فيه مكتوباً لا تضره إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساخت فى الأرض ، وتبعها عثمان ، وهو : الدخان وجمعه : عواثن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لأمه حين رجع بلا شيء ، فقال وكان شاعراً :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً	لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علت ولم تشكك بأن محمداً	رسول ببهان فن ذا يقاومه ؟
عليك بكف القوم عنه ، فإننى	أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأن جميع الناس طرا يسالنه

وقد قدمنا فى هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسواريه ومنطقته ، وأنه دعا بسراقه ، وكان أرب الذراعين ، فحلاه حلية كسرى ، وقال له : ارفع يدك ، وقل : الحمد لله الذى سلب هذا كسرى الملك الذى كان يزعم أنه رب الناس وكساها أعرابيا من بنى مدلج . فقال ذلك سراقه ، وإنما فعلها عمر لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد بشر بها سراقه حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلاد فارس ، ويغنمه ملك كسرى ، فاستبعد ذلك سراقه فى نفسه ، وقال : أ كسرى ملك الملوك ؟ فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن حليته ستجعل عليه تحقيقاً للوعد ، وإن كان أعرابيا بوالا على عقبه ، ولكن الله يعز بالإسلام أهله ، ويسبغ على محمد وأمه نعمته وفضله .

وفي السير من رواية يونس شعر لابي بكر رضى الله عنه في قصة الغار :

قال النبي - ولم يزل يوقرنى -
لا تخش شيئا ، فإن الله ثالثنا
ولنما كيد من تخشى بوادره
والله مهلكهم طرا بما كسبوا
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا
حق إذا الليل وارتنا جوانبه
سار الأريقت يهدينا وأيقته
يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها
حتى إذا قلت : قد أنجذن عارضها
يردى به مشرف الإفطار معتم
فقال : كرو فقلت : إن كرتنا
أن يخسف الأرض بالاحوى وفارسه
فهيل لما رأى أرساغ مقربه
فقال : هل لكم أن تطلقوا فرسى
وأصرف الحى عنكم إن أنيتهم
فادعوا الذى هو عنكم كف عورتنا
فقالا قولا رسول الله مبتهلا
فنجبه سالما من شر دعوتنا
فأظهر الله إذ يدعو حوافره

ونحن فى سدف من ظلمة الغار
وقد توكل لى منه بإظهار
كيد الشياطين كادته لكفار
وجاعل المنتهى منهم إلى النار
إما غدوا وإما مدلج سارى
قوم عليهم ذوو عز وأنصار
وسد من دون من تخشى بأستار
ينعبن بالقرم نعبا تحت أكوار
وكل سهب رفاق الترب موار
من مدلج فارس فى منصب وار
كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
من دونها لك نصر الخالق البارى
فانظر لى أربع فى الأرض عوار
قد سخن فى الأرض لم يحفر بمحفار
وتأخذوا موثقى فى نصح أسرار
وأن أعور منهم عين عوار
يطلق جوادى وأنتم خير أبرار
يا رب إن كان منه غير إخبار
ومهره مطلقا من كلم آثار
وفاز فارسه من هول أخطار

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين خفي عليها ، وعلى من معها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فرعى مكة والناس يتبعونه وهو يذشد هذه الآيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
ليبن بنى كعب مقام فتاتهم
فيالقصى ما زوى الله عنكم
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
دعاها بشاة خائل فتخلبت
فغادرها رهنا لديها بحالب

رفيقين حلا خيمتى أم معبد
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ومقعدا للبؤمين بمرصد
به من فعال لا يجازى وسودد
فانكم إن تسألوا الشاة تشهد
له بصريح ضرة الشاة مزبد
يردها فى مصدر ثم مورد

ويروى أن حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى ، وما هتف به في مكة قال يجيبه :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم	وقد سر من يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنسور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربه	وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها	عمائتهم هاد بها كل مهتد
لقد نزلت منه إلى أهل يثرب	ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب	فتصديقه في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده	بصحبته من يسعد الله يسعد

وزاد يونس في روايته أن قريشا لما سمعت الهااتف من الجن أرسلوا إلى أم معبد ، وهي بخيمتها ، فقالوا : هل مر بك محمد الذى من حليته كذا ، فقالت : لا أدرى ما تقولون ، وإنما ضافنى حالب الشاة الخائل ، وكانوا أربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وقد تقدم التعريف به وطرف من ذكر فضائله في هجرة الحبشة ، والرابع عبد الله بن أريقط الليثى ولم يكن إذ ذاك مسلما ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وجاء فى حديث أنهم استأجروه ، وكان هاديا خريتا ، والخريت : الماهر بالطريق الذى يهتدى بمثل خرت الإبرة ، ويقال له : الخوتع أيضا قال الراجز :

يضل فيها الخوتع المشهر

أم معبد وزوجها : وأما أم معبد التى مر بخيمتها ، فاسمها : عاتكة بنت خالد لإحدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حبيش بن خالد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب ابن عمرو وهو أبو خزاعة .

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه ، وكان منزل أم معبد بقديد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى وقد روى ابن قتيبة فى غريب الحديث ، وتقصى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم معبد : وكان القوم مرملين مسنتين ، فطالبوا لبنا أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئا ، فنظر إلى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : أجد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أحلبها فقالت بآى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتقلها ، ومسح ضرعها ، فتفاجت ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط أى : يشبع الجماعة حتى يربضوا ، فحلب فيه حتى ملاءه ، وسقى القوم حتى روى ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل ، ثم غادره عندها وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائبا فلما رأى اللبن قال ما هذا يأم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حبال ، ولا حلوبة بالبيت ؟ ! فقالت : لا والله ، إلا انه مر بنا رجل مبارك ، فقال صفه يأم معبد فوصفته بما ذكر القتبى وغيره الحديث ، وبما ذكره القتبى فشرى حتى أراضوا جعله القتبى من استراض الوادى : إذا استنقع ومن الروضة وهى بقية الماء فى الحوض وأنشد :

وروضة سقيت فيها نضوى

طريق الرسول (ص) في هجرته: قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لفقاً.

قال ابن هشام: ويقال لفتا. قال معقل بن خويلد الهذلي:

زيماً محلباً من أهل لفت لحى بين أثلة والنعام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج - ويقال: مجاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مرجع مجاج، ثم تبطن بهما مرجع من ذى القنوين - قال ابن هشام: ويقال: القنوين - ثم بطن ذى كشر، ثم أخذ بهما على الحداجد، ثم سلك بهما ذا السالم، من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم على العباييد قال ابن هشام: ويقال: العباييد، ويقال: العشيانية يريد: العباييد.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجة، ويقال: الفاجة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرج، وقد أبطأ عابهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم، يقال له: أوس بن حجر، على جمل له - يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له يقال له: مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية الغائر، عن يمين ركوبة - ويقال: ثنية الغائر، فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن رثم، ثم قدم بهما قباء، على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليله خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل.

قباء: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، قال: حدثني رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، وتوكلنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة. حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، جالسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل

ورواه الهروي حتى آرضوا على وزن آمنوا، أى ضربوا بأنفسهم إلى الأرض من الرى، وفي حديث آخر أن آل أبي معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ويسموناه: يوم الرجل المبارك، يقولون فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك، أو بعد ما جاء الرجل المبارك، ثم لأنها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله، ومعها ابن صغير قد بلغ السعي فر بالمدينة على مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق إلى أمه يشتد، فقال لها يا أمّاء! إنى رأيت اليوم الرجل المبارك، فقالت له: يا بنى ويحك هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وما يسأل عنه في هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك البركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها؟ وفي الخبر عن هشام بن حبيش الكعمي، أنا رأيت تلك الشاة وإنما لتأدم أم معبد وجميع صرمةا، أى: أهل ذلك الماء، وفي الحديث أيضاً من الغريب في وصف الشاة: قال ما كان فيها بصرة وهى النقط من اللبن تبصر بالعين.

دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة ، هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو ابن عوف ، ثم أحد بنى عميد : ويقال بل نزل على سعد بن خيشمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيشمة وكان يقال لبيت سعد بن خيشمة : بيت العزاب . فآله أعلم أى ذلك كان ، كلا قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنع . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زبد بن أبي زهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كلثوم بن هدم . فكان على بن أبي طالب ، إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقاء امرأة لازوج لها مسلبة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئا معه فتأخذه . قال : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لأدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلبة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لأحدلى ، فإذا أمسى عدا على أو ثمان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من أمر سهل بن حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هذا ، من حديث على رضى الله عنه ، هند بن سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

بناء مسجد قباء : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانواء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن فضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا فى العدد والمدة والمنعة ؛ قال : خلوا سيديها ، فإنها مأمورة . لتأقته : فخلوا سيديها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بياضة ، تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، فى رجال من بنى بياضة . فقالوا : يا رسول الله :

هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها : فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، في رجال من بنى ساعدة ، فقالوا : يارسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى عدى بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو ، في رجال من بنى عدى بن النجار ، فقالوا : يارسول الله ، هلم إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مـ بركة الناقة : حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مر بدم غلامين يتيمين من بنى النجار ، ثم من بنى مالك بن النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفراء ، سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت - ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها - لم ينزل ، وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنىها به ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائنها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المرء لمن هو ؟ فقال له معاذ ابن عفراء : هو يارسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيها منه ، فاتخذة مسجدا .

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني مسجدا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه المهاجرون والانصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لذلك منا العمل المضلل

لئن قعدنا والنبي يعمل

وارتجز المسلمون وهم يبتونه يقولون :

اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

لا عيش إلا عيش الآخرة

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار .
عمار والفتنة الباغية : قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أثقلوه بالبن ، فقال : يارسول الله ، قتلوني ، يحملون على ما لا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ وفرته بيده ، وكان رجلا جمدا ، وهو يقول : ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفتنة الباغية .

وارتجز على بن أبي طالب رضى الله عنه يومئذ :

يدأب فيه قائما وقاعدا

لا يستوى من يعمر المساجدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يدري : أهو قائله أم غيره .

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما يعرض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن ابن إسحاق ، وقد سمي ابن إسحاق الرجل .

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا بن سمية ، والله لاني لأرا نبي ساعرض هذه العصا لآنفك . قال : وفي يده عصا . قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جادة ما بين عيني وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه . قال ابن هشام : وذاكر سفيان بن عيينة عن زكريا ، عن الشعبي ، قال : إن أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر .

الرسول ينزل في بيت أبي أيوب : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ، حتى بنى له مسجده ومسكته ، ثم انتقل إلى مسكته من بيت أبي أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله الزني ، عن أبي رهم الساعبي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السفن ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لاني لا أكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتي ، فأظهر أنت فيكون في العلو ، وتنزل نحن فنكون في السفن ، فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبين بعشانا ، أن نكون في سفن البيت . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمتم أنا وأم أيوب بقطينة لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نشف بها الماء ، تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم - منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثوماً ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر ليده فيه أثر . قال : فحنته فزعا ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ، ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا ، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة ، قال : لاني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهل دور مسمون : بنو مظهر من جمح ، وبنو جحش بن رئاب ، حلفاء بني أمية ، وبنو البكير ، من بني سعد بن ليث ، حلفاء بني عدى بن كعب . فإن دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

أبو سفيان وبنو جحش . ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها

من عمرو بن علقمة ، أخى بنى عامر بن لؤى ، فلما بلغ بنى جحش ماصنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله ابن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال بلى : قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس لآبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أصيب منكم فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لآبى سفيان :

أبلغ	أبا	سفيان	عن	أمر	عواقبه	ندامه
دار	ابن	عمك	بعتها	تقاضى	بها	الغرامه
وحليفكم	بالله	رب	الناس	يجتهد	القسامه	
أذهب بها ،	أذهب	بها	طوقها	طوق	الحمامه	

انتشار الإسلام : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومسكنه واستجمع له لإسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأميه وتلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فانهم أقاموا على شركهم .

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليضعن أحدكم ، ثم ليبدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبأنك ، وآيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ، فليظنن يميننا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدماه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يبي وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكاسة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشرة أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال : إن الحمد لله ، أحمدته وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينته الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختارة على ماسواه من أحاديث الناس ، لأنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ، ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكروه ، ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى ، قد سماه الله خيرته من الأعمال ، ومصطفاه من العباد ، الصالح الحديث ، ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته . وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يفتنكم ، إن الله يفتنكم ، والسلام عليكم .

الرسول يوادع اليهود : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأفرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، لإنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

قال ابن هشام : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة
وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة ظلم ، أو لائم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن في دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ، ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، والمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن لليهود بنى النجار مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى الحارث مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى جشم مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى ساعدة مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى جشم مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى الأوس مثل ماليهود بني عوف ، وإن لليهود بنى ثعلبة مثل ماليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، إن بطانة

يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحيز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للظلول ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصصهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوس ، ومواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض ، من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذه الكتاب دون ظالم وأثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جاز لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : تأخروا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسدرسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ابن أبى قحافة ، وخارجة بن زهير ، أخو بلحارث ابن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبير بن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف ، بنى زهرة أخوين ، وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجار ، أخوين . وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوين وسعيد بن زيد بن عمرو

ابن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخو بني النجار : أخوين ، ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار : أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل : أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم . وحذيفة بن اليمان ، أخو بني عبد عيس . حليف بني عبد الأشهل . أخوين ويقال : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو ، المعنق لموت . أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج . أخوين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جناب بن جنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بلتعة ، حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بني عمرو ابن عوف ، أخوين ، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء ، عويم بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . قال ابن هشام عويم بن عامر ، ويقال : عويم بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر رضي الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رويحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، ثم أحد الفزح ، أخوين . فهؤلاء من سمى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم من أصحابه .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهداً ، فقال عمر لبلال : إلى من تجمل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضم ديوان الحبشة إلى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

قال ابن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعد بن زرارة ، والمسجد بينى ، أخذته الذبحة أو الشبهة . قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميت أبو أمامة ، لليهود ومناقضو العرب يقولون : لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أمك لنفسى ولا لصاحبى عن الله شيئاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعد بن زرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله إن هذا قد كان مناحيت قد علمت ، فاجعل منار جلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

طريق الرسول صلى الله عليه وسلم

وذكر أن دليلهما سلك بهما عسفان : قال المؤلف رضي الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سمى عسفان لتعسف السيول فيه ، وسئل عن الأبواء الذي فيه قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم : لم سمى الأبواء ؟ فقال : لأن السيول تتبوءه أى تحمل به ، وعسفان فيأروى كان مسكن الجذماء ، ورأيت في بعض المسندات أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم مر بعسفان وبه الجذماء فأمرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شيء من العلل يمدى فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتي ، لأنه في مستند الحارث بن أبي أسامة ، وقد تقدم اتصال سندی به ، وكنت رأيت قبل في مسند وكيع بن الجراح ، وليس لي فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلهم سلك بهم أجمأ ثم ثنية المرة ، كذا وجدته مخفف الراء مقيدا ، كأنه مسهل الهيرة من المرأة .

وذكر لقفا بفتح اللام مقيدا في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام : لفتاً ، واستشهد ابن هشام بقول معقل المنذلي :

نزيعاً محلباً من أهل لفت لحى بين أثلة فالنجم

وألفت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لفت بكسر اللام ألفتته في شعر معقل هذا في أشعار هذيل في نسختي ، وهي نسخة صحيحة جداً ، وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه لي في شعر معقل هذا في أشعار هذيل مكسور اللام في نسخة أبي على القالي المقروءة على الزيادة ، ثم على الاحول ، ثم قرأتها على ابن دريد رحمه الله ، وفيها صريحاً محلباً ، وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديماً حتى ضبطته بالفتح عن القاضي ، وعلى ما وقع في غيرها انتهى كلام أبي بحر . وقد ذكر أبو عبيد البكري : لفتاً ، ففیده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله :

لعمرك ماخشيت ، وقد بلغنا جبال الجوز من بلد تهام
صريحاً محلباً : البيت

وذكر الموضع التي سلك عليها . وذكر فيها مجاج بكسر الميم وجيمين ، وقال ابن هشام : ويقال فيها : مجاج بالفتح ، وقد ألفت شاهداً لرواية ابن إسحاق في لقف ، وفيه ذكر مجاج بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد ابن عروة بن الزبير :

لعن الله بطن لقف مسيلاً ومجاحاً وما أحب مجاحاً
لقت ناقى به ، وبلقف بلداً مجدباً وأرضاً شحاحاً

هكذا ذكر الزبير بن أبي بكر ، ولقف آخر غير لفت فيما قال البكري .

وذكر مرجح بتقديم الجيم على الحاء ، وذكر مدلجة تعين بكسر التاء والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فعلل إلا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء أو تصح رواية من رواه تعين بضم التاء ، فإن صحت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت وبتعين صخرة ، يقال لها : أم عقى عرفت بامرأة كانت تسكن هناك ، فربها للنبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فسمخت صخرة فهي تلك الصخرة فيما يذكر .

وذكر الجدادجد بجيمين ودالين كأنها جمع جدجد ، وأحسبها آباراً ففي الحديث : أتينا على بئر جدجد قال أبو عبيد : الصواب : بئر جد أي قديمة ، وقال الهروي عن يزيدى : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال في السككم وفي الرف رفر .

وذكر العبايد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هي العبايب ، كأنها جمع : عباب من عبت الماء عباً ، فكأنها - والله أعلم - مياه تعب عبايا أو تعب عبا .

وذكر الفاجة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هي : القاحة بالقاف والحاء .

أوس بن حجر : وذكر قدومهم على أوس بن حجر ، وهو أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وبعضهم يقول فيه : ابن حجر ، وهو قول الدارقطني ، والمعروف ، بن حجر بضم الحاء ، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر في أنساب قريش ومن يسمى حجراً من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأما ، ولا يختلف في أوس بن حجر أنه بفتحيتين .

وذكر أن أوساً حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جمل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفي رواية يونس ابن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرдах ، وفي الخطابي أنه قال لعلامة مسعود وهو مسعود بن هنيذة : اسلك بهم المخارق بالقاف ، قال : والصحيح المخارم ، يعني : مخارم الطريق ، وفي النسوي أن مسعوداً هذا قال : فكنت آخذ بهم لإخفاء الطريق . وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم لإخفاء الطريق ومخارقه ، وذكر النسوي في حديث مسعود هذا : أن أبا بكر قال له : أنت أبا تميم فقل له يحملني على بعير ويبعث إلينا بزاد ، ودليل يدلنا في هذا أن أوساً كان يكنى أبا تميم ، وأن مسعوداً هذا قد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحفظ عنه حديثاً في الخمس وحديثاً في صلاة الإمام بالواحد والاثنتين ذكره النسوي في هذا الحديث ، غير أنه قال في مسعود هذا : غلام فروة الأسلمي . وقال أبو عمر قد قيل في أوس هذا إن اسمه تميم ، ويكنى أبا أوس فآله أعلم

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمسعود حين انصرف إلى سيده مرسيديك أن يسم الإبل في أعناقها قيد الفرس ، فلم تزل تلك سمتهم في إبلهم ، وقد ذكرنا في شرح قصيدة أبي طالب عند قوله : موسمة الأعضاد أسماء السمات كالعراض والحباط والبهلال ، وذكرنا قيد الفرس ، وأنه سمة في أعناقها ، وقول الراجز :

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تدانى والتبس

تأريخ قدوم الرسول إلى المدينة : كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول ، وفي شهر أيلول من شهر العجم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها ثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبي : خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم من ربيع الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه ، وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق .

كلثوم بن الهدم : فصل : وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كلثوم بن الهدم وكلثوم هذا كنيته أبو قيس ، وهو كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخاً كبيراً مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام وسعد بن خيشمة ، وأنه كان يقال لبيته : بيت العزاب هكذا روى - وصوابه : الأعزب ، لأنه جمع عزب ، يقال رجل عزب ، وامرأة عزب ، وقد قيل : امرأة عزبة بالناء .

مسجد قباء : فصل : وذكر تأسيس مسجد قباء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عمرو بن عوف ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، ثم جاء أبو بكر ببحر فوضعه ، ثم جاء عمر ببحر فوضعه إلى حجر أبي بكر ، ثم أخذ الناس في البناء . في الخطابي عن الشموس بنت النعمان قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه ، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره . يقال : صهره وأصهره إذا ألصقه بالشيء ، ومنه اشتقاق الصهر في القرابة ، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام ، ولما نزلت فيه رجال يجهلون أن يتطهروا ، فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو مسجدى هذا وفي رواية أخرى قال : وفي رواية أخرى قال : وفي الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت المسجد أسس على التقوى ، ما الظهور الذي أثنى الله به عليكم ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجار بالحجر ، فقال : هو ذا كم فليكموه ، وليس بين الحديث تعارض كلاهما أسس على التقوى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار معجزته والبلد الذي هو مهاجرة .

التأنيخ العربي : وفي قوله سبحانه : من أول يوم ، وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها ، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عز فيه الإسلام ، والذي أمر فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس المساجد . وعبد الله آمننا كما يجب ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه من أول يوم أن ذلك لليوم هو أول أيام التاريخ الذي يؤرخ به الآن ، فإن كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهم أعلم الناس بكتاب الله وتأويله ، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأى واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يعقل قول القائل فطلعت أول يوم إلا بإضافة إلى عام أو شهر معلوم ، أو تاريخ معلوم ، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرآن الدالة على غيره من قرينة لفظه . أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن أذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله .

من ودخولها على الزمان وغيره : وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قررره بعض النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول من على الزمان ، ولو لم يظن بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومن تدخل على الزمان ، وغيره ، ففي التنزيل من قبل ومن بعد ، والقبل والبعث زمان ، وفي الحديث : ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفي شعر النابغة :

تورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وبين من الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بديعة في شرح آية الوصية .

تحلحلت وورثت والحجران فصل : وذكرنا . كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هلم إلينا يا رسول الله إلى

العدد والعدة فيقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى بركت بموضع مسجده، وقال تملحلت ورزمت وألفت بجرانها
أي : بمنقها ، وفمره ابن قتيبة على تملحح أي : لزم مكانه : ولم يبرح ، وأشد :

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم أفاموا على أنفالم وتلححوا

قال : وأما تملحح بتقديم الحاء على اللام فمناه : زال عن موضعه ، وهذا الذي قاله قولي من جهة الاشتقاق
بان التملحح يشبه أن يكون من لحت عينه إذا التصقت ، وهو ابن عمي لما

وأما التملحح : فاشتقاقه من الحل والانحلال بين ، لأنه انفكك شيء من شيء ، ولكن الرواية في سيرة ابن
إسحاق : تملحلت بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقولاً من تلحلت ، فيكون معناه :
لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذي فمره ابن قتيبة في تلحلت

وأما قوله : ورزمت الناقه رزوماً إذا أقامت من الكلال ، ونوق رزى ، وأما أرزمت بالالف ، فمناه :
رغت ، ورجمت في رغاها ، ويقال منه : أرزم الرعد ، وأرزمت الريح قاله صاحب العين ، وفي غير هذه السيرة
أنها لما ألفت بجرانها في دار بني النجار جعل رجل من بني سلمة ، وهو جبار بن صخر بنخسها رجاء أن تقوم فتبكي
في دار بني سلمة فلم تفعل .

المربد وقوله كان المسجد مربداً . المربد والجربين والمسطح وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والبيدر
والأندر لغات بمعنى واحد للوضع الذي يحمل فيه الزرع والتمر للتبيس ، وأشد أبو حنيفة في المسطح .

ترى الاممز المحزوز فيه كأنه من الحر في نحر الظهيرة مسطح

قال : والمحزوز من : حزوت الشيء : إذا أظهرته والمسطح هو بالفارسية : مشطاح ، وأما المسطح الذي هو
عود الحباء فعربية .

وذكر أن ذلك المربد كان لسهل وسهيل ابني عمرو يقيمين في حجر معاذ بن عفراء ولم يعرفهما بأكثر من
هذا ، وقال موسى بن عقبة : كانا يقيمين في حجر أسعد بن زرارة وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبد
ابن ثعلبة بن مالك بن النجار شهد سهيل منهما بدزا ، والمشاهد كلها ، ومات في خلافة عمر ولم يشهد سهل بداراً ،
رشد غيرهما ومات قبل أخيه سهيل .

بنيان المسجد : فصل : وذكر بنيان المسجد إلى آخر القصة : وفي الصحيح أنه قال : يابني النجار ثمانون
بمئاتكم حين أراد أن يتخذ مسجداً ، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لفقه ، وهو أن البائع أول بتسمية الخن
الذي يطلبه ، قال أنس : وكان في موضع المسجد نخل وخراب ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنبشت وبأخسرب
فسويت ، وبالنخل فقطعت .

ويروي في هذا الحديث نخل وحرث مكان قوله : وخراب ، وروي عن لثفاء بنت عبد الرحمن الأضرارية
نالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بنى المسجد يؤمه جبريل إلى الكعبة ويقم له القبلة .

وذكر فيه قول الرجل لعمار : قد سمعت ما تقول يابن سمية . قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل .
وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمكروه . فلا يبنى إذا
البحث على اسمه .

سمية : وسمية : أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجره الأولى ونهبنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسمية أم زياد واحدة وسمية أم زياد كانت للحارث بن كلدة المتطبب ، والأولى : مولاة لبني مخزوم وهي سمية بنت خباط كما تقدم ، وكان أهدى سمية إلى الحرث رجل من ملوك اليمن : يقال له أبو جبر ، وذلك أنه عالج له داء كان به فبرئ ، فوهبها له ، وكانت قبل أبي جبر لملك من ملوك الفرس وفد عليه أبو جبر ، فأهداها إليه الملك ذكره ابن قتيبة وفي جامع معمر بن راشد أن عمارا كان ينقل من بنيان المسجد لبنتين ، لبنة عنه ، ولبنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس ينقلون لبنة واحدة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - للناس أجر ولك ، أجران ، وآخر زادك من الدنيا شربة ابن : وتقتلك الفئمة الباغية فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية فرعا ، فقال : قتل عمار ، فقال معاوية ، فإذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : تقتله الفئمة الباغية ، فقال معاوية دحضت في بولك أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه ؟ !

عمار أول من بنى مسجدا : وذكر ابن إسحاق في هذا الموضوع الحديث الوارد في عمار ، وهو : أول من بنى لله مسجدا عمار بن ياسر ، يقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عمار هو الذي أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استتم بنيانه عمار .

أطوار بناء المسجد : كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : وبني مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عمدته من جذوع النخل ، فنحرت في خلافة عمر فجردها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقصة وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمد بن أبي جعفر المتسمى بالمهدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك في سنة ستين ومائة ، ثم زاد فيه المأمون بن الرشيد في سنة ثنتين ومائتين : وأتقن بنيانه ، ونقش فيه : هذا ما أمر به عبد الله المأمون - في كلام كثير كرهت الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غير منه شيئا ، ولا أحدث فيه عملا .

بيوته ، صلى الله عليه وسلم : وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جويد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبي الحسن : كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدي ، وكانت حجره - عليه السلام - أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر وفي تاريخ البخاري أن بابيه - عليه السلام - كان يقرع بالأظافر ، أي لاحتق له ، ولما توفي أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك في زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف ، بيعت زمن بني أمية ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أضيفت إليه ، فهي إضافة ملك ، كقوله تعالى : « لاندخلوا بيوت النبي ، وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : « وقرن في بيوتكن ، فليست بإضافة ملك ، وذلك أن ما كان ملكا له عليه السلام ، فليس بموروث عنه .

حب أم أيوب : فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حب لنا . الحب : جرة كبيرة ، جمعه حبية مثل حجر وحجرة وكأنه أخذ لفظه من حباب الماء أو من حبية ، وحبابه بالالف : ترافعه قال الشاعر :
كان ضلا جبهة حين تمشي حباب الماء يتبع الحبابا

والحبيب بغير ألف نفاخات بيض صغار تكون على وجه الشراب قاله ابن ثابت .

الثوم : وذكر قوله عليه السلام لام أيوب - حين رد عليها الثريد من أجل الثوم : أنا رجل أناجي ، وروى غيره حديث أم أيوب ، وقال فيه : إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس . وروى أن خصيف بن الحارث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت يا رسول الله : الحديث الذي ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو ؟ قال : نعم .

منزل أبي أيوب : ومنزل أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - تصير بعده إلى أفلح مولى أبي أيوب ، فاشتراه منه بعد ما خرب ، وتثلث حيطانه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرة ذكرها الزبير ، ثم أصلح المغيرة ما وهى منه ، وتصديق به على أهل بيت من فقراء المدينة ، فكان بعد ذلك ابن أفلح يقول للمغيرة : خدعتي ، فيقول له المغيرة : لا أفلح من ندم . هذا معنى ما ذكره الزبير بن أبي بكر .

أحمد بن جحش وأبو سفيان : وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان :

دار ابن عمك بعثها تقضى بها عنك الغرامه
اذهب بها اذهب بها طوقها طوق الحمامه

أبو أحمد هذا اسمه عبد ، وقيل : ثمامة ، والاول أصح ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بني جحش إذ كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر .

وقوله لأبي سفيان طوقها طوق الحمامة منتزع من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « من غضب شبراً من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين ، وقال طوق الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقية عن نفسها أبداً ، كما يفعل من لبس طوقاً من الآدميين ، ففي هذا البيت من السمانه وحلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه ، وفي قوله : طوق الحمامة رد على من تأول قوله عليه السلام : طوقه من سبع أرضين أنه من الطاقه ، لا من الطوق في العنق ، وقاله الخطابي في أحد قوليه ، مع أن البخاري قد رواه ، فقال في بعض روايته له : خسف به إلى سبع أرضين ، وفي مسند ابن أبي شيبة : من غضب شبراً من أرض جاء به إسطاماً في عنقه ، وإسطام كالحلق من الحديد ، وسطام السيف . حده .

خطبه صلى الله عليه وسلم : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول الله عز وجل لعبده : ألم أوتك مالا وأفضل عليك ، فإذا قدمت ؟ وفي غير هذا الكتاب زيادة ، وهي : ألم أوتك مالا ، وجعلتك تربع وتدسح ؟ وفسره ابن الأنباري ، فقال : هو مثل ، وأصله : أن الرئيس من العرب كان يربع قومه أى : يأخذ المرباع إذا غزا ، ويدسح : أى يعطى ويدفع من المال لمن شاء ، ومنه قولهم : فلان ضخم الدسيعة .

الحب في خطبته (ص) : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثانية ، وفيها : أجوا الله من كل قلوبكم ، يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب ، فيكون ذكره وعمله خارجاً من قلبه خالصاً لله ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده مجاز حسن لأن حقيقة المحبة : إرادة يقارنها استدعاء للمحبيب إما بالطبع ، وإما

بالشرح ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان في شرح قوله عليه السلام : إن الله تعالى جميل يحب الجمال ونبينا هنالك على تقصير أبي المعالي رحمه الله في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فانتظر هنالك .

شرح الخطبة : وقوله عليه السلام : لاتملوا كلام الله وذكره ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطنق . الهاء في قوله : فإنه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : **وخلق ما يشاء ويختار** ، وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : **ويختار** ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : **والمصطفى من عباده** ، أى : وسمى المصطفى من عباده بقوله **و الله يصطنق من الملائكة رسلا ومن الناس** ، ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبعيض ، وإنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عمل استخرجه منهم بتوفيقه لإياهم . والتأويل الأول أقرب ماخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

وقوله في أول الخطبة إن الحمد لله أحمده هكذا برفع الدال من قوله : الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه ، وإعرا به ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذى أذكره ، وحذف الهاء العائدة على الأمر كى لا يقدم شيئاً فى اللفظ من الأسماء على قوله : الحمد لله ، وليس تقديم إن فى اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكد لما بعده مع ما فى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتميم به ، والله أعلم .

أما كنى الخطبة : وكانت خطبته فى تلك الأيام على جذع ، فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة ، وصنعه له عبد لامرأة من الانصار اسمه بافوم ، خار الجذع خوار الناقة الخلوج ، حتى نزل عليه السلام فالتزمه ، وقال : لولم ألتزمه ما زال يخور إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لجهه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : **كشجرة طيبة** ، وإلى قوله عليه السلام فى النخلة : **مثلها كمثل المؤمن** ، وحديث خوار الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لسكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلمهم نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكره .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه وشرط عليهم ، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهلبيهم وأموالهم ، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الانصار بها ، فلما كان سيل العرم ، وتفرقت سببا نزلت الأوس والخزرج بأمر طريفة الكاهنة ، وأمر عمران ابن عامر ، فإنه كان كاهناً أيضاً وبما سجدت به لكل قبيلة من سببا ، فسجدت لبنى حارثة بن ثعلبة . وهم الأوس والخزرج أن ينزلوا يثرب ذات النخل فنزلوها على يهود وحالفوهم وأقاموا معهم ، فكانت الدار واحدة .

أصل اليهود وهمى دخلوا يثرب : والسبب فى كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العالقيق من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشاً ، وأمرهم أن يقتلوه ، ولا يبقوا منهم أحداً ، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً ، فرقوا له ، ويقال للملك : **الأرقم بن أبى الأرقم** فيما ذكر الزبير ثم

رجعوا إلى الشام وموسى قدمات ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا تؤويكم ، فقالوا نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوض والخزرج بعد سيل العرم . هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير المعروف : بكتاب الأغاني ، وإن كان الزبير قد ذكره أيضاً في أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحاً لبعده عن موسى عليه السلام ، والذي قال غيره إن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دوح بخت نصر البابل في بلادهم . وجاس خلال ديارهم ، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقريظة والنضير ، وسكنوا خيبر والمدينة ، وهذا معنى ما ذكر الطبري والله أعلم

اسم يثرب : وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعرفت باسمه ، وهو يثرب بن قاي بن عييل ابن مهليل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن لرم ، وفي بعض هذه الأسماء اختلاف وبنو عييل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحف بهم السيول وبذلك سميت الجحفة ، فلما احتلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كره لها هذا الاسم أعنى : يثرب لما فيه من لفظ التشريب ، وسماها طيبة والمدينة .

فإن قلت : وكيف كره اسماً ذكرها الله في القرآن به ، وهو المقتدى بكتاب الله ، وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله ؟ قلنا ان الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ، إذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مقام لكم ، فنبههم بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبو إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حاك عن أحد : ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ، وفي الخبر عن كعب الأجباز قال : إنا نجد في التوراة يقول الله المدينة ياطابة ياطيبة يامسكينة لا تقبل الكنوز أرفع اجاجيرك على اجاجير القرى ، وقد روى هذا الحديث عن علي بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضاً أن لها في التوراة أحد عشر اسماً : المدينة و طابة و طيبة والمسكينة والجايرة والمحبة والمجوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة ، وروى في معنى قوله : « وقل رب أدخلني مدخل صدق ، أنها المدينة وأن يخرج صدق ، مكة ود سلطاناً نصيراً ، الانصار .

معنى على رباعتهم : وفي الكتاب : بنو فلان على رباعتهم . هذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عقيل بن خالد عن الزهري ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الاسناد ، فقال : رباعتهم . الألف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدرأ فالقياس فتح الراء أى على شأهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء يتعاقلون معاقلم الأولى : جمع : معقلة ومعقلة من العقل وهو الديبة .

شرح كلمات الكتاب : وقال في الكتاب : وألا يترك مفرح ، وفسره ابن هشام كما فسره أبو عبيد أنه الذي أثقله الدين ، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عبيد :

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

أى : أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السلب ، أى سلبتك الفرح كما قيل : أقسط الرجل إذا عدل ، أى : أزال القسط ، وهو الأهوجاج ، ويجوز ان تكون الفاء مبدلة من باء ، فيكون من البرح وهو الشدة ،

تقول : لقيت من فلان برحا أى : شدة ، وذكر أبو عبيد رواية أخرى مفرج بالجيم ، وذكر في معناه أقوالا ، منها أنه الذى لاديوان له ، ومنها : أنه القتل بين القريتين لا يدري من قتله ، ومنها أنه فى معنى المقرح بالحاء أى : الذى لاشئ له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو هذا فيقضى عنه من بيت المال .

وفيه : ولا يوتغ إلا نفسه ، أى : لا يوبق ، ويهلك إلا نفسه ، يقال وتغ الرجل ، وأوتغه غيره ، قاله أبو عبيد . ومعنى قوله يوتغ هو من البواء ، أى : المساواة ، ومنه قول مهمل حين قتل ابنأ للحارث بن عباد :
بؤبشسع نعل كليب .

وقوله : إن البر دون الإثم ، أى : إن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً عن الإثم .

وقوله : وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، إن الله وحزبه المؤمنى على الرضى به ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب .

مؤاخاة بين الصحابة : أخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » ، يعنى فى التواد وشمول الدعوة . وذكر مؤاخاته بين أبى ذر والسندر بن عمرو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدى لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبى الدرداء : فصل : وذكر مؤاخاة سلمان وأبى الدرداء ، وأبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر ، وقيل عويمر بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عويمر بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بلحارث بن الخزرج ، أمه : تحبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة ، وامرأته : أم الدرداء ، اسمها : خيرة بنت أبى حمرد ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جمانة ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة استئدين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين .

نسب الفزوع : فصل وذكر مؤاخاة أبى رويحة وبلال ، وصماه : عبد الله بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الفزوع ، لم يبينه بأكثر من هذا ، عند أهل النسب ، هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم . وقد تقدم فى أول الكتاب : لم سمي خثعم وهو ابن أنمار ، وقد تقدم خلاف النساءين فيما بعد أنمار .

والفزوع هذا بفتح الزاى ، وأما الفزوع بسكونها ، فهو الفزوع بن عبد الله بن ربيعة ، وكذلك الفزوع فى خزاعة ، وفى كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدارقطنى : الفزوع بفتح الزاى : رجل يروى عن ابن عمر .

وذكر آخر فى الرواة أيضاً بفتح الزاى يروى حديثاً فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبى رويحة الخثعمى لواء عام الفتح ، وأمره أن ينادى : من دخل تحت لواء أبى رويحة ، فهو آمن .

المؤاخاة بين حاطب بن أبى بلتعة وعويمر بن ساعدة : فصل : وذكر مؤاخاة حاطب بن أبى بلتعة وعويمر ابن ساعدة ، وقال فى حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى

خبر الأذان

قال ابن إسحاق ، فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة ، والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين موافقتها ، بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يحمل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضرب به للسليين للصلاة .

روى عبد الله بن زيد : فبينما هم على ذلك ، إذا رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج ، النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف من رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوسا في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعوا به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب . وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يانبي الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد على ذلك .

روى ابن عمر : قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول : أثمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس ، إذا رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لا تجملوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك ، فمراعى عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحى .

ما كان يدعو به بلال فى الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد : فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة : فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قریش أن يقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة .

أبو قيس بن أبى أنس قال ابن إسحاق : فلما اطمانت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها

وقيل : كان من مذبح والأشهر : أنه من لخم بن عدى ، واهم أبى بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ . والبلتعة من قولهم تبلتغ الرجل إذا تظرف ، قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف .

دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، أخو
بنى عدى بن النجار .

قال ابن هشام : أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .
قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ، وليس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة
وتطهر من الحائض من النساء ، وهم بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فاتخذه مسجدا لا تداخله عليه
فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالا بالحق معظما لله عز وجل في جاهليته ، يقول
أشعارا في ذلك حسانا - وهو الذى يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا :
فأوصيكم بالله والبر والتقوى
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن نزلت لإحدى الدواهي قومكم
وإن ناب غرم فادح فارقوهم
وإن أنتم أمعرتم فتعففوا

ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
وأعراضكم والبر بالله أول
وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وما حملوكم في الملمات فاحلوا
وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمر فادح فارقدوهم

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح
عالم السر والبيان لدينا
وله الطير تستريد وتأوى
وله الوحش بالفلاة تراها
وله هودت يهود ودانت
وله شمس النصرى وقاموا
وله الراهب الحبيس تراه
يابنى الأرحام لا تقطعوها
واتقوا الله في ضعاف اليتامى
واعدلوا أن لليتم وليا
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
يابنى ، التخوم لا تخزلوها
يابنى الأيام لا تأمنوها

طلعت شمسه وكل هلال
ليس ما قال ربنا بضلال
في وكور من آمنتات الجبال
في حفاف وفي ظلال الرمال
كل دين إذا ذكرت عضال
كل عيد لرهم واحتفال
رهن بوس وكان ناعم بال
وصلوها قصيرة من طوال
ربما يستحل غير الحلال
علما يهتدى بغير السؤال
إن مال اليتيم يراعاه والى
إن خزل التخوم ذو عقال
واحذروا مكرها وهر الليالى

واعلموا أن مرها لنفاد الخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من اسلام ، وما خصهم الله به من نزول
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا أظهر الله دينه
وألقي صديقا واطمأنت به النوى
يقص لنا ما قال نوح لقومه
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً
بذلنا له الأموال من حل مالنا
ونعلم أن الله لا شيء غيره
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
أقول إذا أدعوك في كل بيعة :
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة
فطأ معرضاً إن الختوف كثيرة
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى
ولا تحفل النخل المعيمة ربها

يذكر لو يلقى صديقا مواليا
فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وكان له عوناً من الله باديا
وما قال موسى إذ أجاب المناديا
قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
ونعلم أن الله أفضل هاديا
جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
تباركت قد أكرت لاسمك داعيا
حنانك لا تظهر على الأعاديا
وإنك لا تبقى لنفسك باقيا
إذا هو لم يجعل له الله واقيا
إذا أصبحت ربا وأصبح ثاويا

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ معرضاً إن الختوف كثيرة

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدري للفتى كيف يتقى

لألفنون التغلي ، وهو صريم بن معشر ، فى أبيات له

عداوة اليهود : قال ابن إسحاق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - العداوة
بغياً وحسداً وضغناً ، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس
والخزرج ، ممن كان على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن
الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنة من القتل وناقضوا فى السر ،
وكان هوامهم مع يهود ، لتكذيبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ووجودهم الإسلام . وكانت أحبار يهودهم الذين
يسألون - رسول الله صلى الله عليه وسلم - ويتعتتونه ، ويأتونه باللبس ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان

القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

منهم : حبي بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجدى بن أخطب ، وسلال بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وأمه من بنى النضير ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النضير .

ومن بنى ثعلبة ابن الفطيمون : عبد الله بن سوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا ، ومخيريق ، وكان حبرهم ، أسلم :

ومن بنى قينقاع : زيد بن اللصيت - ويقال : ابن اللصيت - فيما قال ابن هشام وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سيحان وعزيز بن أبي عزيز ، وعبد الله بن صيف . قال ابن هشام : ويقال . ابن ضيف .

قال ابن إسحاق . وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف : قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد وأزار بن أبي أزار . قال ابن هشام ويقال : أزر بن أزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ابن التابوب ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم - عبد الله . فهؤلاء من بنى قينقاع .

ومن بنى قريظة : الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الأحزاب ؛ وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينته والنحام بن زيد ، وكردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ؛ وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف وكردم بن زيد وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا ، فهؤلاء من بنى قريظة .

ومن يهود بنى رزيق : لبيد بن أعصم ، وهو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن سوريا .

ومن يهود بنى عمرو بن عوف : كردم بن عمرو .

ومن يهود بنى النجار : سلسلة بن برهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحاب المسألة ، والنصب لأمم الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن اسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه . وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكلف له ، فكنت مسروراً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقاء ، في بنى عمرو بن عوف ؟ أقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت ، فقالت لي عمتي ، حين سمعت تكبيرى : خييك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا مازدت ، قال : فقلت لها : أى عمّة ، هو والله أخو موسى ابن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به . قال : فقالت : أى بن أخى ، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذآ . قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكنت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يارسول الله ، إن يهود قوم بهت وإنى أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به يهتوني وعابوني ، قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبونا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم ، خرجت عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟ قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث ، فحسن إسلامها .

من حديث مخيريق : قال ابن اسحاق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الاموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد في عليه ، وغلب عليه لائف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى اذا كان يوم أحد وكان يوم السبت ، قال : يامعشر يهود ، والله انكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : ان اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . ثم اخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد الى من وراءه من قومه : ان قتلت هذا اليوم ، فأموالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل . فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامّة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

حديث صفية : قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمر بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حبي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبى إليه ، والى عمى أبى ياسر ، لم ألقها قط مع ولد لهما الا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل بقاء ، في بنى عمرو بن عوف ، غدا عليه أبى ، حبي بن أخطب ، وعمى : أبو ياسر بن أخطب ، مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب

الشمس . قالت : فأتيا كالين كسلانين سافطين يمشيان الهوينى . قالت : فمششت لإليها كما كنت أصنع ، فو الله ما التفت إلى واحد منها ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمى أبا باسر ، وهو يقول لأبى : حى بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه ؟ وتثبته ؟ قال نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت .

المنافقون بالمدينة . قال ابن إسحاق : وكان من انضاف إلى يهود ، ممن سمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى لوزان بن عمرو بن عوف بن زوى بن الحارث .

ومن بنى حبيب بن عمرو بن عوف : جلاس بن سويد بن الصامت ، وأخوه الحارث بن سويد .

وجلاس الذى قال - وكان من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك - لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحر . فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عمير بن سعد ، أحدهم ، وكان فى حجر جلاس ، خلف جلاس على أمه بعد أبيه ، فقال له عمير بن سعد : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس لى ، وأحسنهم عندى يدأ وأعزهم على أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحكنك ، ولئن صمت عليها ليملكن دينى ، وإلحدهما أيسر على من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فخلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال عمير ابن سعد . فأنزل الله عز وجل فيه : « يخلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ، وهموا بما لم ينالوا ، وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتوبوا يك خيرا لهم ، وإن يتولوا يعدبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ، وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير ، .

قال ابن هشام : الأليم : الموجه . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وترفع من صدور شمردلات
يصك وجوها وهج أليم

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسننت توبته ، حتى عرف منه الخير والإسلام .

وأخوه الحارث بن سويد ، الذى قتل المجذر بن ذيب البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدا عليهما ، فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر بن ذيب قتل سويد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غرة المجذر بن ذيب ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد .

قال ابن إسحاق ؛ قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلة ، فى غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعث .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته - فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغنى عن ابن عباس - : « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدى القوم الظالمين ، . إلى آخر القصة .

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : بجاد بن عثمان بن عامر .

ومن بنى لوذان بن عمرو بن عوف : نبتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان رجلاً جسيماً أدلم ، نثر شعر الرأس أحر العينين ، أسفع الخدين ، وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئاً صدقه . فأُنزل الله عز وجل فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض رجال بلعجلان أنه حدث : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أدلم نثر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحر العينين ، كأنهما قدران من صفر ، كبده أعظم من كبده الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فأحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكره .

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها معنا . فأُنزل الله تعالى في ذلك من قوله « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا ، إلى آخر القصة وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يمدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأُنزل الله عز وجل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، والحارث ابن حاطب .

قال ابن هشام : معتب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، وبحجز ، وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو ابن خزام ، وعبد الله بن نبتل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جارية بن عامر بن العطف ، وابناه زيد وجمع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان يجمع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرج المسجد ، وذهب رجال من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون بنى عمرو بن عوف في مسجدهم ، وكان زمان عمر ابن الخطاب ، كلهم في مجمع ليصلى بهم ، فقال : لا ، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ما علمت بشيء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاماً قارئاً للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدموني أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ما ذكروا . فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : وديعة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأُنزل الله تبارك وتعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم مستهزون ، . . . إلى آخر القصة .

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد .

ومن بنى النبيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مربع بن قبيطى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد : لا أحل لك يا محمد ، إن كنت نبياً ، أن تمر فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة ، فضربه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشججه ، وأخوه أوس بن قبيطى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فأزجج لإليها . فأنزل الله تعالى فيه « يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ، .

قال ابن هشام : عورة ، أى معورة للعدو وضائفة ، وجمعها : عورات قال النابتة الذيباني :
متى تلقهم لا تلق للبيت عورة ولا الجار محروماً ولا الأمر ضائفاً

وهذا البيت فى أبيات له ، والعورة - أيضاً - : عورة الرجل ، وهى حرمة . والعورة - أيضاً - السوء .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عسا فى جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونساءهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب بالجنة . قال فنجتم نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : « ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم ، إن الله لا يحب من كان خواناً أثمياً ، وقرمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لأنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قرمان ، فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى فى الله : قال : بماذا أبشر . فوالله ما قالت إلا حمية عن قومي ، فلما اشتدت به جراحاته وأذته أخذ سهماً من كنانته ، فقطع به رواهس يده ، فقتل نفسه .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط - سعد بن زيد ، قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مبلغ الضحاك أن عروقه أعيت على الإسلام أن تتمجدا

أحب يهدان الحجاز ودينهم كبد الحمار ، ولا تحب محمداً
دينا لعمري لا يوافق ديننا ما استن آل في الفضاء وخودا

وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومعتب بن قشير ، ورافع بن زيد ، وبشر ، وكانوا يدعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوههم إلى السكبان ، حكاهم أهل الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك تريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، .. إلى آخر القصة .

ومن الخزرج ، ثم من بني النجار : رافع بن وديعة ، ومزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلهة : الجد من قيس ، وهو الذي يقول : يا محمد ، ائذن لي ، ولا تفتق فأنزل الله تعالى فيه : « ومنهم من يقول ائذن لي ، ولا تفتق ألاً في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، .. إلى آخر القصة .

ومن بني عوف بن الخزرج : عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون ، وهو الذي قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل في غزوة بني المصطلق . وفي قوله ذلك ، نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوفل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبي بن سلول ، وعبد الله بن أبي بن سلول . فهؤلاء - نفر من قومه الذين كانوا يبدسون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، » ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » .

قال ابن اسحاق : وكان ممن تعوذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أجبار يهود . من بني قينقاع : أسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد ابن اللصيت ، الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع ، وهو الذي قال ، حين ضلت ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله ، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته ؟ إن قائلها قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدري أين ناقته ؟ واني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد داني الله عليها ، فهي في هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما وصف ، ورافع بن حرملته ، وهو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح ، وهو قافل من غزوة بني المصطلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا

فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح وسلسلة بن برهام . وكتانة بن صوريا .

طرد المنافقين من المسجد : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويستخرون ويستهنئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحد بني غنم بن مالك بن النجار . كان صاحب آلهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أنتخرجنى يا أبا أيوب من مريد بنى ثعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة ، أحد بنى النجار فلبيه بردائه ثم نثره نثرأ شديداً ، ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقاً خبيثاً : أدرا لك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التي جئت منها . قال الشاعر :

فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم

وقام عماره بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلاً طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقادها بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فدمه بهما في صدره لدمه خر منها . قال : يقول : خدشتنى يا عماره ، قال : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقرن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببطن الكف . قال تميم بن أبي بن مقبل :

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والابهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجار ، كان بدرياً ، وأبو محمد مسعود بن أوس ابن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاماً شاباً وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بنى خندرة بن الخزرج ، رهط أبي سعيد الخدري ، يقال له : عبد الله بن الحارث ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذابحة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفاً ، على ما مر به من الأرض ، حتى أخرجه من المسجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يا بن الحارث ، فقال له ، إنك أهل لذلك ، أى عدو الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقرن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث ، فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وأقف منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمره .

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل في اليهود والمنافقين : ففي هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها - فيما بلغتني - والله أعلم .

يقول الله سبحانه ويحمده : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، أى لا شك فيه .
قال ابن هشام : قال ساعدة بن جؤية الهذلي .

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم الحميم

وهذا البيت في قصيدة له ، والريب أيضاً : الريبة . قال خالد بن زهير الهذلي :

كأننى أريبه بريب

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأننى أربته بريب

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخى أبي ذؤيب الهذلي .

« هدى للمتقين » أى الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : « الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون » ، أى يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتساباً لها : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم . « وبالآخرة هم يوقنون » أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك « أو لك على هدى من ربهم » ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم « وأولئك هم المفلحون » أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا . « إن الذين كفروا » ، أى بما أنزل إليك وإن قالوا إنا قد آمننا بما جاءنا قبلك « سواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك عندهم ، بما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من عليك . « وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، أى عن الهدى أن يصيبوه أبداً ، يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وإن آمنوا بكل ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم .

فهذا في الأحبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته .

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض » ، أى شك « فزادهم الله مرضاً » ، أى شكاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » ، أى إنما تريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى « ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء

ولكن لا يعلمون ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم ، من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ماجاء به الرسول ، قالوا إنا معكم ، ، أى انا على مثل ما أنتم عليه ، إنما نحن مستهزون ، : أى إنما نستهزىء بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عز وجل : « الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون » .

تفسير ابن هشام لبعض غريب الألفاظ : قال ابن هشام يعمهون : يحارون . تقول العرب : رجل عمه وعامه : أى حيران . قال رؤبة بن العجاج يصف بلداً :

أعمى الهدى بالجاهلين العمه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعمه : جمع عامه : وأما عمه ، فجمعه : عمهون : والمرأة : عمهه وعمهه .
« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، : أى الكفر بالإيمان » فإرحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، .
قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلاً ، فقال تعالى « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، أى لا يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر اطفأوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أى لا يرجعون إلى الهدى ، صم بكم عمى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيدون نجات ما كانوا على ما هم عليه » أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، .

قال ابن هشام : الصيب : المطر ، وهو من صاب يصب ، مثل قولهم : السيد ، من ساد يسود ، والميت من مات يموت وجمعه : صيائب . قال علقمة بن عبدة ، احد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم :

كانهم صانت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديب

وفىها :

فلا تعدلى بينى وبين مغمر سقتك ووايا المزن حيث تصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل من الذى هم عليه من الخلف والنخوف لكم ، على مثل ما وصف ، من الذى هو فى ظلمة الصيب ، يجعل أصابعه فى آذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النعمة ، أى هو محيط بالكافرين « يكاد البرق يخطف أبصارهم ، : أى لشدة ضوء الحق وكلم أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين . « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، أى لما تركوا من الحق بعد معرفته » إن الله على كل شىء قدير ، .

ثم قال : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، للفريقين جميعاً ، من الكفار والمنافقين ، أى وحدوا ربكم » الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً ، والسماء بناء ، وأزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ، .

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال : واحدهم ند ، قال لبيد بن ربيعة :

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه . « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، أي في شك مما جاءكم به ، « فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، أي من استطعتم من أعيوانكم على ما أنتم عليه « إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فقد تبين لكم الحق « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم تقضى الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : « يا بني إسرائيل ، للاخبار من يهود « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، أي بلائي عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجابا به من فرعون وقومه « وأوفوا بعهدى ، الذي أخذت في أعناقكم لنبى أحمد إذا جاءكم « أوف بعهدكم ، أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم « وإياى فارهبون ، أي أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من الثنمات التي قد عرفتم ، من المسخ وغيره « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم « وإياى فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق به ، وأنتم تعلمون ، أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به « وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم « تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، أي أنتهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوبة والعهد من التوراة وتركون أنفسكم ، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى .

ثم عدد عليهم أحداثهم ، قد كر لهم العجل وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم . وإقالته إياهم ، ثم قولهم : « أرنا الله جهرة ، .

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنا . قال أبو الأخرز الحناني ، واسمه قتيبة :

يجهر أجواف المياه السدم

وهذا البيت فى أرجوزة له .

يجهر : يقول : يظهر الماء ويكشف عنه ، ما يستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاحفة إياهم عند ذلك لغرتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المن والسوى ، وقوله لهم : « ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، أى قولوا ما أمركم به أخط به ذنوبكم عنكم ، وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره ، وإقالته إياهم ذلك بعد هزئهم .

قال ابن هشام : المن : شيء كان يسقط في السحر على شجرهم ، فيجتفونه حلواً مثل العسل ، فيشربونه
ويأكلونه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعاماً فيهم نجماً

وهذا البيت في قصيدة له . والسلوى : طير ، واحدها : سلواة ، ويقال : إنها العجاني ، ويقال للعسل أيضاً :
السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلي :

وقاسمها بالله حقاً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها

وهذا البيت في قصيدة له . وحطة : أي حط عنا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبديلهم ذلك ، كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوءمة بنت أمية بن
خلف ، عن أبي هريرة ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دخلوا الباب
الذي أمروا أن يدخلوا منه سجداً يزحفون ، وهم يقولون حنط في شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة في شعيرة .

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت لهم منه اثنتا
عشرة عيناً : لكل سبط عين يشربون منها ، قد علم كل سبط عينه التي منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام :
« إن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وقومها ، » .

قال ابن هشام : القوم : الحنطة . قال أمية بن الصلت الثقفى :

فوق شيزى مثل الجوابى عليها قطع كالوذيل في نقي قوم

قال ابن هشام : الوذيل ، قطع الفضة والقوم : القمح ، واحده : قومه . وهذا البيت في قصيدة له .

« وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتم . »

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . ورفع الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ؛ والمسح الذي كان فيهم ، إذ جعلهم
قردة بأحدائهم ، والبقرة التي أراهم الله عز وجل بها العبرة في القتل الذي اختلفوا فيه ، حتى بين الله لهم أمره ،
بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة ، وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة .
ثم قال تعالى : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما
يهبط من خشية الله ، أي وإن من الحجارة لآلين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق » وما الله بغافل
عما تعملون .

ثم قال محمد عليه الصلاة والسلام ولئن معه من المؤمنين يؤسبهم منهم « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، وليس قوله يسمعون التوراة ، أن كلهم
قد سمعها ، ولكنه فريق منهم ، أي خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغني عن بعض أهل العلم : قالوا للموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمنا

كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم ، مرهم فليطم وا ، أو ليظهروا ثيابهم ، وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور ، فلما غشيم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجداً ، وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ماسمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : ان الله قد بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عز وجل إنما قال كذا وكذا ، خلافاً لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عز وجل .
رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : د وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه اليك خاصة .
د وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لاتحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفحون به عليهم ، فكان فيهم .
فأنزل الله عز وجل فيهم : د وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتاح الله عليكم ليحاوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ، ، أى تقرون بأنه نبي ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبركم أنه النبي الذى كنا ننتظر ونجد في كتابنا ، اجموده ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل :
د أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى . .

قال ابن هشام ، عن أبي عبيدة : إلا أمانى : إلا قراءة ، لان الأمانى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب فى قول الله عز وجل ، حدثنى أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة : أن العرب تقول : تمنى ، فى معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . . قال : وأنشدنى أبو عبيدة النحوى :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره وفى حمام المقادر

وأنشدنى أيضا :

تمنى كتاب الله فى الليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل

وواحدة الأمانى : أمنية . والأمانى أيضا : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن اسحاق : د وإن هم إلا يظنون ، : أى لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه ، وهم يحسدون نبوتك بالظن . د وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون ، .

قال ابن اسحاق : وحدثنى مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سهيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانما يعذب الله الناس فى النار بكل الف سنة من ايام الدنيا يوماً واحداً فى النار من ايام الآخرة ، وانما هى سبعة ايام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله من فى ذلك قولهم : د وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله

عده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحبط كفره بما له عند الله من حسنة . فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، أى خالد أبداً . . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، : أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال عز وجل يؤنبهم : . وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ، أى ميثاقكم . لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ، أى تركتم ذلك كله ليس بالمتنقص ، . وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، .

قال ابن هشام : تسفكون : تصبون ، تقول العرب : سفك دمه ، أى صبه ، وسفك الزق ، أى هراقه ، قال الشاعر :

وكننا إذا ما الضيف حل بأرضنا سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

قال ابن هشام : يعنى . بالحال ، : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة ، وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : . . آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، أخذ من حال البحر . وحماته ، فضرب به وجه فرعون .

قال ابن إسحاق . . ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقرتم وأنتم تشهدون ، على أن هذا حق من ميثاقى عليكم . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم . . وإن يأتوك أسارى تفسدوهم ، وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم . وهو محرم عليكم ، : فى كتابكم . لإخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، ، أى أفتادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفارا بذلك . فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون ، فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دماءهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قينقاع ولقبهم ، حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة ولقبهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، لا يعرفون الجنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالاً ولا حراماً ، فإذا وضعت الحرب أوزارها اقتدوا أسراهم تصديقاً لما فى التوراة ، وأخذ به بعضهم من بعض ، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم فى أيدي الأوس وفتدى النضير وقريظة ما فى أيدي الخزرج منهم ويطلقون ما أصابوا من الدماء ، وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك : . . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، ، أى تقاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفى حكم التوراة أن لا تفعل ، تقتله وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ، ويعبد الأوثان من دونه ،

ابتغاء عرض الدنيا ، ففي ذلك من فعلهم مع الأوس - فيما بلغنى - نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقيمنا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، أي الآيات التي وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً ياذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذي أحدث الله إليه . ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » ، ثم قال تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف » : في أكنة . يقول الله عز وجل : « بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . » .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به . يقول الله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » . بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، أي أن يجعله في غيرهم : « فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين » .

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أي اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل يسترها قبيلها

قال ابن هشام : يسترها : أجلستها للولادة ، وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة ، وهي معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي أحدث الله لإيهم .

ثم أنهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجل لها دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : « ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » ، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ما بقى على وجه الأرض يهودى إلا مات . ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » اليهود « ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » أي ما هو بمنجيته من العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودى قد عرف ماله في الآخرة من الخزى بما ضيع بما عنده من العلم ثم قال الله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك ياذن الله » .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابة لهم قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المسكى عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نقرأ من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فان فعلت ذلك تبعتناك وصدقناك وآمنا بك ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنني ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عما بدا
لكم ، قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النظفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نظفة الرجل بيضاء غليظة ، ونظفة المرأة صفراء رقيقة ،
فأيتما علت صاحبتهما كان لها الشبه ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه
عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنني لست به تمام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ،
قال : فكذلك نومي ، تمام عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرم لإسرائيل على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله
وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى
شكوى ، فعافاه الله منها ، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكر الله ، فحرم على نفسه لحوم الإبل
وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل
تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهم نعم : ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة
وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لا تبعناك ، قال : فأنزل الله عز وجل فيهم : **« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على
قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين »** . . . إلى قوله تعالى **« أو كلما عهدوا عهداً نبذه فريق
منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون »** ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون **« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان »** ، **« أى السحر
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر »** .

اليهود ينكرون نبوة داود عليه السلام ورد الله عليهم : قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم - فيما بلغني - لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعض أجهارهم ، ألا تعجبون من محمد ،
يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، والله ما كان إلا ساحراً : فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : **« وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا »** ، **« أى باتباعهم السحر وعملهم به »** وما أنزل على المسكين يبابل هاروت
وماروت وما يعلمان من أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذي حرم
إسرائيل على نفسه زائدتا السكبد والكليتان والشحم ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يقرب للقربان ،
فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود
خيبر ، فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء
به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، ولأنكم لتجدون ذلك في كتابكم : **« محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »** ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في
وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأنزله فاستغلظ
فأستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجرًا عظيمًا .

وإن أنشدكم بالله . وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أبيض البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتموني : هل تجدون فيما أنزله الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم . قد تبين الرشد من الغي ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذي قبله مثل الامهات . قال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

بمحنة قد آزر الضال نبتها بحر جيوش غائبين وخيب

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حميد بن مالك الارقط ، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة :

زرعا وقضبا مؤزر النبات

وهذا البيت في أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

مانزل في أبي ياسر وأخيه : قال ابن إسحاق : وكان من نزل فيه القرآن ، بخاصة من الاحبار وكفار يهود ، الذي كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فأتى أخاه حبي بن أخطب في رجاله من يهود ، فقال : تعلموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه ، «الم ذلك الكتاب ، فقالوا : أنت سمعته؟ فقال : نعم ، فشى حبي بن أخطب في أولئك للفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : «الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، مانعله بين لني منهم مامدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك ، فقال حبي بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفقدخولون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ، قال ماذا؟ قال : «المص» . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد سبعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال : نعم . قال : «المر» . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حق ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حبي بن أخطب ولين معه من الاحبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : «منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وآخر متشابهات» .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العلم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلت في نفر من يهود ، ولم يفسر ذلك لي ، فإله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود به وما نزل في ذلك : قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعضه ، فلما بعثه الله من الغرب كفروا به ، ووجدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر ابن البراء بن معرور ، أخو بني سلبة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث . وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعمرة الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

« أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون » .

وقال أبو صلوبا الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فتنبعك لها . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » .

وقال رافع بن حرمة ، وهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إننا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، ونجرب لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : « أم تريدون أن تسألوا رسوا . كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » .

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملاحد

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وكان حي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشد يهود العرب حسداً ، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير » .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أخبار يهود ، فتنازعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حرمة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل : فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، ووجد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون » .

مثل قولهم ، فأنه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، ، أى كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه .

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حريلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ، أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون . »

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهدي ، وقالت النصرارى مثل ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصرارى : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، ، ثم القصة إلى قول الله تعالى : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون . »

ما قاله اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبى رافع . والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما ولاك عن قبلك التى كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه ، أى ابتلاء واختباراً ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، أى من الفتن : أى الذين ثبت الله « وما كان الله ليضيع إيمانكم ، أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم لإياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيكم فيها : أى ليعطينكم أجرهما جميعاً » إن الله بالناس لرءوف رحيم ، .

ثم قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلندولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، . »

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده ، قال عمرو بن أحمز الباهلى - وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له :

تعدو بنا شطر جمع وهى عافدة قد كارب العقد من لإيفادها الحقبا
وهذا البيت فى قصيدة له .

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته .

إن النعوس بها داء مخامرهما فشطرها نظر العيين محسور

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .
وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا
الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك ، وما أنت بتابع قبالتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم ، إنك لإذأ لمن الظالمين .

قال ابن اسحاق : إلى قوله تعالى : « ولأنه للحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين » .

كتمانهم ما في التوراة : وسأل معاذ بن جبل : أخو بني سلة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل وخارجة
ابن زيد ، أخو بلحارث بن الخزرج ، نفرأ من أجبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن
يخبروهم عنه : فأنزل الله تعالى فيهم : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

جوابهم للنبي عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من
أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف :
بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيرأ منا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما
« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون » .

جمعهم في سوق بني قينقاع : ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يهود في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسلبوا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به
قريشاً ، فقالوا له : يا محمد ، لا يفرنك من نفسك أنك قتلت نفرأ من قريش ، كانوا أغمراً لا يعرفون القتال
انك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ،
وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

دخول صلى الله عليه وسلم بيت المدراس . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على
جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قاله
على ملة إبراهيم ودينه ، قالوا : فإن إبراهيم كان يهودياً ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهل إلى التوراة
فهي بيننا وبينكم ، فأبىا عليه ، فأنزل الله تعالى فيهما : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى
كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا : لمن تمسنا النار إلا أياماً
معدودات ، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » .

تنازع اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام : وقال أجبار يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأجرار : ما كان لإبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى من

أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ، » .

ما نزل في إيمانهم غدوة والكفر عشية : وقال عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة . ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلمهم يصنعون كما نضنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمونه الحق وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلمهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل إن الهدى هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ، قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ، والله واسع عليم ، » .

ما نزل في قول أبي رافع «أترید أن نعبدك كما تعبد النصراني عيسى» وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الاحبار من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الاسلام : أترید منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصراني عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له : الربيس ، أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو أمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله . ولا أمرني ، أو كما قال : فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : « ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون ، . . . إلى قوله تعالى : « بعد إذ أنتم مسلمون ، » .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني :

قال الشاعر :

لو كنت مرتها في القوس افتنتني منها الكلام ورباني أحبار

قال ابن هشام : القوس : صومعة الراهب . وأفتنتني ، لغه نميم . وفتنتني ، لغه قيس .

قال جرير :

لا وصل إذ صرمت هند ولو وقفت لاستزلتني وذا المسحين في القوس

أى صومعة الراهب . والرباني : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفي كتاب الله : « فيسقى ربه خمراً ، » ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، » .

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم : قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، إلى آخر القصة .

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار : قال ابن إسحاق : ومرو شامس بن قيس ، وكان شيخاً قد عسا ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، يعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ماؤم بها من قرار . فأمر فتي شاباً من يهود كان معهم ، فقال : أعمد لإيهم ، فاجلس معهم ، ثم أذكر يوم بعثت وما كان قبله وأنشدكم ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار .

يوم بعثت : وكان يوم بعثت يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشيلي ، أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، فقتلا جميعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد لجعت بذى حفاظ فعاودنى له حزن رصين
فإما تقتلوه فإن عمراً أعض برأسه غضب سنين

وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بعثت أطول مما ذكرت ، وإنما منعت من استقصائه ما ذكرت من القطع .

قال ابن هشام : سنين . مسنون ، من سنه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب ، أوس بن قبيطى ، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبار بن صخر ، أحد بني سلمة من الخزرج ، فتناولوا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، فغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعداً للظاهرة — والظاهرة : الحرة — السلاح السلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج لإيهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ، فعرف القوم أنها نزعمة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شامس بن قيس . فأنزل الله تعالى في شامس بن قيس وما صنع : **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ، وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .**

وأنزل الله في أوس بن قبيطى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شامس من أمر الجاهلية : **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .**

ما نزل في قولهم : ما اتبع محمداً إلا شرارنا : قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورجعوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أجبارة يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آباؤهم وذهبوا إلى غيره . فأزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » .

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : لني قال المتنخل الهذلي ، واسمه مالك بن عويمر ، يرثي أميلة ابنة :

حلو ومر كعطف القدح شيمته في كل لني قضاء الليل يفتعل

وهذا البيت في قصيدة له . وقال لبيد بن ربيعة يصف حمار وحش :

يطرب آناء النهار كأنه غوى سقاه في التجار نديم

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : لني مقصور فيما أخبرني يونس .

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين » .

ما نزل في نهى المسلمين عن مباينة اليهود : قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالات اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف ، فأزل الله تعالى فيهم ينههم عن مباينتهم .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يآلؤنكم خيالا ودوا ما عتتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » هاتم أولاء تحبونهم ، ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، « أي تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من السكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم » وإذا لفوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا نامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إلى آخر القصة .

دخول أبي بكر بيت المدراس : ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ؛ وكان من علمائهم وأجبارهم ، ومعه حبر من أجبارهم ، يقال له : أشيع : فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكترباً عندكم في التوراة والانجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه لإلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع الينا ، وأنا عنه لا غنى ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أهوالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا . قال فغضب أبو بكر ، فغضب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسى بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أي عدو الله قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيماً ،

لأنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله بما قال ، وضربت وجهه : فجحد ذلك فنحاصه ، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه ، وتصديقاً لآبي بكر : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب : « ولتستمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من حزم الأمور » .

ثم قال فيما قال فنحاص والاحبار معه من يهود : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبدوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ، يعني فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الاحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس : علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا » .

أمر اليهود المؤمنين بالبخل : قال ابن إسحاق : وكان كردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة ابن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبحري بن عمرو ، وحبي بن أخطب ، ورفاعة بن التابوت ، يأتون رجلاً من الانصار كانوا يخاطبونهم ، ينتصحنون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون ، فأنزل الله فيهم : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، أى من التوراة ، التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، . . . إلى قوله : « وكان الله بهم عليماً » .

جحد اليهود للحق : قال ابن إسحاق : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه ، فأنزل الله فيه : « ألم تر إلى الذين أتوا الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن يضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم ، وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم ، وطعنا في الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمعوا وانظرونا ، لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم : عبد الله بن صوريا الاعور ، وكعب ابن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق ، قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد : فجحدوا ما عرفوا ، وأصروا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنرد ما على أدبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً » .

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فنسويها ، فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ، ولا شيء مما يرى في الوجه ، وكذلك « فطمسنا أعينهم » ، المطموس العين : الذي ليس بين جفنيه شق ، ويقال طمست الكتاب والآثر ، فلا يرى

منه شيء : قال الأخطل ، واسمه الغوث بن هبيرة بن الصلت التغلبي ، يصف لإبلا كأنها ما ذكر :
وتسكليفناها كل طامسة الصوى شطون ترى حرباءها يتملبل
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : واحدة الصوى : صوة . والصوى : الأعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول : مسحت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شيء ناق .

من حزبوا الأحزاب : قال ابن إسحاق : وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حبي
ابن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأبو عمار ووحوش بن عامر
وهوذة بن قيس . فأما وحوش ، وأبو عمار ، وهوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا
على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسألوهم : دينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم
فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه ومن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : وألم تر إلى الذين أتوا
نصيياً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت .

قال ابن هشام : الجبت ما عبد من دون الله تبارك وتعالى . والطاغوت : كل ما أضل عن الحق . وجمع الجبت :
جبتوت ، وجمع الطاغوت : طاوغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .
« ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . »

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم
الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ما كآبوا عليه . »

إنكار اليهود للتنزيل : قال ابن إسحاق : وقال سكين وعدى بن زيد : يا محمد ، ما نعلم أن الله أنزل
على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا لى نوح
والنبيين من بعده ، وأوحينا لى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس
وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل . ورسلاً لم نقصصهم عليك ،
وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً .
ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنى رسول من الله
إليكم ، قالوا : ما نعلمه ، وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك
أنزله بعهده والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيذاً . »

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
بنى النضير يستعينهم في دية العامرين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن نجدوا
محمدأ أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فبريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش
ابن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد

هو وقومه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ادعائهم أنهم أحياء الله : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاس بن عدى ، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نعمته ، فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحبائه . كقول النصارى . فأنزله تعالى فيهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه : قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » .

انكارهم نزول كتاب بعد موسى : قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم غير الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عباد وعقبة بن وهب : يا معشر يهود : اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعملون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حريرة . ووهب بن يهودا : ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزله تعالى في ذلك من قولها : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير » .

ثم فص عليهم خبر موسى وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرجم : قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مزينة من أهل العلم ، يحدث سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجل منهم بعد احصانه بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسأله كيف الحكم فيهما : وولوه الحكم عليهما ، فان عمل فيهما بما حكمكم من التجبية - والتجبية : الجلد بجبل من ليف مطلى بقار ، ثم تسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فاتبعوه ، فانما هو ملك ، وصدقوه ، وان هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه . فأتوه ، فقالوا : يا محمد ، هذا رجل قد زنى بعد احصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد وليناك الحكم فيهما ، فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال : يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن سوريا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني قريظة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن سوريا ، أبا ياسر ابن أخطب ، ووهب بن يهودا ، فقالوا هؤلاء علينا . فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصل أمرهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن سوريا : هذا من أعلم من بقي بالتوراة .

قال ابن هشام : من قوله : « وحدثني بعض بني قريظة - إلى أعلم من بقي بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذي قبله .

غلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاماً شاباً من أحدشهم سنناً فأظف به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يا بن سوريا ، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بنى اسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم في التوراة ؟ قال اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم انهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك . قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بنى غنم ابن مالك بن النجار . ثم كفر بعد ذلك ابن سوريا ، ووجد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، أى : الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا ، وأمروهم بما أمرهم به من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال : « يعرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم توتوه ، أى الرجم فاحذروا ، إلى آخر القصة .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن يزيد بن ركانة عن اسماعيل بن طلحة بن ابراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده . فلما وجد اليهودى مس الحجارة قام الى صاحبته ، فجنأ عليها ، يقبها مس الحجارة ، حتى قتلا جميعاً . قال : وكان ذلك بما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا منهما .

قال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر ، لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجاس خبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يابى الله آية الرجم ، يابى أن يتلوها عليك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أما والله إنه قد كان فينا يعمل به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه ، من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فنعاه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل بعده ، فأراد أن يرحمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلاناً ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأما توا ذكر الرجم والعمل به . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أول من أحيى أمر الله وكتابه وعمل به ، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده . قال عبد الله بن عمر : فكننت فيمن رجمهما .

ظلمهم في الدية : قال ابن اسحاق : وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً » وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ، إنما أنزلت في الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير ، وكان لهم شرف ، يؤدون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدية ، فتعاضدوا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك ، فجعل الدية سواء .

قاو ابن اسحاق : فاقت أعلم أى ذلك كان .

رغبتهم في فتنه الرسول عليه السلام : قال ابن اسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله ابن سوريا ، وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ،

فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أجبار يهود وأشرافهم وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحنا كههم لإليك فتتقى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون » . أحكم الجاهلية يبعون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

انكارهم نبوة عيسى عليه السلام : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وعخاله ، وزيد ، ولما زار بن أبي أزار ، وأشبع ، فسألوه ممن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » . فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا تؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل ياهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ، وأن أكثرهم فاسقون » .

ادعاءهم أنهم على حق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم . ومالك ابن الصيف ، ورافع بن حريملة ، فقالوا : يا محمد ، ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكنتم منها ما أمرتم أن تدينوه للناس ، فبرئت من إحدائكم ، قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا ، فانا على الهدى والحق ، ولا تؤمن بك ، ولا تتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : « قل ياهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليكم من ربكم ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأس على القوم الكافرين » .

إشراكهم بالله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحري بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفي قواهم : « قل : أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، إنكم لتشبهون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد ، وإنني بريء مما تشركون ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » .

نهي الله المؤمنين عن موادتهم : وكان رفاعة بن زيد بن النابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ووافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعاباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . . . إلى قوله : « وإذا جاءكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون » .

سؤالهم عن قيام الساعة : وقال جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ، أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : « يسألونك عن الساعة »

أيان مرساها ، قل إنما عليها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لا تاتيكم إلا بشفة ، يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما عليها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال ابن هشام : أيان مرساها : متى مرساها . قال قيس بن الحدادية الخزاعى :

جئت وحنى السر بينى وبينها لاسألها أيان من سار راجع ؟

وهذا البيت فى قصيدة له : ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مراس ، قال السكيت بن زيد الاسدى :
والمصيين باب ما أخطأ الناس ومرسى قواعد الإسلام

وهذا البيت فى قصيدة له ومرسى السفينة : حقى تنتهى . وحنى عنها - على التقديم والتأخير - يقول :
يسألونك عنها كأنك حفى بهم فتحبرهم بما لا تخبرهم غيرهم . والحنى : البر المتعمد . وفى كتاب الله : إنه كان فى حفىا . وجمعه : أحفيا وقال أشفى بن قيس بن ثعلبة :

فان تسألنى حفى فيارب سائل حفى عن الاعشى به حيث أصعدا

وهذا البيت فى قصيدة له . والحنى أيضاً : المستحفى عن علم الشيء ، المبالغ فى طلبه .

ادعأؤهم أن عزيراً ابن الله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ، ونعمان ابن أوفى ابوانس ، ومحمود بن دحية ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا له : كيف تتبمك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لاتزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون ، الى آخر القصة .

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتاباً من السماء : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان ، ونعمان ابن أضاء ، وبجرى بن عمرو ، وعزير بن أبى عزير ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإننا لانراه متسقاً كما تنسق التوراة ؟ فقال : لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ، فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فنخاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صلوبا ، وكسانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينه : يا محمد ، أما يعلىك هذا إنس ولاجن ؟ قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، ولانى لرسول الله ، تجدون ذلك مكتوباً عندكم فى التوراة ، فقالوا : يا محمد ، فان الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه ، ولا لاجئناك بمثل ما أتى به : فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

قالى ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى تعاونوا عليه . قال الشاعر :

ياسمى النبى أصبحت للدي - ن قواما وللإمام ظهيراً

أى عوناً ، وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين : قال ابن إسحاق : وقال حي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع وأشيع ، وشمويل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة فى العرب ولسكن صاحبك ملك ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، بما كان قص على قريش ، وهم كانوا عن أمر قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا لئليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط .

تهجمهم على ذات الله : قال ابن إسحاق : وحدثني عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق ، الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه ، فقال : خفض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه : وقل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سأله . يقول الله تعالى : وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم . مولى بنى تميم ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : وقل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ، ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليستعد بالله من الشيطان الرجيم .

قال ابن هشام : الصمد : الذى يصمد إليه ، ويقرع إليه ، قالت هند بنت معبد بن نضلة تبكى عمرو بن مسعود ، وخالد بن نضلة ، عمهما الأسديين ، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي ، وبني الغريين اللذين بالكوفة عليهما :
ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

بدء الأذان

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ، وأكثر النسب يقولون بن زيد بن عبد ربه ، وثعابة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كناقوس النصرى ، وقال بعضهم : بوق كبوق اليهود ، وفى غير السيرة أنهم ذكروا الشبور ، وهو البوق . قال الأصمى للمفضل ، وقد نازعه فى معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأصمى لو نفخت فى الشبور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصب ا .

وذكروا أيضاً القنق وهو القرن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القبع والقنق أولى بالصواب ، لأنه من أقنق صوته إذا رفعه ، وقال بعضهم : بل نوقد نارا ، ونرفعها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلا ينادى بالصلاة ، فبينما هم فى ذلك أرى عبد الله بن زيد الرؤيا التى ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يلقيها على بلال ، قال : يا رسول الله أنا رأيتها ، وأنا كنت

أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذن بلاك ، ولتقم أنت ، ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ويقم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصدقي حين قال له النبي - صلى الله عليه وسلم : من أذن فهو أحق أن يقيم ، في حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي وهو ضعيف ، والاول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الانصار أن عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ، ولولا ذلك لأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأذان ، وقد تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه ، ولم يكن عن وحى من الله لنبية كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - له : إنها رؤيا حق ، ثم بنى حكم الأذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحى من الله له ، أم لا ؟ وليس في الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وحى ، وتكلموا : لم يؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن فظ مرة من عمره دهره أم لا ؟

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الإسراء ، وأسمعه مشاهدة فوق سبع سموات ، وهذا أقوى من الوحي ، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة ، وأرادوا لإعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا ، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلذلك قال : إنها رؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مراد الحق بما رآه في السماء ، أن يكون سنة في الأرض ، وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر الأنصاري مع أن السكينة تنطق على لسان عمر وافترض الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لعبده ، والرفع لذكوره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنونه به وأخف لشأنه ، وهذا معنى بين فإن الله سبحانه يقول : « ورفعنا لك ذكرك » فن رفع ذكره أن أشاد به على لسان غيره ، فإن قيل : ومن روى أنه أرى النداء من فوق سبع سموات ، قلنا : هو في مسند أبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعا وإجازة عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمرى بإسناده إلى البزار : قال البزار : نا محمد بن عثمان بن مخلد ، نا أبي عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت ، فقال لها جبريل : اسكني فوالله ما ركبتك عبد أكرم على الله من محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن - تبارك وتعالى - قال : فبينما هو كذلك ، اذ خرج ملك من الحجاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا جبريل من هذا ؟ فقال والذي بعثك بالحق إنني لأفرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملك ما رأيت منذ خلقت قبل ساعتى هذه ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا ، قال : فقال الملك : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا ، قال الملك حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، ثم قال الملك : الله أكبر الله أكبر ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا لا إله إلا أنا ، قال : ثم أخذ الملك بيد محمد - صلى الله عليه وسلم - فقدمه فأمر أهل السماء ، فيهم آدم ونوح ، قال أبو جعفر محمد بن علي : يومئذ أكل الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الشرف على أهل السموات والأرض .

قال المؤلف: وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشأ كله من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها ، قد جمعا ذلك الحديث ، أعنى الإسراء ، لأن الله - سبحانه - رفع الصلاة التي هي مناجاة عن أن تفرض في الأرض ، لكن بالحضرة المقدسة المطهرة ، وعند الكعبة العليا ، وهي البيت المعمور ، وقد ذكرنا طرفاً من هذا الغرض ، ونبدأ من هذا المقصد في شرح حديث الإسراء وينضاف إليها في هذا الحديث ذكر الأذان الذي تضمنه حديث البزار مع ما روى أيضا أنه مر وهو على البراق بملائكة قيام ، وملائكة ركوع ، وملائكة سجود وملائكة جلوس ، والكل يصلون لله ، فجمعت له هذه الأحوال في صلاته ، وحين مثل بالمقام الأعلى ، ودنا فتدلى أهم أن يقول : التحيات لله إلى قوله . الصلوات لله ، فقالت الملائكة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجمع ذلك له في تشهده .

وانظر بقلبك كيف شرع له عليه السلام ولائته أن يقولوا تسع مرات في اليوم واللييلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويمحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ، ومن ثم قال: الطيبات المباركات ، كما في رواية ابن عباس في التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحي تسع مرات ، حيثه ملائكة كل سماء ، وحياهم ، ثم ملائكة الكرسي ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسع ، فجعل التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلم فيها وسلم عليه ، وكلها تحيات لله ، أي : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نكت ذكرناها في شرح سبحان الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعض عرفت جملة من أسرار الصلاة وفوائدها الجليلة دون الخفية ، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث الإسراء من أنوارها ، وما في الأذان من لطائف المعاني والحكم ، وقول : لا إله إلا الله في آخره ، وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله ، وما تحت هذا كله من الحكم الإلهية التي تملأ الصدور هيبه وتنور القلوب بنور المحبة ، وكذلك ما تضمنته الصلاة في شفعا وتترها والتكبير في أركانها ، ورفع اليدين في افتتاحها ، وتخصيص البقعة المسكومة بالتوجه إليها ، مع فوائده الوضوء من الأحداث لها ، فإن في ذلك كله من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد في تلج الصدور ، ويكحل عين البصيرة بالضياء والنور ، ونعوذ بالله أن نزع في ذلك بمنزعة فلسفي أو مقالة بدعي ، أو رأى مجرد من دليل شرعي ، ولكن بتلويحات من الشريعة ، وإشارات من الكتاب والسنة يعضد بعضها بعضا ، وينادي بعضها بتصديق بعض : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، لكن أضربنا في هذا الكتاب عن بث هذه الأسرار ، فإن ذلك يخرج عن الغرض المقصود ، ويشغل عما صمدنا إليه في أول الكتاب ، ووعدنا به الناظر فيه من شرح لغات وأنساب وآداب ، والله المستعان .

وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن إسحاق وغيره ، ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين أرى النداء ، وقد قال : قد رأيت مثل الذي رأى ؛ لكن في مسند الحارث بيان لها . روى الحارث في مسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أول من أذن بالصلاة جبريل أذن بها في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبره بها ، فقال عليه السلام لبلال : سبقك بها عمر ، وذكر باقي الحديث أن عمر سمع ذلك في اليقظة ، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان رآها ، وهو بين النائم واليقظان . قال : ولو شئت لقلت : كنت يقظانا .

فصل : وأما قول السائل : هل أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنفسه قط ، فقد روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح يرفعه إلى أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذن في سفر ، وصلى بأصحابه وهم على رواحلهم ، السماء من فوقهم والبلة من أسفلهم ، فنزع بعض الناس بهذا الحديث إلى أنه أذن بنفسه ، وأسنده الدارقطنى بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عمر بن رماح ، ووافقه فيما بعده من إسناد ومتن ، لكنه قال فيه : فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمتصل يقضى على الجملة المحتمل ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبى أنس

واسم أبى أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار الأنصارى ، وهو الذى أنزل الله فيه ، وفي عمر رضى الله عنهما : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، إلى قوله » وعفا عنكم ، فهذه فى عمر ، ثم قال « وكلوا واشربوا ، إلى آخر الآية ، فهذه فى صرمة بن أبى أنس ، وذلك أن اتيان للنساء ليلا فى رمضان كان محرما عليهم فى أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأكل والشرب كان محرما عليهم بعد النوم فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له : لاني قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صرمة فإنه عمل فى حائضه وهو صائم ، فجاء الليل وقد جهده الكلال فغلبته عينه قبل أن يفطر ، فجاءته امرأته بطعام كانت قد صنعت له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : الخيبة لك حرم عليك الطعام والشراب فبات صائما ، وأصبح إلى حائضه يعمل فيه ، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طليح قد جهده العطش مع ما به من الجوع والنصب ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بقصته فرق له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأنزل الله تعالى الرخصة ، وجاء الفرج . بدأ بقصة عمر لفضله ، فقال : « فالآن باشروهن ، ثم بصرمة فقال : « وكلوا واشربوا ، قال بعض أشياخ الصوفية : هذه العناية من الله أخطأ عمر خطيئة فرحت الأمة بسببها .

شرح شعره : وذكر من شعر صرمة :

وأعراضكم والبر بالله أول

فأوصيكم بالله والبر والتقى

برفع البر على الابتداء ، وأول خبره ، وقد يحتمل فى الظاهر أن يكون ظرفا فى موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك فى هذه الظروف المبينة على الضم أن تكون خبر المبتدأ ، لا تقول : الصلاة ، قبل إلا أن تقول : قبل كذا ، ولا الخروج بعد إلا أن تقول : بعد كذا ، وذلك لسر دقيق قد حوم عليهما ابن جنى فلم يصب المفصل ، والذى منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملفوظ بها لأنها غايات لأفعال متقدمة ، فإذا لم تأت بفعل يعمل فيها ، لم تكن غاية لشيء مذکور ، وصار العامل فيها معنويا ، وهو : الاستقرار ، وهى مضافة فى المعنى إلى شيء ، والشيء المضاف إليه معنوى ، لا لفظى ، فلا يدل العامل المعنوى على معنوى آخر ، إنما يدل عليه الظاهر اللفظى ، فتأمل ، فالضمة فى أول على هذا حركة إعراب ، لا حركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أول لكانت حركة بناء ، لكن من رواه : والبر بالله أول بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم .

وفيه : وإن أتم أمرتم فتعففوا ، الإعمار : الفقر .

ومن شعره :

طلعت شمس كل هلال

صبحوها الله شرق كل صباح

الشرق : طلوع الشمس : وهو من أسمائها أيضا ، وكذلك الشرق بفتح الراء وكل هلال بالنصب على الظرف ،
أى : وقت كل هلال ، ولو قلت فى مثل هذا : وكل قر على الظرف ، لم يجوز ، لأن الهلال قد أجرى مجرى المصادر
فى قولهم : الليلة الهلال ، فلذلك صح أن يكون ظرفاً لأن المصادر قد تكون ظرفاً لمعان وأمرار ليس هذا موصفاً
لذكرها ، ولو خفضت وكل هلال عطفاً على صباح ، لم يجوز لأن الشرق لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .
وفيه :

وله شمس النصارى

يعنى دين الشمامسة ، وهم الرهبان لأنهم يشتمسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك فى زعمهم .
وفيه :

يا بنى الأرحام لا تقطعوها

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع انتهى .
وقوله :

وصلوها قصيرة من طوال

وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله ، وأملينا أيضا فى معنى الرحم واشتقاق الام
لإضافة الرحم إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء ، وكون الام أعظم حظا فى البر من الآب ، مع أنها فى
الميراث دونه أسراراً بديعة ، وممانى لطيفة أودعتها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .
وأما قوله : قصيرة من طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صلوا قصرها من طولكم ، أى : كونوا
أنتم طوالا بالصلة والبر إن قصرت هى ، وفى الحديث : أسر عكن لحوقا بنى : أطولسكن يد أراد الطول بالصدقة
والبر ، فكانت تلك صفة زينب بنت جحش ، والتأويل الآخر : أن يريد مدحا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ،
ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لها نسب فى الصالحين قصير

وقال الطائي :

أنتم بنو النسب القصير وطولكم باد على الكبرياء والأشراف

والنسب القصير : أن يقول : أنا ابن فلان فيعرف ، وتلك : صفة الأشراف ، ومن ليس بشريف لا يعرف
حتى يأتى بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة . وقد قال رؤبة : قال لى النسابة : من أنت انتسب ، فقلت : رؤبة
ابن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت . وقوله :

إن خزل التخوم ذو عقال

التخوم : جمع : تخومة ، ومن قال : تخم فى الواحد ، قال فى الجمع تخوم بضم التاء ، وأراد بها الأرف وهى
الحدود ، وقال أبو حنيفة : التخوم والتخوم : حدود البلاد والقرى ، ولم يذكر فى حدود الاحقال الأرف .
والعقال . ما يمنح الرجل من المشى ، ويعقلها يريد أن الظلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ، ويحبسه فى مضائق الاحتقاق .
وذكر قصيدته الياثية ، وقال فيها : فطأ معرضاً . البيت ، قال ابن هشام : هو لافنون التغلبى ، واسمه صريم

ابن معشر . قال المؤلف وسمى أفنوناً في قول ابن دريد لبيت قاله فيه :
منيتنا الود يا أفنون مطنونا

أو نحو هذا اللفظ . والأفنون : الغصن الناعم ، والأفنون أيضاً العجوز الفانية ، وأفنون هو الذي يقول :

لو أنني كنت من عاد ومن لرم	غذى بهم ولقمان وذى جدن
لما وقوا بأخيهم من مهولة	أخا السكون ولاجاروا عن السنن
أنى جزوا عامراً سوى بفعلهم	أم كيف يجزوننى السوءى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به	رئمان ألف إذا ماضن باللن

وقول ابن هشام في البيتين : فطأ معرضاً والذي بعده أنهما لأفنون التغلبي مذكور عند أهل الأخبار ، ولها سبب ذكروا أن أفنوناً خرج في ركب ، فرأوا بربرة تعرف : بالإلهة وكان الكاهن قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها ، فر في ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأعلم باسمها ، كره المرور بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يبروا بها ، وقالوا له : لا تنزل عندها ، ولكن نجوزها سعيماً ، فلما دنا منها بركت به ناقته على حية ، فنزل لينظر فنهشته الحية ، فأت فقبره هنالك ، وقيل في حديثه : إنه مر بها ليلاً ، فلم يعرف بها حتى ربض البعير الذي كان عليه . وعلم أنه عند الإلهة لجرع ، فقيل له : لا بأس هليك ، فقال فلم ربض البعير ، فأرسلها مثلاً . ذكره يعقوب ، وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبعدهما :

كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة وأترك في جنب الإلهة ثاويًا

تسميه اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جدى بن أخطب . بالجيم ، وهو أخو حي بن أخطب ، وأما حدى بالحاء ، فذكره الدارقطني في نسب حنيفة بن الحارث بن شهاب بن حدى التيمي فارس العرب .
وذكر عزيز بن أبي عزيز وأقيت بخط الحافظ أبي بحر في هذا الموضع يقول عزيز بن أبي عزيز ، بزيين قيدها في الجزء قبل .

وذكر ثعلبة بن الفطيون والفطيون كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من ولى أمر اليهود ، وملسكهم ، كما أن النجاشي عبارة عن كل من ملك الحبشة ، وخافان ملك الأترك ، وقد تقدم من هذا الباب جملة .

وذكر فيهم عبد الله بن سوريا الأعور ، وكان أعلمهم بالتوراة ، ذكر النقاش أنه اسلم لما تحقق من صفات محمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة وأنه هو وليس في سيرة ابن إسحاق ذكر لإسلامه .

يهود المدينة : فصل : وقوله : ومن يهود بنى زريق ، ومن يهود بنى حارثة . وذكر قبائل من الأنصار ، وإنما اليهود بنو إسرائيل ، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنعام بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع غير أن في الأوس والخزرج من قد تهود ، وكان من نسايتهم من تنذر إذا ولدت إن عاش ولدها أن تهوده ، لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب ، وفي هؤلاء الأبناء الذين تهودوا نزلت « لا إكراه في الدين ، أراد آبائهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال .

ليبيد يسحر الرسول صلى الله عليه وسلم : وأما ليبيد بن الأعصم ، الذى ذكره من يهود بنى زريق ، وقال : هو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسا به يعنى من الأخذة ، وهى ضرب من السحر . فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية ، وكان مؤخذاً عن مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يدخله ، وكان ليبيد هذا قد سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره فى مشط ومشاطة ، وروى : مشاقة بالقاف ، وهى مشاقة الكتان ، وجف طلعة ذكر ، هى لخال النخل ، وهو ذكاره . والجف : غلاف للطلعة ، ويكون لغيرها ، ويقال للجف للقياء وتصنع منه آنية يقال لها : التلاتل قاله أبو حنيفة ودفنه فى بشر ذى أروان : وأكتر أهل الحديث يقولون : ذروان تحت راعوفة البشر ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائى ، وهذا الحديث مشهور عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة : كم لبث - رسول الله صلى الله عليه وسلم - بذلك السحر ، حتى شفى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع معمر بن راشد روى معمر عن الزهرى ، قال : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيّل إليه أنه يفل الفعل ، وهو لا يفعله وقد طعن المتعزلة فى الحديث وطوائف من أهل البدع ، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يسحروا ، ولو جاز أن يسحروا ، لجاز أن يحنوا ، ونزع بعضهم بقوله عز وجل : « والله يعصمك من الناس ، والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولا مطعن فيه من جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العصمة إنما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانهم ، فإنهم يبتلون فيها ، ويخلص لإلهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ، والأخذة التى أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الفن ، إنما كانت فى بعض جوارحه دون بعض .

وأما قوله سبحانه : « والله يعصمك من الناس ، فإنه قد روى أنه كان يحرس فى الغزو ، حتى نزلت هذه الآية ، فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه ، وقال : لا حاجة لى بكم ، فقد عصمى الله من الناس ، أو كما قال .

ما يؤخذ من الثقة فى حديث السحر : وأما ما فيه من الفقه ، فإن عائشة قالت له : هلا تنشرت ، فقال : أما أنا فقد شفى الله ، وأكره أن أثير على الناس شراً ، وهو حديث مشكل فى ظاهره ، وإنما جاء الإشكال فيه من قبل الرواة ، فإنهم جعلوا جوابين لكلامين كلاماً واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضاً : هلا استخرجته ، أى : هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة ، حتى ينظر إليه ، فلذلك قال : وأكره أن أثير على الناس شراً ، قال ابن بطال : كره أن يخرج ، فيتعلم منه بعض الناس ، فذلك هو الشر الذى كرهه .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشر غير هذا ، وذلك أن الساحر كان من بنى زريق ، فلو أظهر سحره للناس ، وأراهم إياه لأوشك أن يريد طائفة من المسلمين قتله ، ويتعصب له آخرون من عشيرته فيشور شركا تار فى حديث الإفك من الشر ما سياتى بيانه .

وقول عائشة : هلا استخرجته هو فى حديثين رواهما البخارى جميعاً ، وأما جوابه لها فى حديث : هلا تنشرت : بقوله أما أنا فقد شفى الله ، وجوابه لها حين قالت : هلا استخرجته : بأن قال : أكره أن أثير على الناس شراً ، فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد استغلق الكلام ، وإذا نظرت الأحاديث متفرقة تبينت ، وعلى هذا النحو شرح هذا الحديث ابن بطال .

وأما الفقه الذى أشرنا إليه فهو لإباحة النشرة من قول عائشة : هلا تنشرت ، ولم ينكر عليها قولها .

وذكر البخارى عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن النشرة الذى يؤخذ عن أهله ، فقال : لا بأس لم ينه عن

الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل . ومن الناس من كره النشرة على العموم ، ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعاً . أن النشرة من عمل الشيطان ، وهذا - والله أعلم - في النشرة التي فيها الخواتم والعزائم ، وما لا يفهم من الأسماء العجمية ، ولولا الإطالة المخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة بالآثار ، وهذا القدر كاف ، والله المستعان . وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة ، فأُنزل الله تعالى المعوذتين لإحدى عشرة آية ، فأحلت بكل آية عقدة ، قال تعالى : « ومن شر النفاثات في العقد » ، ولم يقل النفاثين ، وإنما كان الذي سحره رجلاً والجواب : أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضي ، وزاد في روايته أن زينب اليهودية أعانت لبيد بن الأعصم على ذلك السحر ، مع أن الأخذ في الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سلام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين لأن السلام من أسماء الله ، فيقال عبد السلام ، ويقال سلام بالتشديد ، وهو كثير ، وإنما سلام بالتخفيف في اليهود ، وهو والد عبد الله بن سلام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : « إنى لأجد نفس الساعة بين كتفي » ، وفي معنى قوله : « نذير لكم بين يدي عذاب شديد » ، ومن كان بين يدي طالبه ، فنفس الطالب بين كتفيه ، وكان النفس في هذا الحديث عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدؤها حين ولي أمته ظهره خارجاً من بين ظهرانيهم إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول في حديث آخر : « وأنا أمان لأمي ، فإذا ذهبت أتى أمي ما يوعدون ، فكانت بعده الفتنة ثم المخرج المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بعثت أنا والساهه كهاتين ، يعني السبابة والوسطى ، وهو حديث يرويه أنس بن مالك ، وابن بريده عن أبيه ، وجبير بن مطعم ، وجابر بن سمرة وأبو هريرة وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسبابة وفي بعض ألفاظ الحديث : « إن كادت لتسبقني » . ورواه أيضاً : أبو جبيرة فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والسبابة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة ، أو في نفس الساعة ، خرجها الطبري بجميع أسانيدها ، وبعضها في الصحيحين ، وفي بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها ، وهي بما أغضه أبو عمر في كتاب الصحابة ، وقد استدر كناها عليه في جملة الاستدرا كات التي أحقناها بكتابه .

وذكر حديث مخيريق ، وقال فيه : مخيريق خير يهود ، ومخيريق مسلم ، ولا يجوز أن يقال في مسلم : هو خير النصارى ، ولا خير اليهود ، لأن أفعل من كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا : لأنه قال خير يهود ؛ ولم يقل خير اليهود ، ويهود اسم علم كشمود ، يقال : « إنهم نسبوا إلى يهود بن يعقوب ، ثم عربت الذال دالا ، فاذا قلت : اليهود بالالف واللام ، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية ، أما النسب فعلى حد قولهم التيم في التيمين . وأما الدين فعلى حد قولك : النصارى والمجوس أعنى : أنها صفة ، لا أنها نسب إلى أب . وفي القرآن لفظ ثالث ، لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو الدين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى » . بخذف الياء ، ولم يقل : كونوا يهوداً لأنه أراد اليهود ، وهو التدين بدينهم ، ولو قال : كونوا يهوداً بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل

لقوم من العرب : كونوا يهود بغير تنوين ، لكان محالاً ، لأن تبادل النسب حقيقة محال ، وقد قيل في هود : جمع هائد ، وهو في معنى ما قلناه ، فلتعرف الفرق بين قولك هوداً بغير ياء ، ويهود بالياء والتنوين ، ويهود بغير تنوين ، فانها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يسلم من أحبار يهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنتان . وقد جاء في الحديث : لو اتبعني عشرة من اليهود لم يبق في الأرض يهودى إلا اتبعني . رواه أبو هريرة . وسمع كعب الأحبار أبا هريرة يحدث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عشر من اليهود ، ومصداق ذلك في القرآن « وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ، فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة أضدق من كعب . قال يحيى بن سلام كلاهما : صدق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر بعض المنافقين : فصل : وذكر نبتلا من المنافقين ، قال : وكان أدلم ، والأدلم الأسود الطويل من كل شئ . وقيل لجماعة النمل : ديلم ، لسوادهم - من كتاب العين .

وذكر الحارث بن سويد ، وقتله للجندر بن زياد - واسم الجندر : عبد الله ، والمجذر : الغليظ الخلق . وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده : « كيف يهدى الله قوما كفرُوا بعد إيمانهم ، فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سبها مخصوصة بمن سبق في علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم ، فقبلت توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدى الله ، ولم يقل لا يهدى الله ، على أنه قد قال في آخرها : « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور التام يوم القيامة ، فإن ذلك منتف عن مات غير تائب من كفره وظلمه . والله أعلم .

ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر أن الله أنزل فيه : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، وكان من قصة الدرعين ، وقصة بشير أن بنى أبيرق ، وهم ثلاثة بشير ومبشر وبشر نقبوا مشربة أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن إسحاق ، وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدرعاه ، وطعاماً فعرث على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكو بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين ، فأبنوهم بالسرقه ، ورموهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتادة ورفاعة ، فأنزل الله تعالى : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » ، وأنزل الله عز وجل : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً ، وكان البريء الذي رموه بالسرقه ليبيد بن سهل : قالوا : ما سرقناه ، وإنما سرقه ليبيد بن سهل ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل ، هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد ، فقال فيها حسان بن ثابت بيتاً ، يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لي شعر حسان ، وأخذت رحله ، فطرحت خارج المنزل ، وقالت : حلقت وسلقت وخرقت إن بت في منزلي ليلة سوداء ، فهرب إلى خير ، ثم إنه نقب بيتاً ذات ليلة ، فسقط الحائط عليه فات . ذكر هذا الحديث بكثير من ألقاظه الترمذى ، وذكره الكشي والطبري بألفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طعمة بن أبيرق وفي كتب الحديث : بشير بن أبيرق ، وقال

ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بشير أبو طعمة إذا أسما له ، وإنما هو أبو طعمة ، كما ذكر ابن إسحاق في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر ، كما قال ابن سلام ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ : ما فارق محمد آمن أصحابه من فيه خير . والآيات التي روى بها حسان المرأة ، وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وما سارق الدرعين إذ كنت ذا كراً بذى كرم من الرجال أو أدعه
وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ينازعها جاراستها وتنازعه
ظننتم بأن يخفي الذي قد صنعتم وفيكم نبي عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيت في كتاب سيديويه . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحاق في رواية يونس عنه .
فصل : وأنشد ابن هشام :

لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

والبيت لتيم بن أبي بن مقبل ، والدم : الضرب ، والغيب : العائر من الأرض .

إخراج المنافقين من المسجد : وذكر ابن إسحاق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بني النجار ، ولم يعرفه بأكثر من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، يعد في الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوتر واجب ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود في البدرين عند الواقدى وطائفة ، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم .

ما أنزل الله في المنافقين : فضل : وذكر ما أنزل الله في المنافقين والأخبار ومن يهود من صدر سورة البقرة ، واستشهد ابن هشام على الريب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب : خويلد بن خالد ، والرجز الذي استشهد به بيت منه :

ياقوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتيت من غيب
يشم عطفي ويمس ثوبي كأنني أربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فأذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق . والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوة : وإنما هو الذين يؤمنون بالغيب ، ويقومون الصلاة ، وكذلك وجدته منها عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أقوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدر ، ومنها قول من قال : إن الغيب القلب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ، وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس ، أي : يؤمنون بظهر الغيب ، أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم ، ويدل على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل : يخشون ربهم بالغيب ، فلا يحتمل قوله : يخشون ربهم بالغيب إلا تأويلاً واحداً ، فإليه يرد ما اختلف فيه : وقوله سبحانه : لا ريب فيه ، وقد ارتاب فيه كثير من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أي لا ريب فيه عندهم . قال المؤلف : رضى الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطى العموم ، وأصح منه : أن الكلام مره الخبر ، ومعناه : أي : لا ترتابوا ، وهذا النبي

أى : لا تترابوا ، وهذا النهى عام لا يخص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً مجصاً عن القرآن ، أى : ليس فيه ما يريب ، تقول : رابى منك كذا وكذا ، إذا رأيت ماتنكر ، وليس فى القرآن ماتنكره العقول . وإن كان مصدرأ فقد يعبر به عن الشىء الذى يريب ، كما يعبر بالضيف عن الضائف ، وبالطيف عن الخيال الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : « ليوم لاريب فيه » ، فهذا خبر ، لأن النهى لا يكون فى موضع الصفة .

وقوله : لاريب فيه فى موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ليس فيه ما يريبك ، لأن من قدر على البدء ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق ، لأنك تقول : رابى منك رائب ، ولا تقول شكى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالارتياب : قرب من الشك .

وذكر قول الله سبحانه « فى قلوبهم مرض » ، وأصل المرض : الضعف وفقر الأعضاء وهو هنا ضعف اليقين وفقر القلب عن كد النظر ، وعطف : فزادهم الله ، وإن كان الفعل لا يعطف على الاسم ولا على مثل هذه الجملة ، لو قلت فى الدار زيد ، فأعطيته درهما لم يحز ولكن لما كان فى معنى قوله : فى قلوبهم مرض كعنى مرضت قلوبهم ، صح عطف الفعل عليه

وذكر قوله سبحانه : يابى لإسرائيل : وهم فى التلاوة فقال : يا أهل الكتاب ، كما وهم فى أول السورة وبنو إسرائيل : هم بنو يعقوب ، وكان يسمى : إسرائيل ، أى سرى الله لكن لم يذكروا فى القراءة إلا أضيفوا إلى إسرائيل ، ولم يسموا فيه : بنو يعقوب ، ومتى ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يسم إسرائيل ، وذلك لحكمة فرقانية ، وهو أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم ، وتنبها من غفلتهم سمو بالاسم الذى فيه تذكرة بالله ، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله تعالى فى التأويل . ألا ترى : كيف نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يابى عبد الله ، لأن الله قد حسن اسم أبيكم يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله ، فكذلك قوله سبحانه : يابى إسرائيل إنما ورد فى معرض التذكرة لهم بدين أبيهم ، وعبوديته لله ، فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من أن يقول لهم : يابى يعقوب ، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوب كان لفظ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها موهبة بعقب أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى وإن كان اسم يعقوب عبرانيا ، ولكن لفظه موافق للعربى فى العقب والتعقيب ، فانظر مشاكلة الاسمين للبقامين ، فإنه من باب النظر فى إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام فى منازل اللاتفة به .

حديث أبى ياسر بن أخطب وأخيه حبيى : فصل : وذكر ابن إسحاق حديث أبى ياسر بن أخطب وأخيه حبيى بن أخطب حين ممعا المص ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أجد إلى قوله : لعله قد جمع لمحمد وأمه هذا كله : قال المؤلف : وهذا القول من أحبار يهود ، وما تألوه من معانى هذه الحروف محتمل حتى الآن أن يكون من بعض مادلت عليه هذه الحروف المقطعة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم . وقال فى حديث آخر : لاتصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله ، وإذا كان فى حد الاحتمال وحب أن يفحص عنه فى الشريعة عمل يشير إلى صحته كتاب أو سنة ، فوجدنا فى التنزيل « وان يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون » ، ووجدنا فى حديث زهلى الخزاعى حين قص على رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ، وقال فيها : رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبه نافذة عجفاء ، كأنك تبعثها ، ففسر النبي صلى الله عليه وسلم النافذة بقيام الساعة التي أنذر بها وقال في المنبر : ودرجاته الدنيا : سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ، والحديث وإن كان ضعيف الإسناد ، فقد روى موقوفا على ابن عباس من طرق صحاح ، أنه قال : الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون أو قال : مشون ، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل ، وعضده بآثار وذكور قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعثت أنا والساعة كهاتين ، وإنما سبقتها بما سبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسبابة ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : إن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ، يعني : خمسمائة عام ، وقد خرج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً والطبري وهذا في معنى ما قبله يشهدله ويبينه فإن الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع ، كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بنيف عليها ، وليس في قوله : إن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ، ولا في قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل في تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحيثها ، كما قال سبحانه : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وأتى أمر الله فلا تستعجلوه ، ولكن إذا قلنا : إنه - عليه السلام - بعث في الألف الآخر بعد ماضت منه سنون ، ونظرنا بعد إلى الحروف المقطعة في أوائل السور ، وجدناها أربعة عشر حرفاً يجمعها : قولك

الم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد ، فنجد : ق مائة : و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستائة ، و . ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ي عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : ه خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثين ، ولم يسم الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحساب محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكل قريب بعضه من بعض ، فقد جاء أشراطها ، ولكن لا تأتكم إلا بغتة ، وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القاضي ، وهو عباسي أيضاً : عما بقي من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إن أحسن امتي ، فبقاؤها يوم من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة ، وإن أساءت ، فنصف يوم ، ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله .

معاني الحروف التي في أوائل السور : فصل : وهذه الحروف في أوائل السور معان جمة وفوائد لطيفة ، وما كان الله تعالى لينزل في الكتاب ما لا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيه وذوى الألباب من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعة عشر بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم ، وفي إنزالها مقطعة على هيئة التهجي فوائد علمية وفقهية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السور ، دون بعض فوائدها أيضاً ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقديمها عليها معان وفوائد ، وفي إرداف

الالف واللام بالميم تارة ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الالف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائده أيضاً ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء والهاء ، قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كيبص معان أكثرها تنبه عليها آيات من الكتاب ، وتبين المراد بها لمن تدبرها . والتدبر والتذكر واجب على أولى الألباب ، والخوض في إيراد هذه المعاني ، والقصد لإيضاح ملاح لي عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظر يخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ، ويقضى لإفراد جزء أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ، والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لاشريك له .

تحويل القبلة : فصل : وذكر تحويل القبلة ، وما قالته جماعة يهود حين قالوا : يا محمد ما ولاك عن قبلك ، وهم السفهاء من الناس ، فيهم نزلت هذه الآية . وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك أى : لم أمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا في حديث الهجرة ، قصة البراء بن معرور فوائده في معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك وأنشد في تفسير الشطر بيت ابن أحرر :

تعدو بنا شطر جمع وهى عاقدة قد قارب المقدم من إيفادها الحقبا

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي وقال كارب موضع قارب ، ووقع في شعر ابن أحرر :

تعدو بنا عرض جمع وهى موقدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقبا

تعدو : من العدو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عرض جمع : يعنى مكة ، وعرض أحب إلى وعرض : كثرة الناس ، عن الأصمعي ، وموقدة . أى : مشرفة أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهى عاقدة ، يريد عنقها لاويتها والغرض : البطان وهو حزام الرجل . من إيفادها ، أى إشرافها ، وقد اقتادت : نصبت عنقها وعصرت بذنبا وتخامست ببطنها فقرب كل واحد من الغرض والحقب من صاحبه بذلك . هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأت أسأله عن حال رفقته فقال : حى فإن الركب قد نصبا

ما أنزل الله في بنى قينقاع فصل : وذكر ما أنزل الله سبحانه في بنى قينقاع ، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لو حاربنا ، لعلمت أننا نحن الناس : دقل : للذين كفروا ستغلبون ، إلى قوله : ترونهم مثليهم رأى العين ، فن قرأه : يرونهم بالياء ، فمعنا أن الكفار يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقل منهم لما كثروهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : ويقللكم في أعينهم ،

قيل : وكان هذا قبل القتال عندما حزر الكفار المؤمنين ، فرأوهم قليلا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة فرأوهم كثيراً فاهزموا ، وقيل : ان الهاء فى يرونهم عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأوهم مثليهم ، وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فقللمهم فى عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالياء ، فيجوز أن يكون الخطاب لليهود ، أى ترون المشركين يوم بدر مثل المؤمنين ، وذلك أنهم كانوا ألقأ ، فانخذل عنهم الأخنس بن شريق بنى زهرة ، فصاروا سبعمائة أو نحوها ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الاول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء . وفى الآية تخليط عن الفراء أضربنا عن ذكره ، وجل ما ذكرناه آنفاً مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابن هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفي البخارى عن بعض أهل العلم قال : الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل نسبوا إلى علم الرب والفقہ فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام :

لو كنت مرتباً في القوس أفتنى
منها الكلام ورباني أحبار

وقال : القوس : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقوس وأنت بالقرقوس ، فكيف نجتمع ؟ وقال في أفتنى : هي لغة تميم ، وفرق سيويوه بين فتنته وأفتنته ، وجعله من قول الخليل ، قال أفتنته : صيرته مفتتناً أو نحو هذا ، وفتنته ، جعلت فيه فتنة ، كما تقول : كحلته جعلت في عينيه كحلاً ، ومأل هذا الفرق إلى أن فتنته صرفته ، فجاء على وزنه ، لأن المفتون مصروف عن حق ، وأفتنته بمعنى أضلته وأغويته ، فجاء على وزن ماهو في معناه ، وأما فتنت الحديدية في النار ، فعلى وزن فعلت ، لا غير ؛ لأنها في معنى : خبرتها ، وبلوتها ونحو ذلك .

تفسير آناه الليل : فصل وذكر ابن هشام في تفسير آناه الليل ، قال : واحد الآناه إنى ، واستشهد عليه بقول الهذلي ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال إنى فيما حدثني يونس بن حبيب ، وهذا الذى قاله آخرأ هو لغة القرآن ، قال الله تعالى : « غير ناظرين لآناه » .

بعض الآيات المنزلة في قصص الأحبار : فصل : وذكر بن إسحاق جملاً من الآيات المنزلة في قصص الأحبار ومسائلهم كلها واضحة ، والتسكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن ، وفي جملتها قوله تعالى « آيان مرساها ، وقال الفراء في آيان : هي كلمتان ، جعلت واحدة ، والأصل : أى آن ، والآن والآوان بمعنى واحد ، كما يقال : راح ورياح ، وأنشد :

نشأوى تساقوا بالرياح المفلفل

وقد ذكر الهروي في آيان وجهاً آخر ، قال يجوز أن يكون أصله : أيوان فاندغمت الياء في الواو مثل قيام . وذكر آية التيه وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لمخالفتهم أمره حين فرعوا من الجبارين لعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلان وهما يوشع بن نون من سبط يوسف ، وكالب بن يوفيا من سبط يامين « ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، فلما عصوهما دعا عليهم موسى ، فتأهوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستائة ألف مقاتل ، فتأهوا في ستة فراسخ من الأرض ، يمشون النهار كله ، ثم يمسون حيث أصبحوا ، ويصبحون حيث أمسوا . وفي تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى ، لأنهم شغلوا عن المعاش بالتيه في الأرض ، وأبقيت عليهم ثيابهم لا تتلخق ، ولا تتسخ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فأمر أن يأخذ حجراً من الطور ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وفيها ظلل عليهم الغمام لأنهم كانوا في البرية فظللوا من الشمس ، وذلك أن موسى كان ندم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم في التيه ، فكان يدعو الله لهم في هذه الأمور ؛ لئلا يهلكوا في التيه جوعاً أو عطشاً ، فلما أمسى عليهم قال الله له : « لا تأس على القوم الفاسقين ، أى : الذين فسقوا أى : الذين خرجوا عن أمرى . ومات في أيام التيه جميع كبارهم إلا يوشع وكالب فما دخل الأرض على الجبارين إلا خلوفهم وأبناؤهم ، وقيل إن موسى مات في تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتح مع يوشع ، وقيل : بل كان مع يوشع حين افتتحها .

المرجومة من اليهود : فصل : وذكر المرجومة من اليهود ، وأن صاحبها الذي رجم معها حنا عليها بنفسه ليقبها الحجارة . حنا بالحاء تقييد في إحدى الروايتين عن أبي الوليد ، وكذلك في الموطأ من رواية يحيى ، فجعل يحيى عليها ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : جنأ بالجيم والهمز ، وعلى هذه الرواية فسر أبو عبيد ، والجناء : الإحناء ، قال الشاعر عوف بن محم :

وبدلتني بالشطاط الجننا وكنت كالصعدة تحت السنان

وفي حنوه عليها من الفقه : أنهما لم يكونا في حفرتين ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سنة الرجم ، وكذلك روى عن علي رحمه الله ، أنه حفر لشراحة بذت مالك الهمدانية حين رجمها . وأما الأحاديث فأكثرها على ترك الحفر للرجوم ، واسم هذه المرجومة : بسرة فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفي قصتهما أنزل الله : « وكيف يحكوكم وعندهم التوراة ، الآية إلى قوله : « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، يعني محمداً ، ومن حكم بالرجم قبله ، لأنه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه ، والربانيون . يعني : عبد الله بن سلام وابن صوري من الإخبار بما است حفظوا من كتاب الله ، لأنهم حفظوا أن الرجم في التوراة ، لكنهم بدلوا وغيروا ، وكانوا عليه شهداء ؛ لأنهم شهدوا بذلك على اليهود إلى قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فحكم بالرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبين لك أن الرجم في القرآن ، وعلى هذا فسر مالك فيما بلغني ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين : لا تحكن بينكما بكتاب الله ، فحكم بالرجم ، كما في الكتاب المنزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما ، وقد قيل في معنى الحديث أقوال غير هذا ، والصحيح ما ذكرنا .

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الحناني ، واسمه : قتيبة ، وحنان هو ابن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، فقال :

يجهر أفواه المياه السدم

يقال : ماء سدام إذا غطاه الرمل ، وجمعه : سدم ، وجمعه على سدم غريب ، ويقال أيضا سدام وأسدام ونحو من قوله يجهر قول عائشة رضي الله عنها في أيها . واجتهر لهم عين الرواء ، وأنشد في تفسير القوم وأنه البر :

فوق شيزي مثل الجوابي عليها قطع كالوذيل في نقى فوم

الشيزي : خشب أسود تصنع منه الجفان ، والوذيل : جمع وذيلة وهي السبيكة من الفضة . قال الشاعر :

وتريك وجها كالوذيل لمة لا ريان ممتلئ ولا جهم

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد ألفت أمرك ، وهو أشد انفضاحاً من حق السكول . كذلك رواه الهروي ، وقال ابن قتيبة : السكول ، فما زلت أرمه بوذائله ، وأصله ، بوصائله حتى تركته على مثل فلانة المدر . حق السكول : بيت العنكبوت ، وكما قاله الهروي ، قاله أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوت ، كما وقع في غريب الحديث للقتبي قاله أبو عبد الله بن القزاز في الكتاب الكبير ، قال : السكول : العنكبوت ، وقيل في السكول إنه ثدي العجوز ، وفي العين : الوذيلة : المرأة ، وقيل في القوم : لأنه الثوم ، واختاره ابن قتيبة ، واحتج بأنه في مصحف عبد الله بن مسعود : وثومها ، ولا حجة في هذا لما ذكره أبو حنيفة في النبات : أن الثوم ، هو البر ، وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على القوم وأنه البر قول أبي أحيحة بن الجلاح ، وقيل هو لأبي محجن الثقفي :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا سكن المدينة عن زراعة فوم
وأنشد في بعض ما فسر بيت الأخطل ، قال : وهو الغوث بن هبيرة بن الصلت ، يكنى أبا مالك ، والمعروف :
غياث بن الغوث بن هبيرة بن الصلت ، وسمى : الأخطل لقوله :
لعمرك لأننى وابنى جميل وأمهما لإستار لتيم
كل أربعة : إستار قيل : إن كعب بن جميل قال له فى خبر جرى بينهما ، والأخطل يومئذ غلام يقرزم ،
أى : كما يبتدى يقول :

قبج ذاك الوجه غب الحمه

فقال الأخطل ، ولم يكن

وفعل كعب بن جميل أمه

فقال جميل ، إنك لأخطل

تم بحمد الله الجزء الثانى
ويليه الجزء الثالث
إنشاء الله

الفهارس

أولاً : فهرست كتاب السيرة النبوية لابن هشام

الموجود فوق الجدول

الجزء الثان

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٣	أشد ما أوذى به الرسول	٣	مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه معنى : اصدع بما تؤمر
٣٤	إسلام حمزة رضى الله عنه سبب إسلامه		خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة في الشعاب
٣٥	عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول رأى عتبة قريش تفتن المسلمين		عداوة قومه ومساندة أبا طالب له وفد قريش يعاتب أبا طالب
٣٦	زعماء قريش تفاوض الرسول	٤	الرسول صلى الله عليه وسلم يستمر في دعوته رجوعهم إلى أبي طالب مرة ثانية
٣٨	أبو جهل يتوعد الرسول النضر بن الحارث ينصح قريشا أذى النضر للرسول	٥	ما دار بين الرسول وأبي طالب قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب
٣٩	قريش ترسل رسولين إلى المدينة ليسألوا أحبار اليهود في شأن محمد صلى الله عليه وسلم قريش تسأل أسئلة والرسول يجيب	٩	شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله قريش تظهر عداوتها للمسلمين
٤٠	الرد على قريش فيما سألوه		شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته
٤١	أهل الكهف	١١	الوليد بن المغيرة كيدته للرسول وموقفه من القرآن
٤٣	ذو القرنين أمر الروح ما أوتيتم من العلم إلا ليلة تسيير الجبال وبعث الموتى خذ لنفسك	١٣	شعر أبي طالب في معاداة خصومه الرسول يستسقى لأهل المدينة ويود حياة أبي طالب
٤٤	القرآن يرد على ابن أبي أمية القرآن ينفي أن رجلاً من الإمامة يعلمه ما نزل في أبي جهل ما ذكره القرآن في شأن ما عرضه عليه من الأموال	١٦	معاني الأسماء التي في قصيدة أبي طالب انتشار ذكر الرسول (ص) خارج مكة
٤٥		١٧	نسب ابن الأسلت شعر بن الأسلت
٤٦		١٧	حرب حاطب شعر حكيم بن أمية في نهى قومه عن عداوة الرسول ذكر ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه
٤٧	قريش تتمتع من الإيمان حسداً استهزاء أبي جهل بالرسول	٢٠	سفهاء قريش يأذونه

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٥	ما قيل من الشعر في هجرة الحبشة	٤٧	ولا تجهر بصلاتك
٨٦	إرسال قريش تطلب مهاجري الحبشة		ابن مسعود يجهر بالقرآن وما أصابه
	شعر أبي طالب للنجاشي	٦٦	أشراف قريش يستمعون إلى قراءة ته عليه السلام
٧٨	حديث أم سلمة عن الهجرة		الأخنس يستفهم عما سمعه
	ما دار بين المهاجرين والنجاشي		تعنت قريش عند سماعهم القرآن
٨٨	رأى المهاجرين في عيسى	٦٧	عدوان المشركين على المستضعفين من المسلمين
	فرح المهاجرين بانتصار النجاشي		ما لقيه بلال من المشركين
٨٩	قصة تملك النجاشي على الحبشة	٦٨	من أعتقهم أبو بكر
	قتل أبيه وتملك عمه		ما دار بين أبي بكر وأبيه
	الحبشة تبيع النجاشي		آل يامر وتعذيبهم
	إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة	٦٩	فتنة قريش للمسلمين
٩٠	عليه		هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش
٩٥	إسلام عمر واعتزاز المسلمين به		الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
	حديث أم عبد الله بنت أبي حشمة عن عمر		مهاجرو الهجرة الأولى
	سبب إسلام عمر		المهاجرون من بني هاشم
٩٧	ما رواه عطاء ومجاهد في إسلام عمر		المهاجرون من بني أمية
	ثباب عمر في إسلامه	٧١	المهاجرون من بني أسد بن خزيمه
١٠١	خبر الصحيفه		المهاجرون من بني عبد شمس
	اثنار قريش بالرسول		المهاجرون من بني نوفل
١٠٢	موقف أبي لهب من الرسول		المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى
	تهكم أبي لهب بالرسول		المهاجرون من بني عبد وعبد الدار بن قصي
	شعر أبي طالب في ذلك	٧٢	المهاجرون من بني زهرة
١٠٣	أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين		المهاجرون من بني هذيل
	ما لقي الرسول عليه السلام من قومه		المهاجرون من بني بهراء
	ما نزل من القرآن في أبي لهب وامراته		المهاجرون من بني تميم
١٠٤	أم جميل امرأة أبي لهب		المهاجرون من بني مخزوم
	إيذاء أمية بن خلف للرسول	٧٣	خبر الشمس
١٠٥	إيذاء العاص للرسول		المهاجرون من حلفاء بني مخزوم
	إيذاء ابي جهل		المهاجرون من حلفاء بني جمح
	إيذاء النضر		المهاجرون من حلفاء بني سهم
١٠٦	ابن الزبيرى وما قيل فيه	٧٤	المهاجرون من بني عدى
١٠٧	الأخنس وما أنزل فيه		المهاجرون من بني عامر
	الوليد وما أنزل فيه		المهاجرون من بني الحارث
	ما أنزل في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط	٧٥	عدد المهاجرين إلى الحبشة
	سورة (الكافرون) وسبب نزولها		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٦	أم غيلان وأم جميل من كان يؤذى الرسول ما عاناه الرسول بوفاة أبي طالب وخديجة المشركون يطلبون العهد قبل وفاة أبي طالب	١٠٨	أبو جهل وما نزل فيه تفسير لفظ المهمل ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس العائدون من أرض الحبشة
١٦٧	رجاء الرسول في إسلام أبي طالب ما نزل فيمن طلبوا العهد	١٢١	أبو سلمة في جوار أبي طالب أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة نقض الصحيفة
١٧٢	الرسول يسعى إلى الطائف وموقف ثقيف وفد جن نصيبين	١٢٢	إسلام الطفيل بن عمرو إسلام والد الطفيل وزوجته
١٧٣	الرسول يعرض نفسه على القبائل عرض نفسه في المواسم حديث سويد بن صامت	١٣٠	قصة أعشى بن قيس نهاية الأعشى ذلة أبي جهل
١٧٤	إسلام الأناصير أسماء من التقوا بالرسول من الخزرج بيعة العقبة الأولى نص البيعة	١٣١	أبو جهل والأراشي ركانة ومصارعته قدوم وفد النصارى من الحبشة سبب نزول سورة الكوثر معنى الكوثر
١٧٥	مبعث مصعب مع وفد العقبة أول جمعة أقيمت بالمدينة إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير العقبة الثانية	١٣٢	لولا أنزل عليه ملك ولقد استهزىء برسل من قبلك الإسراء والمعراج رواية ابن مسعود حديث الحسن حديث قتادة
١٧٦	البراء بن معرور يصلى إلى الكعبة إسلام عبد الله بن عمرو امراتان في البيعة العباس والأناصير	١٣٣	الإسراء رؤيا الصفات التي وصف بها بعض الرسل حديث أم هانئ عن الإسراء قصة المعراج عود إلى حديث الخدرى المستمزون وكفاية أمرهم وصاة الوليد لأولاده
١٨٤	عهد الرسول على الأناصير أسماء النقباء النقباء من الأوس شعر كعب بن مالك فيهم ما قاله العباس بن عباد للخزرج أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية الشیطان يصرخ بعد بيعة العقبة مجادلة قريش للأناصير	١٣٤	ثورة بني عبد مناف لمقتل أبي أزيهر تحريم الربا دوس تحاول الثأر لأبي أزيهر
١٨٥	قريش تأمر سعد بن عباد	١٣٥	
١٨٦		١٤٠	
١٨٧		١٤١	
١٨٨		١٤٢	
١٨٩		١٤٣	
١٩٠		١٤٤	
١٩١		١٥٤	
١٩٢		١٥٥	
١٩٣		١٦٣	
		١٦٤	
		١٦٥	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٤٠	خطبه صلى الله عليه وسلم موادعة اليهود	١٩٣	خلاص سعد
٢٤٢	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٢٠٥	قصة صنم عمرو بن الجوح إسلام عمرو
٢٥٣	خبر الأذان رؤيا عبد الله بن زيد رؤيا عمر	٢٠٦	شروط البيعة في العقبة الأخيرة أسماء من شهد العقبة
٢٥٥	أبو قيس بن أبي أنس عداوة اليهود لعنهم الله	٢١١	نزول الأمر للرسول بالجهاد الإذن بالهجرة إلى المدينة هجرة عمر وعياش
٢٥٧	إسلام عبد الله بن سلام من حديث مخيريق حديث صفية	٢١٩	كتاب عمر إلى هشام أمر الوليد مع عياش وهشام منازل المهاجرين بالمدينة
٢٥٨	المنافقون بالمدينة	٢٢٠	هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم قريش تتشاور في أمره
٢٦٢	طرد المنافقين من المسجد	٢٢١	استخلافه لعلی
٢٦٣	ما نزل في اليهود والمنافقين	٢٢٢	أبو بكر يطمع في المصاحبة حديث الهجرة إلى المدينة في الغار
٢٦٤	تفسير ابن هشام لبعض غريب الالفاظ	٢٢٣	من قام بشأن الرسول في الغار أسماء ذات النطاقين رحلة الرسول
٢٦٩	سؤال اليهود للرسول وإجابته	٢٢٤	أبو جهل يضرب أسماء الجنى الذي تغنى بمقدم الرسول نسب أم معبد
٢٧٠	اليهود ينكرون نبوة داود والرد عليهم كتابه إلى يهود خيبر	٢٢٥	آل أبي بكر بعد الهجرة مراقبة بن مالك طريق الرسول (ص) في هجرته قباء
٢٧١	ما نزل في أبي ياسر وأخيه	٢٢٦	بناء مسجد قباء مبرك الناقة عمار والفئة الباغية
٢٧٢	كفر اليهود وما نزل فيه تنازع اليهود والنصارى عنده صلى الله عليه وسلم ما قاله اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة	٢٢٧	الرسول ينزل في بيت أبي أيوب أبو سفيان وبنو جحش انتشار الإسلام
٢٧٣	كتابتهم ما في التوراة جوابهم حينما دعوا إلى الإسلام جمعهم في سوق بني قينقاع دخوله عليه الصلاة والسلام بيت المدراس	٢٢٨	
٢٧٤	ما نزل في إيمانهم غدوة والكفر عشية ما نزل في قول أنى رافع ما نزل في أخذ الميثاق عليهم . سعيهم في الوبيعة بين الأنصار	٢٢٩	
٢٧٥	ما نزل في قول أنى رافع ما نزل في قولهم ما اتبع محمد إلا شرارنا نهي المسلمين عن مباطنة اليهود دخول أبي بكر بيت المدراس	٢٤٠	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٨٢	رغبتهم في فتنته صلى الله عليه وسلم إنكارهم نبوة عيسى ادعاؤهم أنهم على الحق إشراكهم بالله	٢٧٨	اليهود تأمر المؤمنين بالبخل جحد اليهود للحق من حزبوا الأحزاب إنكار اليهود للتزليل
٢٨٣	نهى المؤمنين عن موادتهم سؤالهم عن قيام الساعة ادعاؤهم ان عزيزا ابن الله طلبهم كتابا من السماء	٢٧٩	اتفاقهم على طرح الصخرة عليه ادعاؤهم أنهم أحياء الله إنكارهم نزول كتاب بعد موسى رجوعهم إلى ما حكم به الرسول في الرجم
٢٨٤	سؤالهم عن ذى القرنين تهجمهم على ذات الله	٢٨٠	ظلمهم في الدية
		٢٨١	

ثانيا : فهرست الروض الأنف للسهيلى

الذى تحت الجدول

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٩	إسلام حمزة	٥	مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه اصدع بما تؤمر معنى الحذب
٥٠	الآيات التى طلبتها قريش	٧	أبو البخترى واسمه لو وضعوا الشمس في يميني الرأى والبداء
٥١	عبد الله بن أبي أمية أبو جهل وإلقاء الحجر تفسير أرايت ولنسفعا	٨	عرض عمارة على أبي طالب شعر أبي طالب
٥٢	النضر بن الحارث وأخبار الفرس	١٠	موقف الوليد من القرآن ذرنى ومن خلقت وحيدا
٥٣	سورة الكهف ترد على استفسارات اليهود افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه	٢١	شرح قصيدة أبي طالب حديث الاستسقاء
٥٤	شرح شعر ذى الرمة معنى الرقيم إعراب : لنعلم أى الحزبين أحصى	٢٢	ابن الأسلت وقصيدته حرب داحس والغبراء
٥٥	أحوال أهل الكهف في نومهم وفائدة قصتهم	٢٨	ما لقي الرسول من قومه تلقينه بالمدثر
٥٥	أهل الكهف	٢٩	تلقينه بالندير العريان تقديم المفعول على فعل الامر
٥٦	واو الثمانية إلا أن يشاء الله	٣١	الرئى في قول عتبة
٥٦	ولبشوا في كهفهم	٤٨	
٥٧	الفرق بين السنة والعام	٤٩	
٥٩	قصة ذى القرنين		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٠	ما قاله عمر من الشعر حين أسلم الهيمنة - في حديث إسلام عمر	٦٠	التسمي بأسماء الانبياء
١٠١	معنى النهم واخلوا جميل بن معمر الجمحي	٦١	يسألونك عن الروح وما هو الروح
١٠٩	حديث الصحيفة التي كتبها قريش تفسير سورة المسد	٦٢	الروح والنفس والفرق بينهما
١١٠	تفسير ألفاظ ذكرت في شعر أبي طالب لا التي للتبرئة ومحل النصب بها	٦٤	ابن هرمة ونسبه
١١١	عود إلى شرح شعر أبي طالب أم جميل وما نزل فيها	٦٥	بيت من زخرف أبو الأشد بن الجمحي
١١٣	الفرق بين الجيد والعنق الفهر	٦٦	خزنة جهنم الرجل الذي تزعم قريش أنه يعلمه
١١٤	محمد وليس مذمما حديث خباب مع العاصي بن وائل	٦٧	الحوادث التي وقعت بين الرسول وقريش
١١٥	إثبات الذرائع أصل عند المالكية النضر بن الحارث وشيء من أخبار الفرس	٧٧	الإكراه على الكفر وعلى المعصية
١١٦	ابن الزبيري وعزير حصب جهنم	٧٨	سمية وآل ياسر وزنيرة وأم عميس وبلال
١١٧	ما نزل في الأخنس بن شريق قل يا أيها الكافرون	٧٩	الهجرة إلى ارض الحبشة
١١٨	شجرة الزقوم وأصلها عند العرب ابن أم مكتوم ونسب أمه	٨٠	رؤيا خالد بن العاصي أبو أحيحة وعمامته وأمة بنت خالد
١٢٦	عودة المهاجرين إلى الحبشة حول قول لبيد	٨١	عبد شمس أو عبششمس هل هاجر عمار إلى الحبشة
١٢٧	حديث أبي بكر مع ابن الدغنة الشعب ونقض الصحيفة	٨٥	استدراك علي ابن إسحاق في مهاجري الحبشة ذكر لبعض المسائل اللغوية في شعر الهجرة
١٢٨	شرح دالية أبي طالب قول حسان في مطعم وهشام بن عمرو	٨٥	من أنساب مهاجري الحبشة - أم سلمة
١٢٩	حديث طفيل بن عمرو الدوسي حديث ذى الكفين	٨٦	النجاحي والنور الذي على قبره
١٣٦	قصيدة الأعشى وحمزة والشرف حديث الأراشي	٩٠	قريش تطلب مهاجري الحبشة من النجاحي
١٣٨	مصارعة ركانة	٩١	عمارة بن الوليد
١٣٩		٩٢	حديث أصحاب الهجرة مع النجاحي
		٩٣	العين هل هي صفة أو جارحة
		٩٣	عيسى كلمة الله وروحه
		٩٤	حديث عائشة عن النجاحي
		٩٤	ما يأخذ من الفقه في حديث هجرة الحبشة
		٩٨	كتاب النجاحي والصلاة عليه
		٩٨	إسلام عمر
		٩٩	حديث خباب
			تطهير عمر لئس القرآن
			المطهرون والمطهرون
			أقوال أخرى في إسلام عمر

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٩	ما أنزل الله في الربا من سورة البقرة	١٣٩	قدوم وفد النصارى من الحبشة
١٧٠	وفاة أبي طالب ووصيته		عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيمة
١٧١	تفسير المثنى في سورة (ص)	١٤٤	الأبتر والكوثر
١٧٢	تتابع المصائب بموت خديجة وأبي طالب	١٤٧	استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر
١٧٧	خروج النبي عليه السلام إلى الطائف		حديث المستهزئين
١٧٨	وجه الله		شرح ما في حديث الإسمراء
١٧٩	عداس غلام ابني ربيعة	١٤٨	أكان الإسمراء يقظة أم مناما
١٨٠	وفد جن نصيبين وما نزل فيهم	١٥٠	شماس البراق بالنبي عليه السلام
	عرض نفسه عليه السلام على القبائل	١٥١	قول الملائكة في كل سماء من معك
١٨٢	حديث سويد بن صامت وشعره		باب الحفظة والملك الذي عليه
١٨٣	مجلة لقمان		الأسودة التي على يمين آدم وشماله
	قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع	١٥٢	حكم من أحكام الماء
	إسلام الأنصار		بيت المقدس
١٩٥	هجرة مصعب بن عمير	١٥٣	على يصف النبي صلى الله عليه وسلم
١٩٦	بقيع الخضات	١٥٦	مبحث في رؤية النبي ربه
	أصل تسمية الجمعة بهذا الاسم	١٥٧	لقاؤه عليه السلام للنبيين
١٩٨	معنى الجمعة وما أخذ منه	١٥٨	البيت المعمور ودخول الملائكة فيه
	أيام الأسبوع وأسمائها وترتيبها	١٥٩	فرض الصلاة في الحضرة المقدسة
١٩٩	إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير		فرض الصلوات خمسين
	هل يغتسل الكافر إذا أسلم	١٦٠	من أوصاف الملائكة
٢٠٠	شرح شعر ابن الأسات		جزاء أكلة الربا ووصف حالهم
	البراء بن معرور وصلاته إلى القبلة	١٦١	نسب الولد لغير رشدة
	قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم		حكم الحاكم لا يحل حراما
٢٠١	نسبية وأسماء في بيعة العقبة الثانية	١٦٢	رفع لإدريس مكانا عليا
٢٠٢	البراء بن معرور		ترحيب الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم
	الدم الدم والهدم الهدم		موسى يطلب أن يكون من أمة محمد
٢٠٣	النقباء الاثنا عشر وشعر كعب فيهم		عصمة الله لنبيه عليه السلام
	صراخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت	١٦٧	شرح حديث المستهزئين
	يا أهل الجبابج ومعنى هذه الكلمة	١٦٨	حديث الوليد بن المغيرة ووصاته
٢٠٤	تذكير فعيل وتأنيثها		مقتل أبي أزيهر وموقف دوس
	من معاني الطويل		تفسير شعر عبد الله بن أبي أمية
	شرح بعض ألفاظ وردت في قصيدة حسان	١٦٩	شرح شعر الجون
٢١٤	إسلام عمرو بن الجوح وصنمه		شرح شعر حسان بن ثابت

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٤٦	تحللت ورزمت والجران	٢١٤	تسمية بعض من شاهد العقبة
٢٤٧	المربد	٢١٦	ذكر هجرة بني جحش
٢٤٨	بنيان المسجد سمية أم عمار	٢١٨	هجرة أم سلمة وعثمان بن أبي طلحة الشعر الذي تمثل به أبو سفيان جذامة - من نساء بني جحش
٢٤٩	عمار أول من بنى مسجدا بيوته صلى الله عليه وسلم انكسار حب أم أيوب الثوم	٢٢٦	ثقف بن عمرو وأم حبيب بنت ثمامة أربد بن جميرة ومحرز بن نضلة يزيد بن رقيش
٢٥٠	منزل أبي أيوب ونزول الرسول فيه أحمد بن جحش وأبو سفيان خطبه صلى الله عليه وسلم الحب في خطبه صلى الله عليه وسلم شرح الخطبة ومكانها	٢٢٧	هجرة عمر وعياش وتواعدهم التناضب قل يا عبادة الذين أسرفوا نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف ذكر أنسة وأبي كبشة نزولها بقباء
٢٥١	كتابه عليه السلام بينه وبين اليهود أصل اليهود ومتى دخلوا يثرب يثرب اسم رجل نزل بها معنى على ربعاتهم شرح كلمات الكتاب	٢٢٨	سالم مولى أبي حذيفة الإذن للنبي عليه السلام بالهجرة راحلته صلى الله عليه وسلم أبو بكر يبيكي من الفرح مقارنة بين مكة والمدينة حديث غار ثور
٢٥٢	المؤاخاة بين الصحابة نسب أبي الدرداء ونسب الفرع المؤاخاة بين حاطب وعويم بن ساعدة بدء الأذان	٢٣٠	الرد على الرافضة في بهتهم لآبي بكر معية الله مع رسوله وصاحبه حديث سراقه بن مالك الكنانى حديث أم معبد
٢٨٤	حديث صرمة بن أبي أنس	٢٣١	نسب أم معبد وزوجها طريق الرسول عليه السلام في هجرته أوس بن حجر
٢٨٧	تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن يهود المدينة	٢٣٢	تاريخ قدوم الرسول إلى المدينة كثوم بن الهدم - أبو قيس تأسيس مسجد قباء لبني عمرو
٢٨٩	ليديسحر الرسول عليه السلام	٢٣٣	التاريخ العربى من عام الهجرة من ودخلها على الزمان وغيره
٢٩٠	إسلام عبد الله بن سلام	٢٣٤	
٢٩١	ذكر بعض المنافقين	٢٣٥	
٢٩٢	ذكر حديث بشر بن أبي رقيق سارق الدرعين	٢٤٣	
٢٩٣	إخراج المنافقين من المسجد ما أنزل الله في المنافقين والاحبار	٢٤٥	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٩٧	تفسير آناء الليل	٢٩٤	أبو يامر بن أخطب وأخوه جبي
	بعض الآيات المنزلة في قصص الأحبار	٢٩٥	معاني الحروف التي في أوائل السور
٢٩٨	المرجومة من اليهود	٢٩٦	تحويل القبلة وما قاله اليهود ما أنزل الله في بني قينقاع

تمت فهرست

أودع هذا المصنّف
بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٤٠٢٤٠ لسنة ١٩٧٢